اهداء الى مكتبة
مركز شباب [illegible]
د. احمد [illegible]

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مصر وليبيا

فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م

د. أحمد عبد الحليم دراز

الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

٢٠٠٠

الاشراف الفنى :

محمــود الجــزار

تقـــديم

يسرنى أن اقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « مصر وليبيا بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد » . وهو فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها الدكتور « أحمد عبد الحليم دراز » على درجة الدكتوراه . ومن المعروف أن العلاقات المصرية الليبية علاقات قديمة أشارت اليها المصادر الفرعونية عندما كانت تتحدث عن الحملات التأديبية التى كان يقوم بها الجيش المصري ضد القبائل الليبية وعودتها محملة بالأسرى والغنائم ، ومحاولة القبائل الليبية النزوح الى مصر على مدى التاريخ الفرعونى .

وقد بدأ الباحث دراسته بتناول الأوضاع فى مصر وليبيا خلال عصر الانتقال الثالث ، وتعرض للعلاقات بين مصر والأقوام الليبية مثل « التنحو » و « التمحو » و « الماشواش » ، خصوصا فى عهد رمسيس الثانى ورمسيس الثالث حتى بدأ الليبيون يلعبون دورا فى التاريخ المصـــرى باشتراكهم فى الحروب ضـــد « مرنبتاح » ورمسيس الثالث ، ثم يتسللون بعد ذلك الى البلاد بعد اضطراب الأحوال فى مصر بعد رمسيس الثالث ، وما تبعه من اهمال الحدود الغربية ، وتأسيسهم أسرا حاكمة داخل مصر .

وفى الفصل الثانى تناول الباحث الأسباب التى أدت الى قيام الأسرة ٢٦ وسياستها الداخلية فى عهد بسماتيك ، وتناول دوافع

الاستعمار الاغريقى لليبيا ، وأثره على العلاقات المصرية الليبية حتى الاحتلال الفارسى لمصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد .

أما الفصل الثالث فتناول فيه العلاقات المصرية الليبية فى ظل الاحتلال الفارسى لمصر والسيطرة الاغريقية فى ليبيا .

وفى الفصل الرابع . تعرض للمقاومة المصرية للاستعمار الفارسى ، ودور الليبيين فى هذه المقاومة . وتناول ثورات المصريين بعد موت قمبيز ، وبعد هزيمة الفرس فى ماراثون ، وتعرض لخمس مراحل ثورية انتهت بتخلص المصريين من الاحتلال الفارسى الأول فى حوالى سنة ٤٠٤ قبل الميلاد ، عندما أصبح قائد الثورة فرعونا لمصر ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين .

أما الفصل الخامس فقد تناول فيه الباحث التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا .

والكتاب على هذا النحو يسد فراغا فى تاريخ علاقات مصر وليبيا قبل الميلاد . وأملى أن يجد فيه القارىء المتخصص والمثقف العادى ما ينشده من فائدة ومتعة .

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

الاهـــداء

الى استـــاذى الجليـــل

ا٠د جـاب الله على جـاب الله

أستـاذ تاريخ وآثار مصر والشرق الأدنى القديم

وأمـين المجلس الأعلى للآثـار

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قائمــــة الاختصـــارات

A.E.,= Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984.

A.E.O. = Gardiner, A.H., Anceint Egyptian Onomastiga 2 Vols., Oxford, 1927.

A.J.S.L. = American Journal of Semitic Languages and Literatures.

A.N.E.T.= Pritchard, J.,)ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament. Princeton, 1969.

A.R.A.B. = Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926 — 1927.

A.E.A.E. = Annales du Service des Antiquites de L'Egypte.

B.A.R. = Breasted, JH., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906 — 1907.

B.I.F.A.O. = Bulletin de L'Institut Français d'archelogie Orientale.

C.A.H. = Cambridge Ancient History, (3rd ed.) 2 vols. 1980.

C.D.E. = Chronique d'Egypt.

Histo. Of the Pers. Emp. = Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966.

J.E.A. = Journal of Egyptian Archaeology.

J.H.S. = Journal of Hellenic Studies

J.N.E.S. = Journal of Near Eastern Studies.

L.R. = Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte, 5 Tomes, 1907 — 1917.

M.D.A.I.K. = Mitteliungen des Deutschen Instituts Fur agyptische Altertumskunde in Kairo, augsburg-Berlin, 1930 f.

M.I.F.A.O. = Memoires Publies Par Les Membres de L'Institut Française d'Archeologie Orientale du Caire.

P.M. = Porter, B., and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefsand Paintings, 7 vols., Oxford, 1927 — 1957.

Third Intermediate = Kitchen, K.A., The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.) 2nd ed., Warminster, 1986.

Z.A.S., = Zeitschrift Fur Agyptische Sprache und Altertumskunde.

مقدمة

كان اختيار موضوع البحث من الأمور المهمة التى تشكل صعوبة كبيرة أمام الدارس فى هذه المرحلة ، وكان لموضوع دراسة الماجستير ـ والذى تناول العلاقة بين مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادى عشر والقرن الثامن ق.م ـ أثر كبير فى أن يفكر الدارس فى السير على نفس الطريق ، ورأى أن الأمم الواقعة شرقى مصر قد تناولتها دراسات عديدة ، فكان لابد من الاتجاه غربا (ليبيا) وهنا تردد أستاذى كثيرا فى الموافقة على هذا الاتجاه موضحا كم الصعوبات التى يمكن أن تعترض البحث خاصة فى الفترة الزمنية من القرن السابع حتى الرابع قبل الميلاد ، ومن أهم هذه الصعوبات قلة المصادر الأصلية الباقية عن تلك الحقبة من تاريخ مصر مع كثرة الاختلافات بين آراء علماء الآثار حول غالبية معلوماتها ، ومنها أيضا ندرة المصادر الباقية عن تاريخ ليبيا القديم وذلك لقلة الدراسات الأثرية المنظمة بها حتى الآن وان وجدت بعض الدراسات فانها تعتمد على المصادر المصرية أولا وأخيرا ، وتوقفت هذه الدراسات عند نهاية الدولة الحديثة من تاريخ مصر حيث تكثر الاشارة الى الليبيين فى المصادر المصرية ، ومن أهم هذه الدراسات Yoyotte, J., «Les principautes du Delta au temps de L'anarchie Libyenne», M.I.F.A.O., 66, 1961, PP. 121 — 181

Gomaa, F., Die Libyschen Fürstentumer des Deltas vom tod Osorkons II bis Zur wiederveieinikung Agypten durch psametik I, Wiesbaden, 1974.

وهنـــاك رسالة ماجستير من معهد الدراســـات الافريقية للدكتورة زينب عبد العال بعنوان « مصر وليبيا منذ اقدم العصـــور حتى نهاية الدولة الحديثة » ونوقشت الرسالة عـــام ١٩٧٥ .

من الواضـــح اذن أن علاقـــة مصر وليبيـــا فى العصر المتأخر (موضوع البحث) لم تتناولها حسب معلوماتى المتواضعة ايـــة دراسة علميـــة مفصلة ، وان كان « رو » قد كتب بحثـــا بعنوان

Rowe, A., «A History of Ancient Cyrenaica. New light on Aegypto — Cyrenaean Relations. Two Ptolemiaic Statues Found in Tolmeito», A.S.A.E., cah. 12, 1948, PP. 1 — 35.

ورغم هذه الصعاب التى اوضحها لى أستاذى فانه كان لدى ايمان راسخ بوجود علاقة بين مصر وليبيا انطلاقا من انه اذا كانت هناك علاقة بين مصر واقطـــار غربى آسيا على مدى التاريخ رغم بعد هذه الأقطـــار عن مصر بالمقارنة بليبيا ، فلابد من وجود علاقة (ربما تكون اكبر) بين قطرين متجاورين ومتعاصرين لجميع المراحل التاريخية منها وما قبل التاريخ ، الا أن الفوارق هنا ترجع للظروف التاريخية لأقطار غربى آســـيا وتوصل مجتمعاتها لعصر الكتابـــة وامتلاك لغة للتدوين (الأمر الذى لم يتوافر للقطر الليبى الا حديثا) جعل الباحثين يمتلكون كما هائلا من تفاصيل هذه العلاقات ، حيث يتوافر لأى دارس هنـــا مصـــدران يستقى منهما معلوماته مصـــدر مصرى ومصدر أجنبى (وهذا ما لا يتوافر فى حالة العلاقات مع القطر الليبى) مما دفع معظم الدراســـات التى تناولت علاقة مصر بغيرها من بلاد الشرق الأدنى القديم الى جهة الشرق ، وهذا فى الوقت

نفسه ما جعلهم لا ينظرون الى الغرب (أى ليبيا) ، وربما يرجع اهتمام الباحثين بالشرق ايضـا الى تأثير هذه الأقطـار المبـاشر والواضح فى تاريخ مصر ، فمعظم محاولات غزو مصر (ان لم تكن كلها) جاءت من الشرق (الهكسوس ـ الآشوريون ـ الفرس) وهنا يرى الدارس ان تأثير ليبيا ربما يكون أكثر من ذلك ، فاذا كانت الشعوب الغازية لمصر من جهة الشرق قد أثرت فى تاريخ مصر السياسى ، فان ليبيا ربما كان لها تأثير حضارى واجتماعى .

كما وضع الدارس فى اعتباره أيضا ان أية دراسـة أو اشارة بسيطة للعلاقات المصرية الليبية كانت تعتمد فى المقام الأول والأخير على المصادر المصرية ، وبالتالى تتبنى وجهة النظر المصرية ، وعلى سبيل المثال اشـارات الفراعنة الى حملاتهم التأديبية ضد القبائل الليبية والتى كانت دائما تعود بالغنائم الكثيرة من ماشية وأغنـام وأعداد كبيرة من الأسرى ، وكانت هذه المصادر تشير فى نفس الوقت الى أن محاولة القبائل الليبية دخول مصر كان سببه الفقر والجدب .

ونلاحظ هنا تناقضا صارخا بين كثرة الغنائم من المـاشية والأغنام والأسرى وبين ما يقال عن فقر هذه المناطق وجدبها ، حيث أن كثرة المـاشية والأغنام والانسان يدل على انها مناطق غنيـة بمراعيها القادرة على أن تؤوى هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات والبشر ، ومعنى غنى هذه المناطق فان محـاولة القبائل الليبيـة النزوح الى مصر على مدى التاريخ الفرعونى لم يكن سببه الجوع بل ربما كانت هنـاك اسـباب أخرى . وعلى ذلك كان لابد من دراسة تتناول علاقـة مصر وليبيا آخذة فى الاعتبـار وجهتى نظر البلدين ، وانعكاس أوضاعهما الداخلية على علاقة كل منهما بالآخر وكان هذا هو الخط الرئيسى والأسـاسى فى الرسالة ، وقد استتبع ذلك اعادة النظر فى بعض النصـوص المصرية واعادة تحليلهـا ،

وأيضا محاولة الاعتماد على بعض المصـادر الليبية على قلتهـا ، والقيام بوصف وتحليل هذه المصادر ومقارنتها بالمصادر لاستخلاص بعض النتائج والتى ربما تحمل وجهة نظر جديدة ٠

وقد جاءت الدراسة فى خمسة فصول مرتبة ترتيبا زمنيـا على النحو التـالى :

الفصل الأول : مقدمة ، مصر وليبيا خـلال عصر الانتقـال الثـالث ٠

الفصل الثانى : مصر وليبيـا فى عصر الأسرة السادسـة والعشرين ٠

الفصل الثالث : مصر وليبيـا فى عصر الاحتـلال الفـارسى (٥٢٥ ـ ٤٠٤ ق٠م٠) ٠

الفصل الرابع : الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسى ٠

الفصل الخامس : التأثيرات الحضـارية المتبـادلة بين مصر وليبيـا ٠

تناول الدارس فى الفصل الأول الأوضاع فى مصر وليبيا خـلال عصر الانتقال الثالث فتعرض لأحوال البلدين الداخلية وانعكاسها على العلاقات الخارجية ، فتناول حالة مصر الاقتصادية والاجتماعيـة وما آلت اليه من انهيـار وأسـباب ذلك وانعكاسـه على حالتها السياسية مما أدى الى ضياع سلطة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة وتأثير هذه الأحوال على سياسة مصر الخارجية ٠

أما ليبيا فقد تناول الدارس جغرافيتها السياسية ٠ موضحا أهم القبائل التى كانت تستوطنها ، متتبعا تاريخ كل قبيلة ومناطق نفوذها ومحـاولة كل منهـا توسيع مناطق نفوذها على حسـاب الأخرى ، ومحاولاتهم المتكررة لدخول مصر ٠

وأختتم الفصل بتناول العلاقات بين مصر وليبيا فى ظل الهجمة الأوربية المتمثلة فى شعوب البحر ونجاح « مرنبتاح » و « رمسيس » الثالث فى وقف تقدمهم صوب مصر وان سمح الأخير لبعض قبائلهم بالاستقرار فى بقاع من مصر ، كما نجحت بعض القبائل الليبية فى التسلل السلمى والاستقرار بمصر وساعد انحطاط السلطة المركزية فى مصر ، هؤلاء الليبيين على تأسيس أسر حاكمة داخل مصر ، وقد لعب العنصر الليبى دورا قياديا فى مصر منذ نهاية عهد رمسيس الثالث حتى قيام الأسرة السادسة والعشرين ، وهو ما يعرف بعصر الانتقال الثالث .

فى الفصل الثانى : عالج الدارس ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين ، والأساليب والوسائل التى اتبعها بسماتيك الأول لجمع السلطة فى يديه ثم طرد الحاميات الآشورية واعلان استقلال مصر ، وايضا سياسة ملوك الأسرة السادسة والعشرين الداخلية ومشاريعهم المختلفة فى الداخل والخارج .

أما فى ليبيا فقد استعرض الدارس دوافع الاستعمار الاغريقى بصفة عامة ثم محاولة معرفة توافر هذه الدوافع فى ليبيا ، وعلى أثر ذلك أسس الاغريق مدينة « قورينى » وقامت مملكة الباطيين فى ليبيا الشرقية ، وكان لقيام مملكة قورينى أثر كبير فى علاقة مصر وليبيا فى هذه الفترة ، حيث كان لمحاولة الاغريق الحصول على مزيد من أراضى الليبيين أثر سىء فى وقوع الصدام بين الفريقين مما دفع القبائل الليبية الى طلب المساعدة المصرية ، وكان ذلك فى عهد الملك « ابريس » الذى ارسل جيشا لنجدة القبائل الليبية ، الا أن الليبيين وحلفاءهم المصريين هزموا فى معركة « ايرازا » ، وكان لهذه الهزيمة الأثر الأكبر على أحوال مصر الداخلية حيث قامت ثورة ضد ابريس انتهت باعتلاء « امازيس »

العرش والذى وجد فى عقد المعاهدات السلمية خير وسيلة للحفاظ على استقلال مصر خاصـــة مع علمه باستعداد الفرس للانقضــاض عليها ، وظل الحال على ما هو عليه حتى الاحتلال الفارسى لمصر عــام ٥٢٥ ق٠م ٠

فى الفصل الثالث : يناقش الدارس علاقة مصر وليبيا فى ظل السيطرة الأجنبية حيث تناول الاحتلال الفارسى لمصر ، والقى الضوء على أحوال مصر الداخليــة السيئة والتى ســاعدت الفرس على احتلالها ، وموقف « قورينى » من هذا الاحتلال ، ثم تناول الدارس السياسة التى انتهجها ملوك الفرس فى مصر ومحــاولاتهم التقرب للمصريين لدرء ثوراتهم التى نشبت بمجرد دخــول الفــرس الى مصــر ٠

أما ليبيا ، فقد تناول الدارس أحوالها الداخلية مشيرا الى الحالة الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الاستعمار الاغريقى فى قورينائية وانعكاس هذه الأوضـــاع على الحالة السياسية ، فكانت الحرب الأهلية بين « اركسيلاوس » الثالث وارستقراطية قورينى ، ودور مصر فى هـــذه الحــرب واستنجــاد « فريتيمى » والــدة « اركسيلاوس » بـ « اريانـدس » والى مصر الفارسى للانتقام من قتلة ابنها ، ثم قام الدارس بمناقشـــة حملة « اريانـدس » تاريخها وأسبابها ونتائجها ، مفندا بعض الآراء ومؤيدا بعضها الآخر معتمدا على الأدلة الأثرية ٠

أما الفصل الرابــع : فيتناول المقاومة المصريــة للاســتعمار الفارسى حتى الاستقلال ودور الليبيين فى هــذه المقاومة ، ويتحدث هذا الفصل عن ثورة المصريين فى مراحل عدة ، فقد نشطت المرحلة الفعلية الأولى من ثورة المصريين ضد الاحتلال الفارسى بعد موت

« قمبيز » ومع تولى « دارا » الأول سـنة ٥٢٢ ق٠م ، ويذكر « دارا » فى نصوصه أنه قضى عليها ، أما المرحلة الثورية الثانيـة فكانت حوالى ٤٨٦ ق٠م ٠ بعد هزيمة الفرس فى « ماراثون » وقد مات « دارا » قبل قمعها ، فقـام ولده وخليفته « اكزركسيس » باطلاق يد أخيه « اخمينس » بن دارا فى مصر ، وكان شديد القسوة عنيفا فى اخماد ثورة المصريين سنة ٤٨٤ ق٠م ٠ وقد أثير جدل كبير حول قائد هذه الثورة وحول هويته ٠

أما المرحلة الثالثة للثورة فكانت حوالى ٤٦٠ ق٠م فى عهد الملك « ارتكزركسيس » وكانت ثورة منظمة يقودها « ايناروس » ويساعده « أمير تايوس » وكانت نتيجة تلك الثورة ايجابية ، فقد قتل « اخمينس » وهربت الحامية الفارسـية الى منف ، وقد دعم العون الخارجى من بلاد الاغريق ، الثورة المصريـة ، ولم يتمـكن « ارتكزركسيس » من استعادة سـلطانه فى مصر الا بعد حوالى عام ونصف العام ، وبعد جهد استطاع قائده « مجبازوس » بجيشه الضخم القضـاء على الثورة ومطاردة الاغريق وحصارهم فى احدى جزر الدلتا وأسر قائد الثورة ايناروس واقتيد الى حاضرة الفرس حيث أعدم بأمر الملك ٠

وبدأت المرحلة الرابعة بتسلم « آمون اردیسو » الأول أمير سايس الراية من زعيمه « ايناروس » واسـتطاع أن يحافظ على استقلال امارته لعدة سـنوات ، وحاول أن يحصـل على المعونة العسكرية الاثينية فى مقابل الغلال المصرية ، ولكن معاهدة « كاليس » سنة ٤٤٩ ق٠م بين الفرس وأثينا قضت على أمله فى ذلك لأن أثينا تعهدت فى تلك الاتفاقية بعدم تقديم أى عون لمصر ضد فارس ٠

وتبدأ المرحـلة الخامسـة مع نهـاية عهد « دارا » الثـانى



واستطاع الشعب المصرى تحت قيادة زعيمـه « آمون اردیسو » الثانی أن ينتزع حريته ، وبذلك تخلصت مصر من الاحتلال الفارسى الأول فى حوالى ٤٠٤ ق٠م حيث أصبح قائد الثورة فرعونا لمصر ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين التى اقتصرت عليه وحده ٠

ويشير الدارس فى نهاية الفصل الى الأصول الليبية لأسرات العصر المتـأخر محـاولا اثبـات ذلك عن طريق الأدلة الأثريـة والاستنتاجيـة ٠

أما الفصل الخامس والأخير فيتنـاول التأثيرات الحضـارية المتبادلة بين مصر وليبيا ، ويعقد الدارس فى هذا الفصل المقارنة تلو الأخرى بين العناصر الفنية فى كل من مصر وليبيا مع ذكر أمثلة فنيـة مازالت باقيـة حتى الآن وصـولا الى مدى التأثير الفنى والحضارى بين مصر وليبيا ٠

الفصـــل الأول

مقدمـــة :

مصـــر وليبيـــا
خـلال عصر الانتقـال الثالث

اولا ـ مصـر :

(أ) الأحوال الداخليـة :

١ ـ الحالة الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ الحـالة السياسـية .

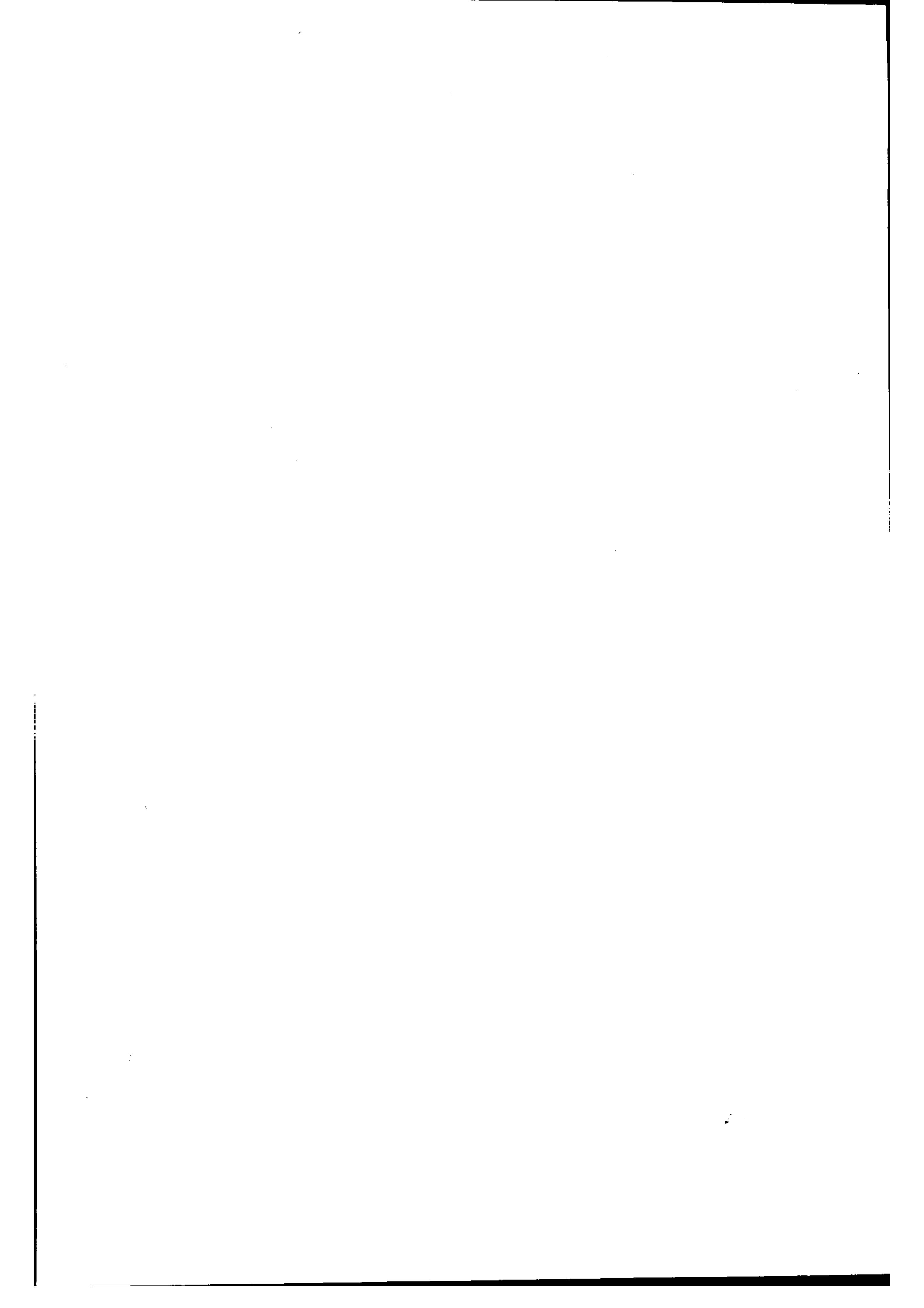
ثانيا ـ ليبيـا :

(أ) الأحوال الداخلية :

١ ـ جغرافية ليبيا السياسية .
التحنو ـ التمحو ـ المـاشواش ـ
الليبـو .

٢ ـ الحـالة الاقتصـادية .

ثالثا ـ مصر وليبيا وشعوب البحر :



١ ـ أولا مصـــر :

(أ) الأحوال الداخليـة :

١ ـ الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تدهورت أحوال مصر الاقتصـادية والاجتماعية خـلال عصر الانتقال الثالث ، وســارت من سىء الى أســوأ ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية ، منها الحروب المتكررة التى خاضتها مصر فى الشرق والغرب ضـد شعوب البحر من ناحيـة وضــد عنـاصر المـاشواش والليبو فى مصر من ناحيـة أخرى ، وما نتج عن ذلك من انهاك للاقتصـاد المصرى ، واســتقرار بعض العناصر الأجنبية فى مصر وأمكن لبعضها أن يرتقى عرش مصر كمـا حدث للأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل .

وفضلا عن ذلك فقد كان للهبات التى أغدقها فراعنـة هذه الفترة على معابد الالهة المختلفة ، بالاضافة الى انعاماتهم على نفر من الأمراء القدامى باقطاعيات كبيرة لضمان ولائهم ، كان لهـذا كله أســوأ الأثر على أحوال مصر الاقتصـادية ، فتذكر برديـة « هاريس » أن دخل هذه المعابد وحدها بلغ فى عهد « رمسيس » الثالث ما يعادل ٦٢ كيلو جراما من الذهب ، ١١٨٩ كيلو جراما من الفضة و ٢٨٥٥ كيلو جراما من النحاس ، وان مراعيه كانت تؤى ٤٢٣٦٢ راســا من المـاشية الكبيرة والصغيرة ، اهدى منها

« رمسيس » الثالث ٢٨٣٣٧ رأسا دفعة واحدة ، كما بلغ دخل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغلال ، واستأثرت بخيرات ١٦٩ مدينة وقرية فى مصر وخارجها ، وامتلكت أكثر من ٨٨ سفينة ونحو ٥٠ ترسانة لصناعة السفن واصلاحها ، وتراوحت مساحة مزارعها بين ١٢ و ١٥٪ من أراضى مصر الزراعية(١) .

علاوة على كل هذا كانت هذه المعابد لا تؤدى ما هو مفروض عليها من الضرائب ، وذلك لتولى عائلات كبار الكهنة للوظائف المهمة فى الدولة(٢) .

وقد زاد فراعنة هذه الفترة من حدة الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر وذلك عندما أسرفوا فى اقامة المنشآت المعمارية ، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم فى العصور الزاهيـة(٣) .

ومن العوامل الرئيسية التى أثرت على أحوال مصر الاقتصادية، انها فقدت امبراطوريتها فى آسـيا مما دفع الفراعنة الى اغتصاب مبانى الآخرين لاقامة منشآتهم المعمارية ، فاذا قلنا ان اغتصاب مبانى الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة لكان ذلك صحيحا ، ولكن الصحيح أيضا أن الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل ، فضلا عن أن أصحابه قد أقاموا عمائر تعادل أضعاف ما أغتصبوه عدة مرات ، بعكس ملوك هذه الفترة الذين أعتمدوا فى المقام الأول على الاغتصاب ، وأن ما أقاموه لم يكن أكثر من عمليـة تخريب وتحطيم لآثار الملوك السابقين ، فاذا عجزوا عن هدم بعض المعابد الضخمة اكتفوا بمحو أسماء أصحابها من الفراعين ووضع أسمائهم عليها(٤) .

ترتب على تردى الأوضاع الاقتصادية أن استمر التفاوت بين طبقات المجتمع فى مستويات المعيشة مما أدى الى اضطراب أحوال

مصر الاجتماعية ، اضف الى ذلك استقرار العنـاصر الأجنبية فى مصر ووصولها الى أرقى المناصب فى الدولة ، ويمـكن القول ان زيادة عدد الأجانب فى القصور الفرعونية كان من العوامل التى أثرت فى أحوال مصر الاجتماعية ، حيث زاد الزواج من أجنبيات ، وازدادت أعداد الجوارى ، واحتوت القصـور الى جانب الجوارى على أعداد من الحشم عملوا خدما وسقاة ووصفاء حتى تسـللوا الى مخـدع الفرعون ذاته(٥) .

فاذا كانت الحالة على نحو ما مر بنا فلا غرابة اذا رأينـا حالة الحـكومة مضطربة ومزعزعة ووجـد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصى بدلا من أن يعملوا لمصلحة الدولة ، فكان أكثرهم طموحا يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات آمون التى كانت قد اتسعت ، كما أن فرق الجند المرتزقة كانت دائمـا على استعداد لأن تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها فى تخريب الخـدمات العامـة ، فتدهورت المحاصيل الزراعيـة وكثرت المجاعات وانسـاق صغار القوم وراء كبارهم فى أعمال السلب والنهب(٦) وقد أدت هـذه الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما آلت اليه من سوء الى اضطراب احوال مصر السياسية وتفتت وحدتها خلال عصر الانتقال الثالث .

٢ ـ الحـالة السياسـية :

كما سبق القول فان تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعيـة أدى الى ضياع هيبة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنـة خاصة كهنـة الاله « آمون » وتفشى الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومى ، وارتداء رجـال الجيش للثيـاب الكهنوتيـة للوصـول لأهدافهم السياسية ، ثم انتحال الألقاب الفرعونية حتى أصبحوا يكونون دولة داخل الدولة ، فكان الانقسام والتفتت أمرا طبيعيا ونتيجة حتميـة

لما مرت به مصر خلال هذا العصر ، وأصبحت السلطة موزعة بين كبير كهنة آمون فى الجنوب وفرعون فى الشمال ، وقد حاول فراعنة مصر فى هذه الفترة استعادة وحدة البلاد بوسائل مختلفة منها تعيين بعض أفراد البيت المالك على رأس الادارات فى كهانة آمون فى طيبة ، ومنها أيضا الزواج من الأسرة الكهنوتية الطيبية ، الا أن هذه السياسة بدلا من أن تدعم وحدة البلاد كانت من عوامل تفتتها حيث تمخض عنها تياران متعارضان ، الأول رغبة الفرعون الجالس على العرش فى تسليم المراكز والمناصب العليا فى الدولة لرجال ينحدرون من سلالته مباشرة ، أما الاتجاه الثانى فهو موقف الأحزاب التى سيسلب حقها فى وراثة هذه المناصب خاصة منصب « كبير كهنة آمون » نتيجة تغير الفرعون الحاكم وكان لابد من الصدام بين هذين التيارين وما كان يترتب عليه أحيانا من منازعات داخلية ، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد فى أيدى رؤساء محليين من الذين لا يعيشون الا على الدس والتآمر ، وانتهى الأمر بأن استقل معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس ــ هرموبولس ــ طيبة) وأصبحوا يشيرون الى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون ، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش ، ولتوضيح ذلك يمكن القول ان هيراقليوبولس أصبحت عاصمة لمملكة يحكمها « بف ثاو عوى باست » ولعله كان من نسل الأسرة الثالثة والعشرين ، كابن للملك « رود آمون » ، وكان الأقليم العشرون بمصر العليا على وجه التحديد نواة لهذه المملكة ، وقد امتدت لتشمل الاقليمين الحادى والعشرين شمالا والتاسع عشر جنوبا من أقاليم مصر العليا(٧) وقد حمل حاكم المملكة اسم العرش « نفر كارع » كما يتضح من خلال نقوش تمثال ذهبى للاله « حرى شف »(٨) كما تظهر لوحة النصر الكوشية اسمه داخل خرطوش(٩) وكانت زوجته تلقب بالملكة « تاشرت ان است »(١٠) .

أما هرموبولس فقد أصبحت أيضـا عاصـمة لمملكة متسعة يحكمهـا ملك هو « نمرت » الرابـع ولعله كان ابنـا للملك « وسركون » الثالث الذى وضعه فى حكم هذه المدينة من قبل ، وقد امتـدت هـذه المملـكة لتشـمل الاقليم الثـامن عشر من مصر العليـا(١١) .

أما طيبة فقد أصبحت الزوجة الالهية لآمون « شب ان وبت » الأولى تهيمن على مقادير الأمور بعد أن حجبت بمركزها أهميـة مركز الكاهن الأول الذى لم يسمع عنه فى هـذه الفترة ، فضـلا عن احتفاظها بكافة حقوقها الرسمية التقليدية بوضع اسمها داخل خرطوش ، ليس فقط لانها ملكة ، ولكنها كمصدر للسلطة باعتبارها زوجـة اله(١٢) .

أما فى الدلتا فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية فان الأحوال بلغت ذروة التفتت السياسى ابان تلك الفترة حوالى (٧٣٠ ق٠م) ففى « منف » ظل حكامهـا رؤساء « المـا » وكهنة بتاح العظـام يتوارثون حكمها ، أما شرق ووسط الدلتا ، فقد أشـارت نفس اللوحـة الى وجـود ملـكين « وسر كون » الرابـع فى تانيس و « ايوبوت » الثانى فى تل المقدام ، وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ، ومن المحتمـل أنه ظهرت لأول مرة امارة لرؤسـاء « المـا » جنوب شرق الدلتا فى « بر ــ جرر » (دار الضفدعة) والتى من المحتمل أن يكون موقعها عند الأطراف الشمالية لخليج السويس ، كما ظهرت امارة أخرى « للمـا » فى « بر ــ سبد » (صفط الحنة)(١٣) .

وفى شمال ووسط الدلتا ظلت « منديس » (تل الربع وتل تمى الامديد)(١٤) امارة « للمـا » حيث أخذ حكامها يتوارثونهـا ابنا عن أب منذ أيام « شاشانق » الثالث كما ظهرت امارة مستقلة

فى « ثب ـ نتر » (سمنود -ساليا) وامتدت لتشمل « بر ـ حبيت » (بهبيت الحجارة) و « سـما ـ بحدت » (تل البـلامون مركز شربين)(١٥) ٠

وأخيرا تكونت فى وسـط الدلتا امارة لرؤسـاء « المـا » حكمها « شاشانق » فى « بر ـ أوزير » (أبو صيربنا) ، أما غرب الدلتا فقد كان « تف ـ نخت » حاكم سايس يحمل لقب « الرئيس العظيم للغرب » ومدير ادارات مصر السفلى ، وملك الأقاليم الغربية، الى جانب الألقـاب الدينيـة مثل « كاهن نيت » و « واجت » و « سيد العامو » ، وغيرهـا من الألقاب التى تعكس حـكمه فى سايس حتى « بوتو » شمالا ، وكوم الحصن فى الجنوب الغربى ، وهكذا سيطر « تف نخت » على النصف الغربى من الدلتا(١٦) ٠

مما سبق يتضح تفتت خريطـة مصر السياسية بين الجنوب والشمال ، وداخل هذين الاقليمين الجغرافيين فى عصر الانتقـال الثـالث ٠

ثانيـا ـ ليبيـا :

(أ) الأحـوال الداخليـة :

١ ـ جغرافية ليبيا السياسية :

مازالت الأرض الليبية صامتة تماما فيما يختص بتاريخ ليبيا قبل استعمار الاغريق لبرقة ، مما جعل البعض يرجح خلو هـذه الأرض من الوثائق(١٧) ولذلك فانه ليس أمام أى باحث فى التاريخ الليبى الا الاعتماد على المصـادر والوثائق التى قدمهـا المصريون بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم منذ أن بدأوا تسجيل الأخبـار فى فترة قبيل الأسرات وقد بذلوا الجهد فى تصـوير الملامح والتقاطيع

والأزياء والأخبار الحربيـة الخاصة وزودنا بأسماء القبائل التى كانت تعيش هنا وهناك ومن بينها الليبيون ، ورغم أن هذه المصادر مليئة بالفجوات والثغرات مما يدعو الى التساؤل والاستفهام حيث انها لم تهدف فى المقام الأول الى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وانما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية ، وفى هذا الصـدد يقول « باتس » ان تاريخ الليبيين الشرقيين قبل هيردوت يجب الا يدعى تاريخـا بالمعنى المفهوم ، اذ لم تصـور لنا الوثائقَ سـوى نزاعهم مع شعوب أقوى وأكثر تحضرا ، كمـا أن هذه الوثائق هى فى الواقع تقـارير حربيـة سجلهـا الجانب الآخر(١٨) ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبى فى هـذه الفترة الا أن يجهد نفسه قدر الطاقة محاولا أن يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه ، وأن يعطى صـورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذى خلفـه عـدم العثور على نحت أو نقش أو تصـوير أو صناعات من أى نوع يعطى صورة لمـا وجد فى هذه الوثائق ، وكانت النتيجة مناقشـات طويلة واستنتاجات ومقـارنات وسردا لتعدد الآراء ونتائج غير مؤكدة الا فى القليل النادر .

الحقيقة ان الشـواهد الأثرية التى ترجع الى فترة قبيـل الأسرات تعتبر أول المصـادر المصرية التى تشـير الى الليبيين ، وما يمكن ملاحظته ان هذه المصادر جميعها ما هى الا مناظر عامـة لا تصحبها نصوص حيث أن الكتابـة المصريـة لم تكن قد اكتملت بعد ، أما الملاحظة الثانية فهى ان الاتجاه العام فى هذه المصـادر جميعها عبارة عن مناظر حربية تشير الى معارك بين فريقين ، فريق اتخذ هيئة المصريين وفريق آخر اتخذ صفات الليبيين الذين صورهم المصريون على آثارهم فى العصـور التاريخية ، وأول هذه المصادر هو « **مقبض سكين جبل العركى** »(١٩) الذى صور على أحد وجهى مقبضها معركة جرت على البر وفى المـاء بين فريق اتخذ هيئة العامة

للمصريين ، أما الفريق الآخر فيظهر وقد انسدلت جديلة من الشعر على جانب الرأس والصدغ لكل فرد من أفراده ، مما يقربهم من هيئة الليبيين ، الا ان الفريقين قد ظهرا بقراب يستر العورة ٠ أما معركة الماء فقد صور الفنان ثلاثة مراكب على الطراز المصرى ، ثم صور مركبين على طراز آخر مختلف ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرتها ارتفاعا كبيرا ، ويفترض عبد العزيز صالح ان المركبين الغريبين من مراكب السواحل المصرية الشمالية الغربية القريبة من الحدود الليبية ، خاصة أن أحد الفريقين المتقاتلين على البر تغلب عليه الهيئة الليبية كما اسلفنا ، بالاضافة الى وجود صورة لمركب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التى عثر عليها « لوت » فى تاسيلى(٢٠) ٠

فاذا انتقلنا الى لوحة **صيد الأسود**(٢١) فان ما يهمنا منها اشكال الصيادين ، فهم ملتحون تمام مثل الأعداء المهزومين على لوحة « نعرمر » المشهورة ويحملون الريش فى شعورهم ويرتدون كيس العورة ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم القصيرة ، هذه الذيول التى أصبحت عنصرا مميزا لملابس الفراعنة أنفسهم فيما بعد وطيلة التاريخ المصرى القديم ولا نراه فى العصور التاريخية على غير ملوك الفراعنة الا متدليا من ملابس الزعماء الليبيين المصورين على جدار يؤدى الى معبد هرم الملك « سا حو رع » من ملوك الأسرة الخامسة، وهؤلاء الزعماء الليبيون أنفسهم يلبسون كيس العورة ولهم خصلة شعر تقف منتصبة فوق جباههم ، الأمر الذى يذكرنا بالصل على جبين الفرعون(٢٢) ٠

وثمة لوحات طقسية أخرى بها اشارات عابرة لعل خير ما يمثلها **صلاية الفحل** التى يظهر فيها الملك فى شكل ثور قوى يهزم العدو ، ويعلق عليها جاردنر بقوله ان الهدف من تلك اللوحة

واضح ، فهى تمثل انتصـــار زعيم من مصر العليا على مصريين من الدلتا أو أعداء ليبيين(٢٣) ٠

ثم نأتى بعد ذلك الى مصـدر مهم من مصـادر فترة قبيل الأسرات ونقصد به ، **صلاية الحصون والغنائم أو لوحة الليبيين ، أو صلاية الجزية الليبية أو لوحة التحنو**(٢٤) ٠

وهذه اللوحة ذات دلالة أوضح من المصـادر السابقة ، فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات أكتاف لاشـك انها تشكل مدنا محصنة كانت جميعها تحارب معا فى تحالف استطاع الملك أن ينتصر عليها ، والعلامات الهيروغليفية داخل المستطيلات قصد بها أسماء الأماكن ، وصور الفنان على الوجه الآخر للصلاية غنائم الحرب التى شنها ملكه ، فصـور صفوفا من الثيران والحمير والكباش وصـور تحتها أشجارا زيتية صمغية وكتب بجانبها علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية وتدل على كلمة « تحنو » بمعنى أرض ليبيـا أو على الأصـح الأراضى الشمالية الشرقيـة من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا(٢٥) وتأتى اهمية هذه اللوحة من انها تحتوى على أقدم اشارة كتابية الى الليبيين أو التحنو أقدم العناصر الليبية التى عرفها المصريون ٠

من المصادر المهمة التى تشـير الى الليبيين صراحـة فى فترة بداية الأسرات **صلاية نعرمر**(٢٦) وما يهمنا من هذه اللوحة أن الفنان أظهر الملك على وجه اللوحة وهو يرتدى تاج الصعيد يأخذ بناصـية زعيم خصـومه ويهم بضربه بمقمعته ، وظهرت أمام الأسير علامتـان كتابيتـان تعبران عن اسـم منطقتـه ويحتمـل أن يكون « وع » أو « وعشى » وهو يتألف من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة ماء وظل الخطـاف رمزا لأقصى الأقاليم الشمالية الغربيـة للدلتا على حدود الصحراء الليبية(٢٧) ٠

أما نقوش الملك « ســاحو رع » من الأسرة الخامســة والتى وجدت على جدران معبده الجنازى فلعلها أول نقوش تمدنا بمعلومات مفصلة بعض الشىء عن التحنو ، حيث ألقت الضـوء على بينة التحنو الجسدية وملابسهم ، فكان هؤلاء الرجال طوالا لهم ملامح جانبيـة حادة ، شفاهم غليظة ، لحاهم كثة ، لهم شعر مميز ينمو كثيفـا على مؤخرة الرقبـة تصل خصلة الى الأكتاف مع خصلة صغيرة من الشعر فوق الجبهة ، والى جانب الحزام المثبت به كيس العورة ، كانوا يرتدون وشاحا عريضـا مميزا حول الكتفين يتقاطع طرفـاه الى الصدر ، وعقد تتدلى منه حلى(٢٨) ٠

بمقارنة الليبيين الذين ظهروا فى نقوش الملك « ساحو رع » مع الفريق الذى مثل على لوحات وصلايات فترة قبيل وبداية الأسرات المصرية ، لا نستطيع أن نجد فرقا كبيرا بينهم ، وان كان لتطور الفن ونضج الحضـارة فى تصوير بعض العناصر الفنية علاوة على وصـول الكتابة فى مصر الى مراحـل متقدمة ، الأمر الذى لم يتوافر للقطر الليبى لا يجعلنا نقطع بهذا الشبه ورغم ذلك يمكن القول ان الفريق الذى صور على وثائق فترة قبيل الأسرات والذى تغلب عليه هيئة الليبيين هم « التحنو » الذين جاء ذكرهم فى الوثائق التاريخيـة بوصفهم سكان الغرب ٠

لاشك ان بلاد « تحنو » كانت تقع غربى مصر ، ولكن أى المناطق العربيـة ؟ ، الحقيقة انه يمكننا تحديد موقع سكنى التحنو بصورة أدق من هذا الموقع العام ٠

هناك راى يرى ان هذا الاسم « تحنو » كان يطلق غالبا على المكان الذى كان يجلب منه النطرون المستعمـل فى مصر القديمـة لتحضير طلاء اشـكال الخزف والزجـاج(٢٩) الا ان هذه البقعـة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى عدد كبير من

الناس ، كما ان تصوير الأشجار ضمن الغنائم التى ظفر بها الملك كما أسلفنا فى لوحة التحنو يوحى بأن أرضهم لا تشمل بلادا صحراوية فحسب ، بل تشمل كذلك بقاعا خصبة فى غرب وادى النيل ، وعلى ذلك لابد من التفكير فى واحة توجد فى هذه الجهة قد تكون واحة « الفيوم » ، فاذا علمنا ان الاله سبك (التمساح) منذ القدم كان يقدس فى الفيوم وان هذا الاله مثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد « باش » وهى كما تحدثنا نقوش الملك « سا حو رع » جزء من بلد « تحنو » علاوة على أن نفس الاله « سبك » قد وجد فى نص يرجع تاريخه الى عهد الملك « طهرقا » يمثل بلاد « تحنو »(٣٠) .

وعلى ذلك يقرر « هولشر » ان بلد تحنو تقع فى أقليم وادى النطرون والفيوم خاصة وانه ليس هناك ما يناقض ذلك(٣١) .

الا أن هناك من يرى ان كلا من وادى النطرون والفيوم كانا معروفين للمصريين جيدا ، وقد وجدت أسماؤها على آثار الأسرتين الرابعة والخامسة ، كما أن وادى النطرون أقليم فقير يستطيع بالكاد اعالة ما لا يزيد على الألفين من البشر ، وفى مستوى معيشى فقير ، من هنا لا يمكن أن يكون هذا المكان مقرا لهؤلاء القوم الذين كانوا مصدر ازعاج للمصريين ، أما الفيوم فكان ينظر اليها منذ بداية التاريخ المصرى بوصفها أحد الأقاليم المصرية ، وكانت تسمى البحيرة ، أما الاله سبك فلم تكن عبادته مقصورة على الفيوم بل أن قائمة « ادفو » وصفته بانه اله المقاطعة الرابعة من مصر السفلى ، وكذلك وصف « سبك » بانه ابن الالهة «نيت » وقد عبد فى المقاطعة الصاوية ، بالاضافة الى ان حملة « سنوسرت » الأول ضد بلاد « تحنو » عادت بماشية كان من المستحيل أن تجد ما يلزمها من طعام الا فى أراضى تقع على شاطىء البحر المتوسط ، فاذا عدنا الى الوراء قليلا نجد أن مملكة الشمال فى الدلتا قد حاربت العناصر

الليبية منذ وقت مبكر ، وكما أسلفنا فان معظم مصـادر فترة قبيل الأسرات ، قد اشارت الى أن الحروب التى صـورتها كانت تقع فى شمال غرب الدلتا وقد وجد ليبيون من نفس الجنس مستقرين فى المنطقة الممتدة من شـمال غرب الدلتا حتى الفرع الكانوبى ، وهذا يسـاعد على تحديد الأقاليم الزراعيـة التى أسستها هذه الجاليات والتى كانت صالحة لتربية المـاشية والأغنام المذكورة على لوحة التحنو والتى ذكرها أيضا سنوسرت الأول ، فاذا علمنا أن المناطق الخصبة فى ليبيا تقع بالقرب من الفرع الكانوبى أيضـا حيث كانت الأرض صالحـة لنمو المحاصـيل الزراعيـة فكانت « يوسبريدس » (بنغازى) صالحة لزراعة الغلال و « قورينى » (برقة) تنتج أكثر من محصـول فى العام الواحد ، وعليه يمكن القول ان المناطق الممتدة من شـمال غرب الدلتا حتى أقليم برقة غربا ، ومن الواحات ووادى النطرون جنوبا حتى البحر المتوسط شمالا هى أقليم « تحنو »(٣٢) .

أما تفسير « نيو برى » لوضـع اسم « تحنو » بين عدد من الأشجار على لوحة الجزية سالفة الذكر والتى أعتقد انها شجرة الزيتون ، ويعلل وجهة نظره بان هنـاك نوعا من الزيت ذكر باسم « حانن تحنو » (زيت من الدرجة الأولى) وان كلمـة تحنو كتبت بنفس الطريقة التى كتبت بها بلاد تحنو ، وان أشجار الزيتون بكثرة فى مريوط والواحات وبرقة(٣٣) وقد اتخذ أصحاب الرأى السابق هذا التفسير دليلا على وجهة نظرهم ، وان كان الدارس يميل الى ذلك فهو يرى انه اذا افترضنا ان الشجرة المرسـومة على لوحة الجزية هى نبـات « السـلفيوم » الذى أشتهرت به « برقة » (قورينى) منذ القدم ولم ينم فى اى أقليم آخر ، خاصة أن المصريين سـموا هـذا الاقليم باسـم الشجرة غير المـألوفة فى مصر ، والمعروف ان المصريين كانـوا يعرفـون الزيتون جيـدا

ولا يعرفون شيئا عن السلفيوم(٣٤) نقول اذا افترضنا ذلك كان تأييدا أقوى لوجهة النظر التى ترى ان أرض التحنو تمتد حتى اقليم برقــة ٠

وهكذا نجد أن لفظ تحنو فى أقدم العصور كان يدل على اسم مكان خاصة أقرب الجهات الى مصر من جهــة الغرب ، ثم تغيرت دلالته بحيث صارت تطلق على جميع سكان المناطق الصحراويــة الواقعة فى غربى وادى النيل ، ثم لا تلبث هذه التسمية أن تفقد دلالتها العرقية الخاصــة لتصبح مجرد مصطلح جغرافى بحيث نراها تنجر بعد قيام الدولة المصرية القديمة على شعوب المنطقة الغربيــة ايا كانت سماتها وخصائصها العزقية وأيا كان زيهم وبذلك صارت هذه التسمية مساوية لمصطلح ليبى فى أوسع معانيه(٣٥) ٠

اما **التمحو** فلم يكونوا فرعا من التحنو ، بل كانوا جماعــة عرقية جديدة لون بشرتها فاتح وعيونها زرقاء بينهم نسبة كبيرة ذات شعر أشقر(٣٦) والحقيقة أن شــواهد ما قبل التاريخ ممثلة فى تلك اللوحات البدائية المرســومة على صخور الصحراء الليبية ، تشير الى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر فى فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذى حدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد (٣٧) والمعروف ان ذكر الوثائق المصرية للتمحو يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بعدة قرون ، حيث كان أول ذكر لهؤلاء القوم يرجع الى عهد الملك « ببى » الأول ثالث ملوك الأسرة السادســة اذ ذكر قائد جيشه « ونى » فى نقوش مقبرته فى أبيدوس ، أنه قــاد جيشا ضد بدو آسيا ، وان هذا الجيش كان يضــم فرقــة من التمحو ضمن عشرات الآلاف من شتى أنحــاء الجنوب من النوبيين من ايرثت ومجــاى ويام وواوات وكاو ومن بلاد التمحو(٣٨) وفى

عهد الملك « مرنرع » و « ببى » الثانى قام « حر خوف » بأربع رحـلات الى الجنوب سلك خلالها طريقين طريقـا يوازى النهر والدروب القريبة منه ، وطريقا يصـل بين الواحات عبر الصحراء الغربية ، وفى رحلته الثالثة سلك طريق الواحة من أبيدوس ويحتمل أن يكون هو طريق درب الأربعين وهنا علم « حر خوف » أن هناك نزاعا بين يام وقبائل التمحو فعمل على اصـلاح ما بينهمـا(٣٩) وقد ثار جدل كبير حول تحديد موقع « يام » التى تعتبر نقطـة النهاية فى رحلات « حر خوف » فيرى « اركل » انها فى دارفور(٤٠) بينما يجعلها « كيس » عند جزيرة ساى شمال الجندل الثالث(٤١) ويرى عبد العزيز صالح انهـا تقع قريبة من مجرى النيـل حول الجندل الثانى(٤٢) ويراها « جاردنر » جنوبى الجندل الثـانى ولكنها لا تصل حتى الجندل الثالث(٤٣) .

وتشير هذه الاختلافات جميعها الى امكانية وقوع بلاد « يام » جنوب غرب النوبة السفلى وطبقا لنص « حر خوف » فان بلاد تمحو تقع غرب بلاد يام « وجدت » رئيس يام قد ذهب الى أرض التمح ليضرب التمح فى ركن السماء الغربى(٤٤) ويرى عبد العزيز صالح ان قبائل التمحو انتشرت فى طريق الواحات غرب النيـل وامتدت حتى واحة سليمة(٤٥) ومن المعروف ان المصريين قد اتخذوا من التمحو جنودا لهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسـان « ونى » ، ومعنى ذلك ان التمحو عرفوا طريقهم الى مصر فلابد تبعا لذلك ان ازداد عددهم ، ومن ثم لا نستبعد أن يكون قادتهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذ ابـان تلك الفترة ، ولعل مكانتهم هـذه بالاضافة الى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التى دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار فى مصر ، حيث تشير الدلائل الى انه حدث زحف قـام به قوم من الجنوب فى فترة تعاصر عصر الانتقـال الأول فى مصر وانتشروا بمحـاذاة

النيل شمالا وقد تخطوا فى زحفهم الجندل الثانى ، ثم اكتسحوا فى طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الجندل الأول(٤٦) كما تدل نتائج الأبحاث الأثرية فى هذه الجهات ان هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج ، وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الأقدمين(٤٧) وليس امامنا ما يشار اليهم على هذا النحو الا التمحو الذين لا يستبعد انهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربى للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال ، لاسيما ان الكشوف الأثرية تدعم مثل هذا الاحتمال ، فقد عثر فى بلاد النوبة على مجموعة من المقابر لقوم ليسوا مصريين اطلقت عليهم بعثة «The Archaeological Survey of Nubia» اسم المجموعة (ج) أو المجموعة الثالثة ، وذلك لعدم معرفة اسمهم الحقيقى ، ولكن باكتشاف مقابر هؤلاء القوم بين الجندلين الأول والثانى فى زمن يؤرخ بالفترة من حوالى نهاية حكم الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة ، وحيث ان هذه الفترة تعاصر حلول فترة الجفاف الذى ازداد فى هذه الجهات منذ الألف الثالثة ق.م ، وكذلك فى عدم العثور على فخار سابق لفخارهم فى بلاد النوبة ، وفى ظهور فخارهم فجأة وفى مشابهة هذا الفخار للفخار الذى عثر عليه فى وادى هوى على بعد أربعمائة كيلو متر من الجنوب الغربى للجندل الثالث بين دارفور والصحراء الليبية ، كل هذا يشير الى ان أصحاب هذه المقابر وصلوا الى النوبة قادمين عن طريق جنوبى غربى(٤٨) ويؤيد ذلك أيضا ان صناعة وادى هوى أقل دقة وأخشن صنعا من صناعة قوم المجموعة الثالثة ، مما يدل على انها صناعة بدائية اذا ما قورنت بالأوانى النوبية ، وهذا يشير الى ان البداية كانت فى وادى هوى والتطور كان فى النوبة ، وهذا ما يقف سندا لاحتمال ان وادى هوى كان فى طريق هجرة التمحو الى الشمال ، ويوحى فى نفس الوقت بالصلة بين التمحو وأصحاب

مقابر المجموعة الثالثة وسكان وادى هوى ، ويؤيد ذلك ما توصل اليه « باتس » من ان تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت فى النوبة(٤٩) واذا كنا نميل الى رأى « باتس » فى ان قوم المجموعة الثالثة ينتمون الى الليبيين التمحو ، الا اننا لا نرى وجهة نظره فى الطريق الذى سلكوه للوصول الى هذه المنطقة ، وبالتالى موطنهم الأول ، حيث يرى انهم قدموا عن طريق شمالى سالكين الطريق المتجه جنوبا من واحة الخارجة واستقروا فى الوادى هناك(٥٠) وبما اننا توصلنا الى أن المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن أن نرجح ما ذهب اليه « ستايند ورف » الذى يرى انهم أتوا من الجنوب الغربى من كردفان واستوطنوا جهة الشلال الثانى للنيل أولا ، ويؤيد ذلك انتشار صناعة الفخار فى كل مكان من النوبة وفى كردفان وصلتها الوثيقة بصناعة المجموعة الثالثة « التمحو »(٥١) بالاضافة الى ذلك يمكن القول ان التمحو لم يرد ذكرهم على لسان « حر خوف » الا فى رحلته الثالثة من مناطق تقع الى الغرب من يام مما يوحى بأنه أوغل غربا أبعد من يام مما يوحى بأن بلاد التمحو تقع بعيدا جدا عن جنوب غرب مصر ، أضف الى ذلك اننا لم نسمع عنهم شيئا قبل هذا الاستيطان ، ويجب الا نغفل ان هؤلاء القوم وصلوا فى هجرتهم شمالا الى مناطق مقابلة للساحل الليبى للبحر المتوسط(٥٢) ولعل هذا ما دفع البعض الى الاعتقاد بأصول التمحو الأوربية(٥٣) وقد اختلف العلماء فى نظرتهم للصفات العسكرية التى اتصف بها « التمحو » ، فهناك من يرى أن التمحو (سكان النوبة السفلى) كانوا من جنس غير عدوانى محبين للسلام ولم يعتبرهم المصريون لائقين كرجال للجيش ، وتعليل ذلك عدم وجود أسلحة ضمن الأشياء المتنوعة التى عثر عليها فى مقابرهم ، كما أن الحصون المصرية مثل كوبان وايكور الموجودة فى قلب النوبة السفلى كان يخدم فيها جنود من كرمه بينما لا نجد

أثرا للتمحو(٥٤) وطبقا لما توصلنا اليه من ان المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن القول أن « أمرى » قد جانبه الصواب فيما ذهب اليه ، حيث أن عدم وجود أسلحة ليس دليلا قاطعا على أن هؤلاء القوم كانوا مسالمين فربما سرقت الأسلحة من تلك القبور خاصة وأنها قبور سطحية ، والمعروف ان اللصوص نهبوا معظم المقابر المصرية قوية البناء كثيرة السراديب(٥٥) بالاضافة الى ذلك فانه من المعروف أن « التمحو » وفدوا الى النوبة قبل احتلال ملوك الدولة الوسطى لها ، ولذا لم يدخل التمحو تحت الحماية المصرية طواعية بل أن ذلك تطلب معارك طويلة ، ويدل على ذلك الحملة التى قادها سنوسرت الأول فى عهد والده (امنمحات) الأول ، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حيث جاء فى نقش قصير وجد على صخرة قريبة من كروسكو ، انه فى السنة التاسعة والعشرين للملك « سحتب اب رع » (امنمحات الأول) ليعيش للأبد حضرنا لنخضع « واوات » (النوبة السفلى)(٥٦) وهى موطن استقرار قوم التمحو وقد أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة شبكة من التحصينات ، وبما أن هذه التحصينات اقيمت بعد استقرار التمحو فى النوبة ، فانها بالضرورة كانت للوقاية منهم وليست حماية لهم ، أما كون جنود هذه القلاع كانوا من كرمه وليس من التمحو ، فهذا أمر منطقى حيث انه لايمكن أن يدافع عن القلاع جنود من التمحو ضد التمحو ، واخيرا فان القول بأن المصريين لم يعتبروهم لائقين كرجال للجيش ، فان هذا يتناقض مع ما ذكره (ونى) عن اعتماده على فرقة من التمحو فى جيشه أثناء حملته على آسيا ، وعلى ذلك يمكن القول أن التمحو كانوا محاربين أشداء ، وكثيرا ما اضطر ملوك الدولة الوسطى الى مطاردتهم ، وقد رسمت صورهم أثناء عصر الدولة الحديثة ومن السهل التعرف عليهم بضفائرهم التى تتدلى أمام الأذن والمطروحة للخلف على الأكتاف ، وكانوا عادة يضعون ريشا فى

شعورهم ويلبسون أحيانا العبـاءات ، وكان سلاحهم هو القوس وأحيانا السيف أو العصى المعقوفة ، وهذه الملامح ذكرها « هيردوت » عن السرتيين الليبيين فى القرن الخـامس ق·م ومن هنا يمكن أن نستنتج أن التمحو هم أجـداد الليبيـين الذين عـرفهم الاغـريق فى برقة(٥٧) ·

أما المـاشواش فهم شعب ليبى وحدهم « بروجش » كمـا يذكر « جاردنر » بقوم المـاكسويس الذين ذكرهم هيردوت بالقرب من تونس ، وربما أشير للماشواش ضمن الشعوب الشمالية التى أخضعها « تحتمس » الثالث الا أنه لم يستعن بهم ، ومنذ ذلك الوقت ليس هناك ما يخص المـاشواش حتى عهد « حور محب » آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وقد وجد اسم المـاشواش على تمثال وجد فى مدخل معبد « رمسيس » الثالث بالكرنك ، وأقدم اشارة للماشواش كفرقة عسكرية ضمن فرق الجيش المصرى ترجع لعهد « رمسيس » الثانى حيث ذكروا مع الشردن والكهك والنوبيين، وربما أخذ هؤلاء أسرى فى معركة ليبية قبل أو فى عهد « رمسيس » الثـانى ، أما فى عهد « مر نبتاح » فكان المـاشواش ضـمن حملة منظمة قادها زعيم الليبوماراى ، وقد لعب المـاشواش دورا ثانويا فى الحرب الأولى « لرمسيس » الثالث مع الليبيين ، الا انهم كانوا العدو الأول فى الحرب الثانيـة ، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن المـاشواش أكثر من الليبو(٥٨) والحقيقـة أن هنـاك صفات كثيرة مشتركة بين الشعبين مما يثبت أنهما كانا من جنس واحد ولكنهمـا يختلفـان فى بعض التفصـيلات ، منها أن الليبيين كانوا لا يستعملون جراب العورة ، وأنهم كانـوا لا يختنون ، وان كان « ونرايت » يرى غير ذلك لأن « رمسيس » الثالث فعل بهم ما فعل بالليبو اذ قطع غلفهم وأيديهم أيضا ، بالاضافة الى أن « مرنبتاح » يقرر فى مناسبات عدة أن عضـو التذكير الليبى غير مختتن ، من

هنا يرى « ونرايت » ان الماشواش كانوا غير مختونين أيضا وأن اختلاف الملابس بينهم وبين الليبو كان مجرد نوع من الطراز وأن هذه الاختلافات كانت نتيجة تأثير شعوب البحر ، ومنها استعمال السيف الطويل ، واستعمال اشارة لابعاد الشر وهى الاشارة باليد فى هيئة القرن فى وجه الأعداء ، وهذا التشابه بين الماشواش وشعوب البحر يميزهم عن الليبيين الآخرين ، ومن الواضح أن الماشواش حصلوا على السيوف من أقوام أكثر منهم حضارة لأنهم كانوا مجرد رعاة وربما حصلوا عليها من شعوب البحر لآن بعض هذه الشعوب وبخاصة الفلسطينيون والشردن قد حملوها كذلك ، كما أن ندرة التكوينات المعدنية فى مواطن الماشواش لا تمكنهم من صنعها أما عن شكل اسم الماشواش ، فيرى « ونرايت » انه ينتهى ب « شـاه » ككثير من شعوب البحر مثل ايقواشا وتورشا وشكلش ، وبهذا يبدو أن الماشواش ينتمون لنفس المجموعة(٥٩) وهنا يمكن القول انه لا يبدو أن شعوب البحر قد أثرت تأثيرا عظيما فى الحضارة الليبية كما يزعم «ونرايت» وذلك لسبب بسيط هو ان هذه الشعوب لم تستقر بل لم تنزل الأرض الليبية (سيأتى الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد) وحتى لو سلمنا بأن الماشواش أقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر فان استخدام هـذا السلاح لم ينتشر على نطاق واسع على ما يبدو ، وربما حصلوا عليه من شعوب البحر نتيجة التقائهم مع شعوب البحر فى الأراضى المصرية أثناء حربهم مع « مرنبتاح » ، حيث ان شعوب البحر لم تذكر باعتبار انها على اتصال بالليبيين الا مرة واحدة خلال حكم « مرنبتاح » وربما كان ذلك نتيجة لاختلاط عديد من الغارات الليبية بغزو شعوب البحر(٦٠) أما بالنسبة لشكل اسم الماشواش فان « باتس » يقرر ان اسم « مشو » هو شكل شائع عند البربر ويعنى الشريف أو الحر ،

كما أن « شـــا » لايمكن أن تشتق من القبائل لانها كانت مستعملة قبل أن تظهر شعوب البحر فى افريقيا فى عهد « مرنبتاح »(٦١) وعلى ذلك نرى أن المـاشواش قوم ليبيون وليســوا من شــعوب البحــر •

اما الليبو فهم أحد الشعوب الليبية التى ذكرت فى نصــوص « رمسيس » الثالث ومن قبله فى عهد « مرنبتاح » ، وكان أول ذكر لهم قد جاء على أجزاء من لوحة (أو لوحات) من الجرانيت الأحمر عثر عليها فى حصــن العلمين وتشير الى ان « رمسيس » الثــانى قام بغزو بلاد الليبو(٦٢) معنى ذلك ان هذا الملك وصل الى برقة أو أبعد من ذلك حيث كان يقيم الليبــو ، يؤيد ذلك ان تحــرك « ماراى » بن ديد زعيم الليبو كان يستهدف النزول على أرض التحنو أولا ••• أن زعيم الليبو ماراى بن ديد انقض على اقليم تحنو برماته(٦٣) وقد سبق ان ذكرنــا ان اقليم « تحنو » يمتد حتى اقليم برقــة ، فاذا نظرنا الى الغنــائم التى حصــل عليهــا المصريون من الليبو والمـاشواش نجد انها تشمل ماشية وأغناما وثيرانا وحميرا ، وهذه الحيوانات لا تعيش الا فى مناطق رعوية غنية ان لم تكن زراعيــة ، والحقيقة ان اقليم برقة وما يليه من الأرض الليبية يتميز بذلك ، أما القول بأن رمسيس الثانى قام بغزو بلاد الليبو فهذا دليل على أن هذا الفرعون قد ســيطر على بلاد التحنو المجاورة لمصر ، أو انهم كانوا خاضعين له ، وخير دليل على ذلك ما قام به الفرعون من بناء سلسلة من الحصــون فى الصحراء الغربية من راقودة الى زاوية أم الرخم(٦٤) وآخر هذه الحصــون يحد القسم الشمالى من الحدود الغربية لاقليم تحنو كما تقع هذه الحصــون فى أراضيهم ، وهذا أمر ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأرض تحت ســلطانه •

والحقيقة ان بناء هذه الحصون خلف موطن التحنو يشير الى أن هـذه القبيلة لم تعد مصـدر خطر بالنسبة لمصر ، وان الخطر الحقيقى المتوقع يكمن فى قبيلة « الليبو » خاصة فى الوقت الذى بدأت فيه هجرات شعوب البحر تتدفق على آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه لذلك أدرك الفرعون خطورة الموقف لو أغار الليبو على مصر فى تلك الظروف ولاتقاء هذا الخطر بادر ببناء تلك الحصون .

بدأ الليبيون يلعبون دورا مهما فى التاريخ المصرى بعد ذلك ، فقد اشتركوا فى الحروب ضـد « مرنبتاح » و « رمسيس » الثالث، وكان أميرهم محرضـا للحروب التى لعب المـاشواش وشعوب البحر دورا مهما فيها ، ثم استطاعوا بعد حروب رمسيس الثالث أن يتسللوا الى البلاد وأن يحتل بعضهم مراكز مهمة فيها ، وكان ذلك نتيجـة لاضطراب أحوال مصر السياسية والأمنية بعد « رمسيس » الثالث ، حيث أضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيبته الالهية ، وبالتالى أختل الأمن الداخلى وبدأ الصراع بين طوائف المجتمع المختلفة ، وتعتبر مؤامرة الحريم التى تعرض لها « رمسيس » الثالث من أبرز الأمثلة على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية فى تلك الفترة ، ومما تجدر الاشارة اليه ان أحد المتهمين فى تلك المؤامرة كان من الليبو وكان يعمل حاجبا فى القصر الملكى(٦٥) كما نشبت حرب أهليـة فى عهد « رمسيس » الخامس أو السادس وفى عهد « رمسيس » الحادى عشر قامت ثورة ضـد « امنحتب » كبير كهنة آمون ، وثورة أخرى قـام بها « بانحس » نائب الملك فى النوبة(٦٦) وهكذا يبدو ان اضطراب أحوال مصر الداخلية فى تلك الفترة أدى الى اهمال الحدود الغربيـة حيث تركت مفتوحة نسبيا بعد رمسيس الثالث ، حتى أصبحنـا بعد ثلاثين عاما من موته نرى الليبيـين يتجولون فى مصر فى جماعـات للسلب ، ويسرد دفتر يومية العمال فى الجبانة الملكيـة بغرب طيبة

عدة أيام كان العمل معطلا بسبب الليبو ، وحينما كانت تأتى هذه العصابات الى العاصمة كانت تسبب الاضطرابات وتقضى على الأمن فيهـــا(٦٧) .

عندما حل الاستعمار الاغريقي على ليبيا لاحظوا تشابه العادات والأعراف التى كانت سائدة لدى الليبيين فى زمانهم مع « التمحو » والشعوب الأخرى السابقة عليهم ، وهذا التشابه يجعلنا نعتقد بأن القبائل الليبية التى عرفها المصريون هم الأســلاف المباشرون للقبائل الليبيـــة التى وجدها الاغريق ، فحـــل الأدرماخداى محل التحنو ، والجلجاماى محـــل الليبو والنسأمونيين محـــل المـــاشواش ، وسكن الأسبت جنوب برقة حتى بنغازى ، بينما استقر البكاليس فى توكرا « توخيره »(٦٨) وعلى ذلك يمكن توزيع القبائل الليبية التى وجدها الاغريق عند استعمارهم ليبيا وفقا لمـــا ذكره « هيرودت » على النحو التالى ، قبيلة الأدرماخداى وهى أقرب القبائل الليبية الى مصر حيث يمتد اقليمها من حدود مصر الغربيـــة حتى ميناء « بلونس » (سيدى برانى) ثم قبيلة الجلجاماى التى يمتد اقليمها من سيدى برانى حتى جزيرة « افروديدوس » (جزيرة كرســـة) غربى درنة ، وهم الذين نزل الاغريق بأرضهم وقادوهم بعد ذلك من ازيرس الى الموقع الذى أسست فيه مدينـــة قورينى ، ثم قبيلة الأسبوستاى ويليهم من جهـــة الغرب قبيلة الأوسخيساى الذين كانوا يقطنون منـــاطق المراعى ، وكانت تقيم بالقرب منهم قبيلة البكاليس وهى قبيلة صغيرة العدد ويتصل اقليمها بالبحر عند توكره (توخيرة) ، ومن أشهر القبائل الليبية واكثرها عددا هى قبيلة النسأمونيس التى كانت تقيم حول خليج سرت ، ويشير هيردوت الى ان هذه القبيلة كانت تترك قطعانها بجوار البحر صيفا حيث تذهب الى واحة أوجله لجنى البلح ، وفى ذلك اشـــارة الى أن موطن هذه القبيلة لم يقتصر على المنطقة الساحلية فقط بل كان يمتد الى الداخل حيث كانوا يسيطرون على واحـــة

أو جله ٠ أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرامنت التى كانت لها علاقة تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحيــة ومع الشعوب الافريقية من ناحية أخرى(٦٩) ٠

٢ ـ الحـالة الاقتصـادية :

بالنظر الى جغرافيــة ليبيا يمكننــا معرفــة مصادر ثروتها ، وبالتالى اهم الحرف التى مارسها سكانها ، والحقيقة أن ليبيا تتمثل فيها مظاهر السطح المختلفــة ، ففيهــا الســهول ســواء ساحليــة أو واحات ، وبها أيضا الهضاب المختلفة ، بالاضافة الى الصحراء التى تحظى بالنصيب الأكبر من مساحة هذا القطر ، وفيما يتعلق بالمناخ والنبات ، فهى مختلفة من قسم الى آخر ، فنجد الســهول الساحلية تتمتع بمناخ البحر المتوسط وتنمو بها النباتات واشجار النخيل والموز ، كما انها تقطع بعدد من الأودية التى تنحدر اليها من الهضبة وهى غزيرة المياه فى فصــل الشتاء ، وتكثر فى الأجزاء الغربيــة ظاهرة البحيرات العذبة التى هى فى الأصــل أجزاء من المســتودع المــائى الباطنى انهــارت سقوفهــا فبدت على شــكل بحيرات(٧٠) ، وتزداد الأمطار غزارة على مناطق الهضاب خاصة هضبة قورينائية ، وقد أدت هذه الأمطــار بالاضافــة الى اعتدال المنــاخ ورطوبة الجو الى نمو الغابات الطبيعيــة ، ومنها أشجار الصنوبر والبلوط ، وتشتهر هضــبة قورينائيــة بزراعة الحبوب والفاكهة والخضراوات والبقول ، وتقل الأمطار وبالتــالى النباتات كلما اتجهنا جنوبا نحو الصحراء حيث تنمو الحشائش التى يعتمد عليها السكان فى الرعى ، ويعتبر اقليم قورينائية من أشهر مناطق الرعى فى العــالم القديم ، حيث كانت تكثر به الأغنام والأبقــار والخيول ، أما اقليم الواحات الصحراوية ، فمناخه صحراوى عديم الأمطار ويشتهر بزراعة النخيل ، ويعتمد هــذا الاقليم اعتمادا كليا

على المياه الجوفية الغزيرة التى تكفى لزراعة الحبوب وتربية الحيوانات(٧١) وعلى ذلك اختلفت حرف السكان وتنوعت من منطقة الى أخرى ٠

اما حرفة الصيد ، فيمكن القول ان ليبيا تعتبر معرضا متنوعا للحيوانات البرية ، حيث توجد هذه الحيوانات بكثرة على طول الحدود الشمالية للصحراء الليبية ، وطبيعي أن تعتبر حرفة الصيد من عناصر الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية ، وفى نص يرجع تاريخه الى عهد « تحتمس » الأول وصف الليبيين بأنهم حملة جلود ، وذلك لكثرة استعمالهم لجلود الحيوانات التى يصطادونها، كما صورت الآثار المصرية الليبيين وهم يرتدون الجلود ملابس لهم ، كما أن الملكة « حتشبسوت » حصلت على عدد من جلود الفهود من قبيلة التحنو طول الواحد منها خمسة اذرع وعرضه أربعة(٧٢) ومن النقوش المصرية أيضا نتبين أن التمحو والليبو كانوا يضعون فوق رءوسهم ريشة أو ريشتين من ريش النعام كحلية شخصية ، وقد دفعهم ذلك بالطبع الى اصطياد النعام باستمرار ، هذا ان لم يكونوا قد حاولوا استئناسه ، كما أن بعض الصور والرسوم الصحراوية تظهر لنا كثرة وتنوع الحيوانات التى كانت موجودة فى الفترة التى نحن بصددها والأسلوب المتبع فى اصطيادها والأدوات المستخدمة فى ذلك ، فتظهر بعض الرسوم الصيادين فى جماعات منتظمة يعملون على صيد الحيوانات بالشباك والأسلحة البسيطة كالهراوات التى يثبتون فى أطرافها رءوس حراب حجرية ، أو يستخدمون النبال والرماح ، وتظهر رسوم أخرى بعض الصيادين وهم يرتدون ملابس جلدية ويلبسون اقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان وحمار الوحشي والذئاب والفهود وتمكنهم من خداع الحيوانات التى يريدون اصطيادها ، وتظهر رسوم أخرى صيادى الزراف والنعام(٧٣) ومن الطبيعى أن هذه الرسوم مرتبطة بالبيئة

التى كان يعيش فيهـا الرسـام ، وأن الحيوانات كانت من اهم الأشياء فى حياة انسان الصحراء .

واشار « سترابون » الى أن السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسـون صيد السمك حيث يساعـدهم عليـه عامل المد والجزر(٧٤) واشار «هيردوت » الى أن قبيلة النسأمونيس كانت تصطاد الجراد الذى يجفف فى الشمس ويطحن ثم ينثر على اللبن ويشرب(٧٥) .

وهـكذا يتضح أن الصيد كان من أهم الحرف التى مارسـها الليبون ويعتبر مصـدرا كبيرا من مصادر رزقهم وكسائهم .

أما الرعى فتشير النصوص الى الأعداد الكبيرة من الحيوانات المستأنسة التى كان المصريون يستولون عليهـا من الليبيين وقت الحرب ويستوردونها منهم فى أكبر الظن وقت السـلم ، من ذلك استيلاء الملك « سنفرو » على ١٣١٠٠ راس ماشية من الليبيين وقد خلدت ذكرى هذه المعركة على حجر بالرمو(٧٦) .

وفيما ورد من أخبار مصورة على بقايا جدران المعبد الجنازى للملك « ساحو رع » انه غنم أعدادا كبيرة من الثيران والغنم والبقر والحمير والمـاعز ، وفى عهد « امنحتب » الثالث يظهر المـاشواش الذين دخلوا مصر فى خدمة الملك ، رعاة لمـا كان يستورد من ليبيا من ماشية كانت تربى فى مصر ويستخرج منهـا الدهن ، وكذلك استولى « مرنبتاح » أثناء غزوه للمناطق الليبية على ١٣٠٨ رءوس من المـاشية(٧٧) ومن عهـد « رمسيس » الثـالث تشـير بردية « هاريس » الى أن هـذا الفرعون استولى على أعـداد كبيرة من المـاشية من جيرانه الليبيين(٧٨) اما الخيول فلم تعرف فى ليبيـا الا فى وقت متأخر نسبيا بعد أن تم ادخالها الى المنطقة من مصر

كمـا قام الليبيون بتربية النحل ، وقد أشـار هيردوت الى ذلك وأضاف بأن الصناع يستطيعون صناعة عسل صناعى ايضا(٧٩) ٠

وهكذا نرى أن الليبيين كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا فى حياتهم الاقتصادية على تربية الحيوانات وقد وجهوا اهتمامهم الى ذلك بعناية فائقة واظهروا خبرة ودراية فى هذا المجـال ، وقد ساعدهم على ذلك وفرة المراعى واتساعها وصلاحيتها لتربية أنواع مختلفـة وبأعداد كبيرة من هذه الحيوانات ٠

وقد أتاحت خصوبة التربة ووفرة المياه فى بعض المناطق لليبيين أن يعملوا بالزراعـة منذ وقت مبكر ، وأول اشـارة صريحة الى الزراعة الليبية تأتى من الأسرة التاسعة عشرة ، فقد ورد فى لوحة « اتريب » أن « مرنبتاح » بعد انتصـاره على الليبيين أخذ كل عشب يأتى من حقولهم ، ولم يعد هنـاك حقل مزروع ، كما نهب ما فى مخازن الرئيس الليبى من حبوب(٨٠) ٠

وعندما أخذت مصر تعتمد على الجند المرتزقة من القبـائل الليبية فى جيشها كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة اقطاعات من الأراضى يقومون بزراعتهـا ، وفى هذا دليل كاف على انهم كانوا يعرفون الزراعة ويقومون بها ، وقد ذكر « هيردوت » خصـوبة منطقة نهر « كينوبس » (وادى كعـام) الذى أقيمت عليه مدينـة « لبده » ومنطقة « يوسبريدس » وتعتبر الأولى من أخصب المناطق التى تزرع قمحا فى العالم اذ تغل محصولا يمـاثل بذره ثلاثمائة مرة ، وتغل الثانية محصـولا يماثل بذره مائة مرة فى السـنوات الخصبة(٨١) وقد اشار « ديودور » الى أن بعض القبائل الليبيـة كانت تمتلك أرضـا تزرعها وان الاقليم المجـاور ل « قورينى »

(برقة) يتميز بتربة خصبة حيث ينتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون(٨٢) .

وعلى ذلك يتضح أن القبائل الليبية حاولت استغلال الأراضى الصالحة للزراعة داخل اقليمها قدر استطاعتها وزرعت ما تحتاج اليه من محاصيل كالقمح والشعير والزيتون والكروم والنخيل وتشكل الزراعة احدى الدعائم الرئيسية لاقتصادها .

أما التجارة فقد كان لموقع ليبيا أثر كبير فى السيطرة على الطرق التجارية سواء منها ما يربط بين البحر المتوسط وأواسط افريقيا وخاصة مع السودان وتشاد أو تلك التى تربط شرق القارة وغربها ، وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر ، وقد عثر فى مصر على بقايا أثرية لا تأتى الا من وسط القارة مثل قطعة مقوسة من أنياب العاج والتى وجدت فى المعبد العتيق فى « نخن » فترة بداية الأسرات(٨٣) كما ورد فى نصوص الملكة حتشبسوت انها حصلت من قبيلة التحنو على عاج وسبعمائة سن فيل ، ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أى مكان آخر عدا السودان وتشاد(٨٤) وكان من بين الغنائم التى استولى عليها « مرنبتاح » من الليبيين أوان فضية وكؤوس شراب من الفضة وتروس وسكاكين بلغ عددها ٣١٧٤ قطعة ، كما أن هذا الملك غنم من الماشواش سيوفا من البرونز عددها ٩١١١ سيفا ، وقد أشير الى سيوف الماشواش أيضا فى غنائم « رمسيس » الثالث وقد لفت نظر المصريين فى هذه السيوف طولها غير العادى الذى يبلغ من ثلاثة الى أربعة أذرع(٨٥) .

ومما تجدر ملاحظته أن المصادر التاريخية لم تشر الى وجود المعادن فى ليبيا مما يرجح حصول الليبيين على هذه الأشياء من أماكن أخرى ربما من أوربا ، وكان ذلك عن طريق التبادل التجارى،

حيث كانت هذه القبائل تصـدر اليها بعض المنتجات الزراعيـة والحيوانية ، وتستورد فى مقـابل ذلك المعادن ، ومن المرجح أن جزيرة « بلاتيا » كانت مركزا تجاريا تقصـده القبائل الليبيـة المقيمة فى داخل برقة(٨٦) ٠

ونظرا لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية ، فقد أسس القرطاجيون مراكز تجارية على طول خليج سرت(٨٧) تنتهى عندها القوافل التى تحمل منتجات افريقيا وترسو بها السفن التى تنقل منتجات أوربا حيث يتم التبـادل التجـارى ، وكانت المنتجـات الافريقية تأتى عن طريق ليبيا الى أسـواق أوربا ، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج ، حيث عثر فى كريت على أختام وتمثال لقرد ، ثم الصوف والجلود والأخشاب وعلى رأسها الأبنوس الذى كان يأتى من أثيوبيا والأصباغ وريش النعام وبيضه الذى يعثر عليـه بعد الحين والآخر فى قبور الانزوسكيين فى ايطاليا ، والزيت والحبوب والملح والصمغ والذهب الذى يأتى عن طريق الجرامنت ، هـذا بالاضافة الى تجارة العبيد التى كانت رائجة فى هذه الفترة(٨٨) ٠

أما الواردات فكان أهمها الأسلحة والأدوات المعدنية والأوانى الفضية والأقمشـة والخزف والزجاج والفخار(٨٩) وسائر ما أحتاج اليه الليبيون ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعـه وكان الليبيون يلعبون دورا كبيرا فى هذه التجـارة مع الافريقيين من جهـة ومع القرطاجيين من جهة أخرى ، ويتولون قيـادة القوافـل التجاريـة ويسيطرون سيطرة تامة على الطرق الصحراوية ، وأهم هذه الطرق التجارية ، الطريق الساحلى من مصر حتى يوسبريدس (بنغازى) والطريق المتجه من طيبة (الأقصر) بمصر العليا الى واحة الخارجة فالداخلة فالفرافرة فالبحرية فسيوه فالجنوب ، ومن هنـاك يتفرع الطريق الى أوجلة ثم سرت أو الى فزان ، وهنـاك طريق يتجـه

جنوبا من أوجلة الى الكفرة ومنها الى دارفور ، وطريق من طرابلس الى فزان ثم تشـــاد ، وكانت البضـــائع تنقل على ظهر الثـــيران أو العربات التى يجرها الثيران ، وقد عثر على بعض الرســـوم الصخرية التى تصور ذلك(٩٠) ٠

ثالثـا ــ مصر وليبيا وشعوب البحر :

يعتبر عصر الدولة الحديثة من أهم الفترات التى خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يلقى أكبر قدر من الضـــوء على التاريخ الليبى قبل « هيردوت » ، ذلك ان عصر الدولة الحديثـة قدر له أن يعاصر ويعانى تحركات الهجرات الضخمة التى تسببت عن ضغط أقوام هندو ــ أوربية من البلقان والبحر الأســـود على السكان السابقين لاغريق العصر الكلاسيكى فى جزر وسواحل البحر المتوسط ، اذ ببداية القرن الرابع عشر ق٠م سقطت كريت فى أيدى الآخيين ، واتجــه هؤلاء يبحثون عن موطن جديد ، ولكن لم تلبث هجرات هندو أوربيــة جديدة وعنيفــة ان وفدت على شرق البحر المتوسط ودفعت أمامها الســـكان مما سبب عصرا من « الأزاحــة السكانية » ــ ان صح هذا التعبير ــ شعروا بوقعها بعنف فى الشرق الأدنى القديم وفى آسيا الصغرى ، وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان ، وقد أطلق المصريون على هذه القبــائل الوافدة اســـم « شـــعوب البحر »(٩١) ٠

ابان هذه الفترة اشتدت غارات الليبيين على مصر حيث بدأوا فى الهجمات ضــد المصريين بجراءة ، وجاء أول هجوم خطير من الغرب فى بداية عهد الملك « ستى » الأول ، والمعلومات المتوافرة عن هـــذا الهجوم أمدتنا بها الصـــور المنقوشة على أحد جدران معبد الكرنك حيث آشـــير فى تلك النقوش الى هؤلاء المهاجمين باسمهم القـــديم

« التحنو » ولعل المقصود هنا أقوام « الماشواش » التى سنراها فيما بعد تشكل السواد الأعظم من الحملات الليبية اللاحقه ضد مصر(٩٢) أما فى عهد « رمسيس » الثانى فقد اضطر هو الآخر للتصدى للمحاولات الليبية فى الدخول الى مصر ، حيث تشير النقوش التى زينت مسلاته المكتشفة فى تانيس الى ضم وحدات عسكرية من الليبيين الى الجيش المصرى ، وفى هذا دليل على أن هذا الفرعون هو الذى وضع اللبنات الأولى للسياسة التى سيسير على هديها خلفاؤه والمتمثلة فى ابعاد هؤلاء الليبيين عن طريق الاستنجاد بهم بالرغم من انهم مبعث الخطر أصلا ، وعلاوة على ذلك نجد أن « رمسيس » الثانى ينشىء سلسلة من الاستحكامات تمتد على طول الساحل المصرى المطل على البحر المتوسط غربى الدلتا حتى العلمين الحالية ، بل فى أماكن أبعد من ذلك غربا ، وهناك نص فى وادى السبوع بمنطقة النوبة مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد « رمسيس » الثانى يشير الى أسرى التحنو المستخدمين فى بناء المعبد هناك(٩٣) .

وهكذا نرى تصميم فرعون مصر على وضع منطقة « مراقية » البطنان وقورينى (برقة) تحت المراقبة العسكرية من عدة نقاط مبثوثة على طول الساحل وكانت هذه الاستحكامات كافية لاتقاء مخاطر جيرانه فترة حكمه ، الا أن فترة الراحة الطويلة التى منحها « رمسيس » لنفسه قرب نهاية حكمه لم تكن تتفق والتحركات التى تجرى فيما وراء الحدود الغربية لمصر ، ومن هنا تجددت المحاولات الليبية للنزوح الى مصر ، حيث ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا ، وزاد من خطرهم انضمام شعوب البحر اليهم ، وهكذا يبدو ان أخريات رمسيس الثانى الهادئة قد أعطت قبائل الليبو الفرصة وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات

لاخضـاع المـاشواش والحصـول على تأييد بعض شعوب البحر وتدمير القـلاع والحصـون والاندفاع بقواتهم صـوب الواحـات الشماليـة(٩٤) .

وترجع أسباب هذا الزحف من وجهة نظر بعض المؤرخين(٩٥) الى عدة أسباب ، منها زوال شخصية « رمسيس » الثـانى ذات الشهرة الحربية ، بالاضافـة الى العوامل الاقتصـادية حيث أن ليبيا بلد فقير لم يكن فيما مضى يقوم بأود سكانه الأصليين ، ولهذا كان السكان المهاجرون لمصر خلال كل العهود دائمى الرغبة فى أن يتركوا حياة الصحراء ويتمتعوا بالأمن والراحة على حدود وادى النيل ، وان كان الدارس يرى أن هـذا سبب غير منطقى بهـذه الصورة ، حيث أنه من المعروف ان المناطق الشرقية من ليبيا هى مناطق غنية بمحصولاتها وحيواناتها ـ ولاتزال ـ بدليل ما كان يذكره الفراعنـة من الغنائم الكثيرة التى يحصلون عليها من حملاتهم ضد الليبيين ، فهل من المنطق الحصـول على هذه الغنائم من مناطق صحراوية فقيرة ، بالاضافة الى أن غنى هذه المناطق سيكون من أسباب اندفاع الاغريق لاحتلال الاقليم الشرقى من ليبيا خاصـة اقليم قورينائية ـ وعلى ذلك يجب البحث عن أسباب أخرى لنزوح الليبيين الى مصر .

ويفسر « ويلسون » العوامل الاقتصـادية فى هذه التحركات تفسـيرا ربمـا يكون مقبولا ، حيث يرى أن شـعوب البحر حين اخضعوا كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية، ومن المحتمل أنه فى تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد اصابها الخمول ، من هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط ، وربما كان ذلك هو السبب الذى جعلهم ينضمون لليبيين ضد مصر فى هذه الحرب(٩٦) .

من هنا نرى ان شعوب البحر كانوا يعرفون دوافع الليبيين فى محاولة النزوح الى مصر أو أن هؤلاء كانوا بالفعل مستقرين فى غرب الدلتـا .

على أية حـال ما أن انقضت خمس سـنوات على اعتـلاء « مرنبتاح » عرش مصر حتى تعرضت البلاد لهجمة ليبية خطيرة ، حيث تمكن « ماراى » بن ديد أمير الليبو أن يجمع بين الحلفـاء من جنسه « قهق وماشواش » الى جانب خمسة من شعوب البحر هم ايقواشا والتورشا واللوكا والشردن والشكلش وأن يأخذ معه كل محـارب حسـن وكل رجل قتـال فى قبيلته وقد أحضر معه زوجه وأطفاله(٩٧) وكذلك فعل خلفاؤه اذ جاءوا بنسائهم وأطفـالهم ، كما جاءوا بالمـاشية والأسلحة ، ومع ذلك فان الحاجة هى التى دفعت بهم الى هـذه المغـامرة ، وتصـورهم نقوش الكرنك بأنهم « ... كالديدان لا يهتمون بأجسـامهم ، بل كانـوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر » ... رؤساؤهم ، لقد أتوا الى أرض مصر سـعيا وراء الطعـام الذى يسـدون به أفواههم(٩٨) على أية حال تمكن الفرعون « مرنبتاح » من الانتصار على الليبيين عند حقول « البر ـ ار » الواقعة شمال غرب منف وتمكن « ماراى » بن ديد من الهرب(٩٩) .

ان ارتداد الليبيين أمام « مرنبتـاح » لم يمنعهم من اعـادة الكرة ومحـاولة العودة الى مصر بعد ذلك بحوالى ثلاثين عاما ، فكان على « رمسيس » الثالث أن يرد حملتين قويتين نقرأ فى الأولى منها اسـماء الليبو والسبد والمـاشواش يعاضدهم شعوب البحر ، وفى حربه الثانيـة كان المـاشواش هم العنصر الغالب ومعهم اسماء كثير من القبائل والبطون منهم الليبو والأسبت والقايقش والهسـا والبقن ، والواقـع ان تهديد شعوب البحر فى عهـد « رمسيس »

الثالث لم يقتصر على تحالفهم مع القبائل الليبية فحسب ، وانما تحالفت أقوام كثيرة أخرى منهم للاقامة بصفة دائمة لا بمصر وحدها وانما بسوريا وفلسطين أيضا ، وقد أحضروا معهم نساءهم وأطفالهم وما يملكون فى عربات تجرها الثيران وهاجموا مصر فى السنة الثامنة من حكم « رمسيس » الثالث من الشمال عن طريق البحر ومن الشرق عن طريق فلسطين ، وكان من هذه الأقوام البلست والثكر والسكلش والدانونا والوشش والشردن ، وقد تمكن رمسيس الثالث من رد هذا الخطر ، وان نجحت بعض هذه الأقوام فى الاقامة بصفة دائمة فى الشرق الأدنى(١٠٠) .

الحقيقة أن هناك مسألة تجب مناقشتها بشىء من التفصيل ، وهى كيف تم التحالف بين شعوب البحر وبين الليبيين ؟

انقسم المؤرخون حيال هذه المسألة الى اتجاهين ، الأول يرى ان هذا التحالف قد تم على الأرض الليبية ، حيث ان شعوب البحر حين فكرت فى الاتجاه جنوبا ، كان الشاطىء الافريقى عند برقة أقرب اليهم من أى نقطة أخرى ، من هنا نشأت علاقات ودية بين ليبو برقة وشعوب البحر ، وكانت السيطرة على تجارة البحر المتوسط هى السبب الذى جعل هذه الشعوب تتحالف مع الليبيين ضد مصر ، وكانت الزعامة فى هذا التحالف لليبيين دائما ، وهذا يعنى أن القبائل الليبية كانت قوية ومتحضرة بما سمح بأن يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الايجية السابقة للحضارة الاغريقية الكلاسيكية(١٠١) .

اما الاتجاه الثانى فيرى أصحابه أن الفراعنة قد اصطدموا بجيوش شعوب البحر هذه اما فى فلسطين واما على ساحل دلتا النيل، وهذا يعنى أن تحالف شعوب البحر مع الليبيين قد تم داخل الأراضى المصرية ، وتعليل ذلك ان الملك « مرنبتاح » قد قاد بنفسه ـــ حوالى

نفس الفترة التى كان يحارب فيها ضد ليبيا ، وهذا ما فعله رمسيس الثالث أيضا ـ حملة او عدة حملات ضد شعوب البحر فى فلسطين ، وعلى ذلك فمن المستحيل القول بأن هذه الأقوام قد هاجمت مصر من الغرب مع الليبيين ، لأن ساحل مراقبة (البطنان) القورينائى ، شبه القاحل لا يكفى لاغراء هذه الأقوام الغازية بتجشيم أنفسها عناء عبور البحر بمراكبها لمجرد الحصول على غنائم لا تعدو بضعة قطعان من الماشية وبعض الأسرى الليبيين ثم ان جزيرة « فاروس » المواجهة لدلتا النيل قد اتخذت كمرسى لمراكب أولئك الغزاة(١٠٢) ولو كانت شعوب البحر قد استقرت فى ليبيا لكان لها الزعامة فى هذا التحالف بصفتها الفريق الأقوى المنتصر الذى استطاع التغلب على القبائل الليبية ويستقر بأرضهم بغض النظر عن مستوى الحضارة الذى لايمكن أن يفرض زعامة فريق مهزوم على فريق منتصر ، فالكلمة هنا للقوة وليست للحضارة ، كما أن الاستقرار يعنى الاقامة وممارسة الحياة اليومية وبالتالى كان لابد من وجود ما يشير الى اقامتهم فى هذه المناطق ، الا انه لم يعثر حتى الآن على أثر ايجابى يشهد بأن شعوب البحر هذه قد قدمت الى ليبيا واستقرت بها على نحو دائم فى تلك الحقب التاريخية ، علاوة على ذلك فان مجريات الأحداث تشير الى ان هذا التحالف قد تم على الأرض المصرية وكان وليد المصالح المشتركة بين الفريقين ، حيث أن قبيلة الليبو قد اجتازت أرض « مارماريكا » متجهة نحو المناطق الغربية من مصر ، وتصف نقوش الكرنك(١٠٣) هذه المناطق بانها كانت مكشوفة أمامهم قبل أن يتولى « مرنبتاح » عرش مصر ، ويبدو من سياق النص أن المهاجرين الليبيين بسطوا سيطرتهم عليها ، وبعد هذا التوغل فى الأراضى المصرية ربما وجد هؤلاء الليبيون ، خلفاء لهم من الماشواش والقهق الذين كانوا موجودين منذ عهد « رمسيس » الثانى ، حيث اننا لا نستبعد أن

يشجع تقدم الليبو فى الأراضى المصرية ، بنى جلدتهم على الانضمام اليهم وعمل زعيم الليبو على الاستعانة بهم لتحقيق هدفه ، فهم أخبر من غيرهم بقتال المصريين وأعرف بمسالك البلاد ، ولابد أن نجـاح الليبو فى الاستيطان على نحو ما مر بنا ، شجع أيضا المرتزقة من شعوب البحر ابان تلك الفترة على التمرد فى نهاية حكم « رمسيس » الثانى حيث ان الملك « مرنبتاح » يؤكد فى حديثه لرجال بلاطه وقوع الغزو الخارجى والثورة الداخلية فى وقت واحد » ٠٠ أقوام الأقواس التسعة ينهبون تخومها والثوار يغزونها كل يوم » فلعل المرتزقة فى الجيش المصرى من شعوب البحر حاولوا انتزاع شىء لأنفسهم وسط تلك الظروف ، ولعل تلك الحالة التى آل اليها امرهم هى التى لفتت انتبـاه زعيم الليبو لاستمالتهم والاستعانـة بهم ، وربما كان هذا ما دفع البعض الى القول بأن المتحالفين مع الليبو كانوا جنودا مصريين فارين من الخدمة فى الجيوش المصريـة قاموا بالانضمام الى اقوام الليبو والمـاشواش للقتال معهم ضد القوات المصريـة(١٠٤) .

ابان تلك الفترة تعرضت مصر لهجوم شعوب البحر الزاحفة عن طريق فلسطين(١٠٥) معنى ذلك ان هجومهم على مصر ، ربما تزامن مع زحف الليبو فوجد كل منهما فى الآخر حليفا له ، وبما أن الليبيين كانوا قد استقروا فى مناطق غرب الدلتا « ٠٠٠ لقد نفذوا الى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم ، ولقد نزلوا وأمضـوا أياما كاملة وشهورا قاطنين »(١٠٦) فقد كان لهؤلاء اليد العليـا وبالتالى كان لأميرهم الزعامة ، وحيث أن أناشيد النصر تنقش بعد تحقيقه فذكرت أن زعيم الليبو قد انقض على اقليم التحنو كله ثم ذكرت بعد ذلك الشردانا والشكلش وايقواشا وتركا والتورشا من شعوب البحر ، مما جعل البعض يعتقد بأن الليبيين تقلدوا قيـادة

هذه الكتل غير المنسجمة من شعوب البحر من ليبيا وهاجموا بها مصر ، الا أن التحالف فى الحقيقة تم داخل الأراضى المصرية .

بعد فشل الليبيين فى دخول مصر عنوة ، اتخذ ضغطهم شكلا آخر ، وهو وان كان اقل ظهورا للعيان الا انه ربما كان أكثر فاعلية ، وتمثل ذلك فى التغلغل البطىء الذى شجعه تجنيد المصريين للمرتزقة فى جيوشهم ، فبعد انتصارات « رمسيس » الثالث واستقرار الأمور فى مصر ، كان يستجلب الأعداد الغفيرة من بدو الغرب الأشداء فينشط بهم جيشه ويتخذ من صفوفهم حرسه الخاص ، وبالتدريج أصبح الجيش المصرى مع نهاية الأسرة العشرين فى أغلبه يتألف من جند المرتزقة ذوى العناصر الليبية ، وقد استقر هؤلاء فى واحات الصحراء الغربية خاصة الداخلة والبحرية فضلا عن الوادى نفسه ، كما استقرت جماعات منهم فى أهناسيا ، وتمركز بعضهم فى « تل بسطة » وهكذا أخذ هؤلاء ينشئون فى وادى النيل جاليات عسكرية يرأس كلا منها زعيم ليبى يحمل لقب كبير ال « ما » أى زعيم الماشواش ، ويبدو ان هذه الجاليات قد احتفظت بليبيتها عبر الأجيال ومع ذلك فان هذه العناصر الليبية قد تشربت مقومات الحضارة المصرية وأندمجت فى ثقافتها ، وساعد انحطاط السلطة المركزية فى مصر هؤلاء الزعماء الليبيين على تأسيس أسر حاكمة حقيقية داخل مصر ، وانتهى الأمر بأحد زعماء الأسر الليبية التى نزحت الى الفيوم بأن أعتلى عرش الفراعنة ونعنى به « شاشانق » مؤسس الأسرة الثانية والعشرين(١٠٧) .

هامش الفصـــل الأول

(١) من ترجمتـه بردية هاريس انظر B.A.R. IV 151. ff.

ويلسون : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٤٢٩ .

آلان جارونر : مصر الفراعنة ، ترجمـة نجيب ميخائيل ، القـاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٢٢ .

Faulkner, R.O., «Egypt From The Inception of the Nineteenth Dyansty to the Death of Ramesses III» C.A. H3, 2A, 1980, P. 245.

Cerny, J., «Egypt From the Death of Ramesses IIII o he End of the Twenty-First Dyansty» C.A.H, 2B, P. 626.

(٢) من الأمثلة التى توضح سيطرة عائلات كبار الكهنـة على الوظائف المهمة ، أنه فى عهد « رمسيس » الخامس كان « رمسيس نخت » كبيرا لكهنـة آمون فى الوقت الذى كان أبوه « مرى بارست » رئيسـا لمـأمورى الضرائب بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من أهم الوظائف فى البـلاد ، فكان ابنه « نسى آمون » كبيرا لكهنة آمون من بعده ، وابنه « وسر ماعت رع نخت » كبيرا لمـأمورى الضرائب والمشرف على أرض الملك .

انظـر Kitchen, K.A., Third Intermediate in Egypt, P. 46.

(٣) هناك نص من العام الثالث للملك « رمسيس » الخامس فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر ماخر من محجره المشهور ، وهذا أمر طبيعى ، ولكن اذا علمنـا أن عدد المكلفين بهذا العمل بلغ ثمانية آلاف عامل اتضح لنا ضخامة العمل الذى قطعت الأحجار من أجله انظر جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٢٥ .

(٤) فعل ذلك « وسركون » الثانى فى بوياسطة عندما محا اسم الفرعون « رمسيس » الثانى من كل أجزاء معبده وأهداه الى الالهة « باست » بعد

أن قام بتغيير أسماء المعبودات الأصلية التي كرس المعبد لها في الأصل ، بل أن قبر « وسركون » الثاني نفسه انما سرقت أحجاره من آثار ترجع الى أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة ، وقد غالى شاشانق الثالث في ذلك كثيرا حيث أقام بوابته الهائلة التي أقامها في تانيس من عمائر يرجع تاريخها الى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين والأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم .

ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٣٥ .

Kitchen, Third Intermediate, P. 319.

(٥) Kitchen K.A., «On the Princedomes of Late Libyan » C.D.E. 52, 1977, PP. 40 — 48.

Trigger, B.G. et ot, Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984, PP. 309 — 310.

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ، مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٣٥ .

(٦) بويوت : مصر الفراعنة ، ترجمة زهران ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٤ .

(٧) Grimal, N., «La Stéle Triamphale de Pi (ankh) y au Musèe du Carie. J.E., 48862 et 47086 — 47089 M.I.F.A.O., 105, 1981, P. 215.

(٨) Petrie, W.F., A History of Egypt, Vol III, London, 1905 ,PP. 270 — 271.

(٩) Grimal, Op. Cit., pI. VIII, L. 70.

(١٠) Daressy, G., «Fragments Haracleoplitains», A.S.A.E., 21, 1921, PP. 138 — 139.

(١١) Grimal, Op. Cit., P. 216; notes 632 — 634.

(١٢) بويوت : مصر الفرعونية ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

(١٣) Montet, P., Geographie de L'Egypte ancienne, I, Paris, 1057, PP. 206 — 208.

(١٤) Gardiner, A.E.O., 2, 151*

(١٥) Gardiner, A.E.O. 1, 180*, 195*, 1197*

(١٦) Yoyotte, J., «Notes et documents pour servri a L'Histoire de Tanis», Kemi, 21, 1971, PP. 35 — 52.

وقد تناول الدارس أحوال مصر الداخلية خلال عصر الانتقال الثالث بتفصيل كامل فى رسالته للماجستير انظر ·

احمد دراز : مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق.م. ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الزقازيق ، ١٩٩١ ·

(١٧) Carter, T.H., In Expedition, The Bulletin of the University Museum of the University of Pennsylvania,, Spring, 1963, Vol. 3, PP. 18 ff.

(١٨) Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914, P .210.

(١٩) وجد هذا الأثر فى منطقة جبل العركى تجاه نجع حمادى فسميت اصطلاحا باسمه انظر

Petrie, F.W., The Making of Egypt, London, 1939..

Frankfort, H., Studies in Early pottery of the Near East, London, 1024.

Childe, V.G., New light on the Most Ancient East, London, 1958

الدريد : الحضارة المصرية ، من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة مختار السويفى ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٦٩ ·

(٢٠) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ — ١٨٩ ·

هنرى لوت : لوحات تاسيلى ، ترجمة زكى حسن ، طرابلس ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٢ ·

(٢١) عثر عليها فى هيراكونبوليس ، الجزء العلوى منها محفوظ بمتحف اللوفر ، أما الجزء السفلى فمحفوظ بالمتحف البريطانى ·

الدريد : المرجع السابق ، ص ٩٤ وانظر أيضا

P.M. V, 104, N. 3, Childe, Op. Cit, P. 80 f.

Kees, H., Ancient Egypt, a cultural Topography, London, 1961, P .40.

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١ — ١٩٢ ·

(٢٢) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٢٣) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ وقارن عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢٤) عن لوحة التحنو انظر :

P.M., V, 105, No. 6.

Petrie, W.F., Ceremonial Slate Palettes, London, 1953

Murray, M.A., The Splendour That Was Egypt, New ed. London, 1964, P 1. IXVII.

جاردنر : مصر الفرعنة ، ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

(٢٥) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

Gardiner, A.E.O., I, 119*

(٢٦) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتى ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٥٠ ـ ٥١ شكل ١٢ .

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ حاشية ١٦٨ .

(٢٨) جيهان دايزنج : « البربر الأصليون » ، تاريخ افريقيا العام ، جـ ٢ اليونسكو ١٩٨٥ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

(٢٩) Holscher, W., Libyer und Agypter, Hamurg 1037 ,P. 21.

(٣٠) Macadam ,M.F., The Temples of Kawo, II, Oxford, 1949.

(٣١) Holscher, Op. Cit., P. 21.

(٣٢) Fakhry, A., Bahria Oasis, 1, 1924, PP. 5 — 6; Gardiner, A.E.O., 1, H 117* f

El-Mosallamy, A.H.S., «Lbiyco-Berber Relations wtih Ancieit Egypt, The Tehenu in Egyptian Records» Libya Antique, 2, 1986, P. 52.

(٣٣) Fakhry, Op. Cit., PP. 5 — 6; Gardiner, A.E.O. 1, 117* — 119*.

El-Mosablamy, Libya Antique, 2, 1986, P 52.

(٣٤) كان السلفيوم من الأمور التى لايمكن الكتابة عن برقة وتاريخهـا دون أن ينال ذكره ما استحقه من اطناب الحديث ، حتى ان اسم برقـة كان يعرف بالسلفيوم والذى لا يذكر اسمه دون أن يضـاف اليها ، وكان السلفيوم عماد الثروة فى قورينائية ، وقد ورد ذكر السلفيوم فى مصنفات القدماء كثيرا ، وحرص قدماء المؤلفين على وصفه ، بل انه ضرب على العملة ، وكان الغذاء والطب من أهم مجـالات استخدام النبـات . عن السلفيوم انظر : الهـادى أبو لقمة : السلفيوم الثروة المفقودة ، بنغازى ، ١٩٨٥ .

مراجع عقيلة الغناى : السلفيوم ، مصراته ، ١٩٩٤ ، شامو : المرجع السابق ، فصل ١١ .

(٣٥) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٧ ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣٦) Hölscher, Op. Cit., P. 24.

(٣٧) مورى : تادرارت اكاكوس — الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، منشورات مركز الجهـاد الليبى ، طرابلس ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٠ لوحـة ٨٣ .

كوبر : « من الصيد الى الرعى — ما هو العصر الحجرى الحـديث فى الصحراء الكبرى » الصحراء الكبرى ترجمة : مكائيل محرز ، طرابلس ، ١٩٧٩ ، ص ٧٨ .

هنرى لوت : لوحات تاسيلى — قصة كهوف الصحراء ، ترجمة انيس زكى ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٦٨ .

(٣٨) B.A.R. 1, 291 —294, 306 — 315, 319 — 324

(٣٩) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة ، ص ٣٨٩ .

امرى : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٣٤ .

Junker, H., «The First Appearance of the Negeroes in History», J.E.A., 7, 1921, P. 121.

(٤٠) Arkell, A.J., A History of the Sudan from Earliest Times to 1821, 2nd ed., London, 1961, P. 42 ff.

(٤١) Kees Op. Cit., PP. 128 f

(٤٢) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ٣٨٩ .

(٤٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ١١٩ — ١٢٠ ·

(٤٤) جاردنر : المرجع السابق ، ص ١١٩ ·

(٤٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ·

(٤٦) Steindorff, Aniba, 1, Hamburg, 1935, P. 8.

(٤٧) Ibid, P. 6.

امرى : مصر وبلاد النوبة ، ص ١٣٨ ·

(٤٨) Hölsher, Op. Cit., P. 55; Bates, Op. Cit., P. 254 c
Arkell, Op. Cit., P. 49 f
Bennetty Shaw, B., «Two Burials from The South Libyan Desert», J.E.A., 22, 1936, P. 47.

Bates, Op. Cit., P. 252.

(٤٩) Bates, Op. Cit., P. 245.

(٥٠) Steindorff, Op. Cit., P. 6.

(٥١)

(٥٢) أحمد حسن غزال : « ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت فى الألف الثالث ق.م » مجلة كلية الآداب العدد السابع ، بنغازى ، ١٩٧٥ ، ص ٣٠٤ ·

(٥٣) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٧، ص ٤ ·
Moller, Die gypter und ihr liby schen, P. 45.

(٥٤) امرى : مصر وبلاد (النوبة) ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ·

(٥٥) Peet, E, The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Dynasty, 2 Vol., Oxford, 1930.

B.A.R., 1 § 473.

(٥٦)

(٥٧) جيهان ديزانج : البربر الأصليون ، ص ٤٣٩ ·

(٥٨) Gardiner, A.E.O., 1. 119* — 120 *

(٥٩) Waniwright, G., « The Meshwesh, » J.E.A., 48, 1962 ,PP. 89 — 99.

(٦٠) دريتون — فانديه : مصر ، ترجمة عباس بيومى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٤٧٧ ·

(٦١) Bates, Op. Cit., PP. 42 — 46.

Zibelius, K., A fri Kanische orts, und volkeénamen in Hierogly-phischen und Hieratischen Texten, wiesbadan, 1972, P. 185.

(٦٢) Row, A., A History of Ancient cyéenaica, Claro, 1948, P. 4.

(٦٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٠٠ .

(٦٤) Habachi, 1., «The Military posts of Ramesses II, on The coastal Road and the Western of the Delta» B.I.F.A.O. 80, 1980, PP. 13 — 30.

O'ocnnor, D., «Egypt 1552 — 664 B.C. «C.A.H.» 1, 1982, PP. 922 — 923.

Rowe, Op. Cit., P. 4.

(٦٥) Cerny, J., «Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-first Dynasty C.A.H3, 1980, PP. 606 — 620

Edgerton, W.E., and Wilson J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 81 — 82

Gardiner, A.E.O., I, 121* — 122*

(٦٦) Cerny, C.A.H3, 2B , 625 — 626.

(٦٧) Ibid, PP. 620 — 626.

(٦٨) Rowe, Op. Cit., PP. 8 — 9

(٦٩) Bates, Op. Cit., P. 195.

(٧٠) ابراهيم رزقانه : جغرافيـة الوطن العربى ـ الملكة الليبيـة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤٤ ـ ٥٩ .

(٧١) عبد العزيز طريح : جغرافيـة ليبيـا ، القـاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

B.A.R., II, § 225.

(٧٢) Bates, Op. Cit., P. 193.

(٧٣) هنرى لوت : لوحات تاسيلى ـ قصة كهوف الصحراء الكبرى ، ط ١ ، ترجمة أنيس زكى حسن ، بيروت ، ١٩٧٦ ، أشكال ٢٤ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٨ .

مورى : تادرارت اكاكوس ـ الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة عمر البارونى وفؤاد الكعبازى ، ليبيا ، ١٩٨٨ ، أشكل ٨١ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ .

(٧٤) Strabo, XV II ,17

(٧٥) هيردوت : ٤ : ١٧٢ .

(٧٦) Urkunden ,1, 235 — 249.

B.A.R., 1 § 146.

(٧٧) Bates, Op. Cit., P. 95.

Wainwright, G., «The Mashwash » ,J.E.A., 48, 1962, PP. 89 — 99.

(٧٨) انظر أعلاه ص ٨ حاشية ١ .

(٧٩) هيردوت : ٤ ـ ١٨٣ .

(٨٠) Wilson, J., A.N.E.T., PP 376 — 378.

Bates, Op. Cit., P. 98.

(٨١) هيردوت : ٤ : ١٩٨ .

(٨٢) Diodorus, III, 49 — 50.

(٨٣) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة ، ص ٢١٦ .

(٨٤) Urkunden, IV, 373.

B.A.R., II, 225.

Bates ,Op. Cit., P. 101.

(٨٥) Waniwright, J.E.A., 48, P. 95.

B.A.R., III, § 250.

(٨٦) Boardman, J., The Greeks Over seas, London, Penguin Booke, 1964. P. 170.

(٨٧) لايمكن تحديد تاريخ تأسيس كل المستوطنات الفينيقية فى شمال افريقيا ، الا انه من المتفق عليه ان قرطاجة كانت أولى المدن الفينيقية فى شمال افريقيا ثم تلا ذلك تأسيس المراكز التجارية الأخرى مثل « لبده » و « اويا » (طرابلس الحالية) ثم « صبراته » وغيرها بالاضافة الى هذه المدن الرئيسية وجدت مراكز أخرى صغيرة تربط بين تلك المدن مثل « أساريا » (قرية سعيد

أو المايا) و « فاكس » وهى واحة بين الزاوية والمايا ، ثم « كاراكس » ثم « يوفرانتا » (سرت الحالية) اذا علمنا انه اتفق على تأسيس قرطاجة فى الربع الأخير من القرن التاسع ق.م يمكن القول ان هذه المدن والمراكز قد تلت ذلك وربما فى القرن السابع أو السادس . عن مناقشة ذلك انظر :

أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٦٣ – ٦٨ .

أحمد محمد منديشة : التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث ، بنغازى ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢ – ٣٨ .

(٨٨) Bovill, E.W., The Golden Trade of The Moors, London, 1968, PP. 18 — 22.

(٨٩) Bates, Op. Cit., P. 103.

(٩٠) Bates ,Op. Cit., P. 107.

(٩١) عن الاضطرابات فى شرق البحر المتوسط وشعوب البحر انظر :

Barnette, R.D. « the Sea peoples», C.A.H3., 2 A, 1980, PP. 359 — 371

Albright, W.F., «the Sea Peoples in Palestine», C.A.H3, 2 A, PP. 507 — 515.

Wainwright, G.A., «some Sea Peoples and others in the Hittite Archives» J.E.A., 25, 1939 PP. 148 — 152.

(٩٢) El-Mosauamy, Op. Cit., PP. 39 — 40.

(٩٣) Faulknor, R.O., «Egypt from Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III», C.A.H3., 2 A 1980, PP. 229 — 230.

Rowe, A., «A Hstoiry of Ancient Syrenaica» A.S.A.E., cahier No. 12, 1948, P. 4.

Habachi, B.I.F.A.O., 80, PP. 13 — 30; P.M., VII, 368 — 369.

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٩٨ .

(٩٤) بوبوت : مصر الفرعونية ، ص ١٣٩ .

(٩٥) Wilson, J., «the Libyans and the End of the Egyptian Empire», A.J.S.I., 11, 1935, P. 35.

(٩٦) Ibid, P. 75.

(٩٧) B.A.R., III § 579.

(٩٨) B.A.R., III, §§ 569 — 592

(٩٩) Bates, Op. Cit., P. 60.

(١٠٠) Edgerton, W.F., and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 35 — 38.
Neson ,H., «The Naval Battle Pictured at Medinet Habu», J.N.E.S. 2, 1943, PP. 40 — 55
Faulkner, C.A.H3, PP. 244 — 47.

(١٠١) فوزى جاد الله : مسائل فى مصادر التاريخ الليبى قبل هيردوت ، ليبيا فى التاريخ ، بنغازى ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨
Wilson, J. Aisl, P. 75.

(١٠٢) قامت بعثة جامعة بنسلفانيا فى عام ١٩٦٣ بالتنقيب عن آثار الليبيين فى عصر البرونز الذين سكنوا برقة معاصرين لمصر القديمة وجاء ذكرهم فى نصوصها فى القرنين الثالث عشر والثانى عشر ق.م واشتركوا فى الحروب بين شعوب البحر وبين المصريين ، ومحاولة العثور على مواقعهم الساحلية ولكن البعثة لم توفق فى تحقيق أهدافها .
Carter, T.H. In Expedition, The Buletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring, 1963.

(١٠٣) B.A.R. III, §§ 572 — 592.

(١٠٤) شامو : الاغريق فى برقة ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى ، بنغازى ، ١٩٩٠ ، ص ٤٣ .

(١٠٥) Naville, E., «Did Menephtah Invadesyria», J.E.A., 2, 1915, PP. 195 — 201.

(١٠٦) B.A.R., III, §

(١٠٧) Cerny, C.A.H, PP. 616 — 619, Gardiner, A.E.O. I, 120*
Kitchen, Third Intermediate, PP. 105 — 108.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٠ ، محمد الطاهر الجيرارى : « شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة » مجلة البحوث التاريخية ، جـ ٢ ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٨١ .

مصر وليبيا
فى عصر الأسرة السادسة والعشرين

اولا ــ مصر :

(أ) الأحوال الداخلية :

١ ــ ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين ٠

٢ ــ السياسة الداخلية لملوك الأسرة ٠

ثانيا ــ ليبيا :

(أ) الأحوال الداخلية :

١ ــ الاستعمار الاغريقى فى ليبيا ٠

دوافعه ــ نتائجه ٠

ثالثا ــ مصر وليبيا :

(أ) بسماتيك (الأول والثانى) ٠

(ب) ابريس وامازيس ٠

تمهيـــــــد :

تبوأت مصر خـلال عصر النهضة الصاوى مكانا مرموقا فى المجتمع العالمى ، والمقصود بالعصـــــر الصـــاوى هو الاشارة الى النظام والثقافة اللذين ســـــادا خــــلال عهود الملوك من بسماتيك الأول المؤسس الحقيقى للأسرة السادسة والعشــرين حتى عهد « بســــــماتيك » الثالث آخر ملوك الأسرة ، الا أن هذه النهضـــــة كان لها من المقدمات والعوامل ما ســـاعدها على الوصـــــول الى هذه المرحـــــلة ، فمنذ أن قام زعماء الليبـــو والماشــــــواش خلال الحكم الليبى المضطرب فى القرن الثامن ق.م بتوحيد الأقاليم التى تقع غرب الدلتا حول مدينة «سايس»(١) بينما ظلت المناطق الأخرى من البلاد مقســــمة ، ولا شك أن تلك الأراضى المترامية الأطراف والملتحمة والمتاخمة لليبيا والبحــــر المتوســـط كانت قادرة على اجتذاب الدعم الأجنبى (الليبى ثم الاغريقى) كما كانت معقلا أمام هجمـات الغزاة ســـواء النوبيون أو الآشــــــوريون ، ومنذ حكم الأســـرة الرابعة والعشرين (تف نخت ـ وباك ن رنف) (بوخوريس) ثم خلال حكم امراء سايس (نخاو با ـ نخاو الأول) قامت هذه الملكة بعرقلة اعتداءات النوبيين بل منازعتهم فى حكم مصر ، ثم قام « بسامتيك » الأول ابن « نخاو » الأول بخوض صــــراع شــــديد مع الكوشيين ثم الآشـــــوريين ونجح فى اعادة توحيد مصـــر ، وبعد أن كان

حكام سايس مجرد أمراء محليين أصبحوا هم ملوك الأســـرة القومية الوحيدة .

اولا ــ مصـــــــر :

(أ) الأحوال الداخليــة :

١ ــ ظروف قيام الأســرة الســادسة والعشرين :

فى بداية الأمر يمكن القول ان الآشوريين كان لهم الفضـــل الأول (دون عمد) فى قيام الأســـرة السادسة والعشـــرين ، حيث كانوا المعول الذى حطم العقبة الكبرى (الكوشيين) التى حالت دون قيام هذه الأسرة منذ عهد « تف نخت » .

اعتمد الآشــــــوريون فى ادارتهم لشئون مصر بعد احتلالها على يد « اسرحدون » على تعاون عملائهم من أبناء الوطن المحتل، فكان ذلك دافعا لأن يغير هؤلاء الأعوان موقفهم بمجرد عـــــودة الآشـــــوريين الى بلادهم « ... أبعدت جميع الكوشـــيين الى خارج البلاد ولم أبق على واحد منهم ليقدم لى فروض ولاء انطاعة، وحل محلهم فى جميع ربوع مصـــــر ملوك وحكام وضـــــباط ومراقبـــو موانى وموظفـــون واداريون جدد .. »(٢) الا انه بعد رحيل « اسرحدون » تمكن « طهرقا » من اســــــترداد « منف » بعد طرد الحامية الآشـــورية منها ، مما اضـــطر « آشور بنيبال » (الذى خلف أباه على عرش نينوى) الى ارســــــال حمـــلة عســـــكرية عام ٦٦٦ ق.م هزمت « طهرقا » وهنا اســـــتقر راى الملك الآشـــــورى على مطاردته ، فعزز قواته بفـــــرق عســـــكرية من فينيقيا وقبرص وســــوريا بالاضـــــافة الى الوحدات التى أرســـــلتها ممالك الدلتا ، وتوغل الآشــــوريون فى اقاصى صـــــعيد مصـــر ، وسيطروا على الوجه القبلى

وامتد سلطانهم على الأرجح الى أسوان ، بعد ذلك قام الملك الآشورى باستبعاد بعض العناصر المصرية التى لم يرتح اليها وولى من يثق فيه من الأمراء على مختلف اقاليم مصر ثم عاد الى بلاده ، وكما حدث فى المرة السابقة حاول بعض الأمراء استدعاء طهرقا لمحاربة الآشوريين ، الا أن الحامية الآشورية كشفت تدبيرهم فقضت على رسلهم وسيق قادة التمرد الى نينوى حيث لاقوا حتفهم ، ولم يمنح آشور بنيبال أيا منهم حياته الا نكاو الأول أمير « سايس » فثبته فى مملكته ربما باعتباره وريث الأسرة الرابعة والعشرين وسليل اكبر بيت منافس لبيت طهرقا ، كما منح ابنه « بسماتيك » امارة اتريب (بنها) ربما للاستعانة بهما وبكفاءتهما فى خدمته(٣) .

حوالى عام ٦٦٤ ق.م توفى « طهرقا » فى نباتا بعد أن اشرك معه فى الحكم خلال السنة الأخيرة ابن عمه « تانوت آمون » الذى قرر أن يسترد مصر ، فقام بحملة هى صورة من حملة الملك « بيـ (عنخى) » ، وحققت حملته هو الآخر نجاحا حيث قتل « نكاو » الأول أثناء المعارك وتوافد زعماء الدلتا يعلنون استسلامهم وأنابوا عنهم « باخرورى » أمير بى سويد » (صفط الحنة) لتقديم فروض الولاء والطاعة « ... نهض قائد مسكن سويد الأمير باخرورى قائلا : يمكن أن تقتل من تريد وتبقى على حياة ، من تريد دون أن يشكك أحد فى عدالتك عندئذ رد الجميع فى صوت واحد ، أمنحنا الحياة ياسيد الحياة ، فلا حياة بدونك ، سنخضع لك صاغرين ، وكما قررته منذ اليوم الأول يوم توجت ملكا(٤) ، الا أن نصر « تانوت آمون » كان قصير الأجل ، فمرة أخرى أرسل « آشور بنيبال » جيوشه الى مصر عام ٦٦٠ ق.م تقريبا وأعاد الاستيلاء على

منف وانسحب « تانوت آمون » الى طيبة ثم الى نباتا بعد أن اجتاح الآشوريون عاصمة آمون ونهبوها وأشعلوا النار فيها وسطوا على الكنوز التى تراكمت فى المعابد على امتداد قرون طويلة ، وبذلك وضع حدا للسيطرة الكوشية التى كانت أسمية فقط منذ الغزوة الآشورية الأولى حيث كان عمدة طيبة و « شين وبه » الزوجة الالهية لآمون . يحكمان طيبة لحسابهما الخاص وأن تضامنهما مع نباتا كان ضعيفا ، ثم كان نهب طيبة وسلبها نذيرا بانتهاء عالم بأسره حيث انهارت اسطورة حرمة معابد فرعون تحت ضربات الآشوريين ، وبموت « تانوت آمون » فى نباتا انتهت الفوضى السياسية التى كانت مختفية وراء السلطة النوبية الوهمية والتى تمحورت حول مراكز ثلاثة هى نباتا وطيبة ومنف(٥) .

وعلى ذلك استعاد الآشوريون التقسيمات السياسية السابقة على الغزو الكوشي ، وأكتفوا أحيانا بتغيير الحكومات القائمة ، وتصدرت « سايس » ممالك الدلتا ، وكانت تشمل المناطق التى حازتها المملكة فى عهد « تف ـ نخت » بالاضافة الى امارة أتريب ، وظلت دوائر الاستيطان الليبية القديمة فى أيدى أحفاد أعداء بيـ « عنخى » القدامى من سنتيوس (سمنود) الى بى سويد ، واستمرت مملكة تانيس قائمة تحت زعامة « بادى باست » الثانى .

٢ ـ السياسة الداخلية لملوك الأسرة :

كان بسماتيك الأول أكبر المستفيدين من الفراغ السياسى الذى تركه اختفاء « تانوت آمون » وريث الأسرة الخامسة والعشرين ، وقد أستغل هذا الوضع الاضطرارى لاقامة أسرة حاكمة جديدة واعادة استقرار مصر ، وفى سبيل

تحقيق ذلك عمل على تجميع السلطة الداخلية فى يده على غفلة من الآشوريين ، وعلى حساب منافسيه من الامراء الذين عاشوا فى نظام اقطاعى شجعه الآشوريون للابقاء على تمزيق السلطة بينهم(٦) ، كما كان عليه أن يتغلب على أطماع كهنة آمون رع فى طيبة ، بالاضافة الى التغلب على الضعف العسكرى والاقتصادى وفى سبيل تحقيق ذلك أتبع « بسماتيك » سياسة التهديد والترغيب ، فمنذ البداية اعترف به الآشوريون بصفته الملك الوحيد المتربع على عرش مصر وعهدوا اليه بادارة البلاد شريطة أن يحول دون حدوث أية ثورة داخلية ، ولم تكن مهمته سهلة ميسرة فقد استطاع أن يسيطر على غرب الدلتا بأكمله وعلى مملكتى « أتريب » و « هليوبوليس » الا أن امارتين فقط من امارات زعماء الما القديمة الواقعتين فى وسط الدلتا لم تعترفا بحكمه وهما « سبنتيوس » (سمنود) و « بوزيريس » ففى الأولى كان « أكناش » الثانى أميرا حاكما وكاهنا للاله « أونوريس — شو » وزعيما لـ « ما » وقائدا للجيش ، وفى الثانية كان « بماى » خلف « شاشانق » الخامس أميرا حاكما وكاهنا « لأوزير » وزعيما لـ « ما » وقائدا للجيش ، الا أن الامارتين عجزتا عن الصمود طويلا نظرا لتجاورهما ولمجاورتهما لمملكة « بسماتيك » ، أما فى «تانيس» فان « بدو باست » وربما « نفر كا رع » كانا يعتبران أنفسهما ندين لـ « بسماتيك » الأول ، لذلك كان السيطرة التامة لبسماتيك على ملوك الدلتا لم تتم الا فى العام الثامن من حكمه(٧) .

وقد لعب الأجانب دورا مهما فى سد احتياجاته العسكرية ، حيث كان العنصر الفعال فى جيشه مجلوبا من الخارج وبصفة خاصة من الكاريين والأيونيين(٨) . ويذكر « هيردوت » أن

بسماتيك تغلب على أمراء الدلتا المنافسين له بمساعدة مجموعة من مقاتلى الاغريق الذين قدموا فى سفنهم وهم يرتدون دروعا من البرونز تسربل معظم أجسادهم ، وأشار اليهم هيردوت بأنهم مجموعة من قراصنة البحار من أهل أيونيا وكاريا تصادق معهم بسماتيك واستعان بهم فى حروبه مع أمراء الدلتا وتمكن بواسطتهم من تحقيق النصر والانفراد تماما بالحكم(٩) . ولكن هناك من يعتقد أن أولئك المقاتلين كانوا يشكلون المدد الحربى الذى أرسلهم « جيجس » ملك ليديا طبقا لمعاهدة تحالف عقدها مع بسماتيك قبل ذلك ولم تعرف أخبار تلك المعاهدة الا من الكتابات الكلاسيكية التى أشارت الى أن ذلك النصر يعود الى موقع « سايس » الجغرافى حيث كانت تتاخم البحر المتوسط وتعتبر بذلك بوابة لسياسة خارجية نشطة(١٠) .

أما مصر الوسطى فقد وجد بسماتيك مساندة من جانب « سما تاوى تف نخت » أمير أهناسيا وربما يرجع ذلك الى وجود تحالف قديم بين بسماتيك وأمير أهناسيا ، حيث أن « سما تاوى تف نخت » ربما كان ينتمى الى هذه الأسرة من جهة الأم ، فأمه كانت أميرة تدعى (تاخـروان تا احيت ورت) وقد ذكرت بردية « رولاند » أن « سما تاوى تف نخت » قد نشأ فى بلاط سايس وعلى تمثالين لـ « باوى ايزيس » الأول يذكر أنه عين أميرا فى « نيت جر » ، وعلى ذلك فان « بادى ايزيس » هذا ربما كان قد تزوج من ابنة « نخاو » الأول أو « نخاو با » أو استفانيتس (تف نخت الثانى) ، ومن هنا كانت مساندتهم لـ « بسماتيك » الأول ، تلك المساندة التى كانت عظيمة الفائدة ، اذ وفرت للملك « سايس » الاشراف على طرق التجارة

النهرية عبر وادى النيل ، ومرور تجـــارة القوافل مع واحات الصحراء الغربية ومع النوبة وليبيا(١١) .

بعد أن اســـتقر الأمر لبسماتيك فى الدلتا ومصر الوسطى، بدأ يرنو بناظريه نحو طيبة التى كانت شبه مســـتقلة تحت امرة « منتو أم حات » . غير أن شـــأنها كان قد بدأ يضعف منذ انتهاء حلفهـــا مع نباتا وتدمير الآشـــوريين لها ، وعمـــل « بسماتيك » على الاستفادة من هذا الوضـــــع ، فقبل أن يبقى «منتو ام حات» وزملاؤه فى وظائفهم طيلة حياتهم ، بل ان بســـــماتيك قبل أن يخلف ابن « منتو أم حات » أباه فى وظيفته ككاهن رابع لآمون وحاكم للجنوب حتى وفاته فى العام الخامس والعشرين من الحكم، ومن ثم فقد اختفت هذه الأسرة من مركز القيادة فى طيبة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أن بســـماتيك فاوض « شبتن وبه » الثانية الزوجة الالهية لآمون وأخت « طهرقا » على أن يتركها فى منصبها بشـــــرط أن تتبنى ابنته « نيتو كريس »(١٢) . ومن خلال هذا التبنى كانت « نيتو كريس » تحكم طيبة باسم الملك ، وضمن بسماتيك بذلك لابنته الاشراف الروحى على معابد آمون وأتباعه ، والاشـــــراف المادى على ثروات طيبة وقد زودها باقطـــاعات أخرى من مصـــــر الوســـطى ومن الدلتا ، كان بعضها اهداءات من المعابد وربما من الأثرياء أيضـــا ، وجعل لها حاشية وأتباعا تشـــــبه حاشـــية الملكات تخيرت رؤساءها من رجال الدلتا ، وقد تجددت هذه العملية نفســـــها عندما أضـــــطرت « نيتو كريس » أن تتقبل « عنخ نس نفر ايب رع » ابنة بســـــماتيك الثـــــانى كخليفة لها فى المســـــتقبل ، والأمر الجديد هنا ، أن « عنخ نس نفر ايب رع » حملت أثناء الاحتفال بهذا التبنى لقب « الكاهن الأعظم لآمون » وهذه الوظيفة لم تحصـــــل عليها من قبل أية زوجـــة

الهية ، ومع ذلك فانها لم تصل الى المرتبة الأخيرة التى هى أكثر أهمية حتى ماتت نيتو كريس فى العام الرابع من حكم « ابريس »(١٣) .

وفى سبيل القضاء على الأمراء الاقطاعيين سلك « بسماتيك » أيضا سنة اتبعها خلفاؤه من بعده ، وهى الايحاء الى كبار أولئك الاقطاعيين بالتبرع بجزء من ثرواتهم العقارية للمعابد التى تحتضنها الدولة مع استمرار الدولة فى نفس الوقت على سياسة خلع المناصب الكهنوتية التشريفية على المقربين الى الملك حتى يستفيدوا من مخصصاتها ويقللوا من تضخم ثروات معابدها واحتكارات كهنتها ، ولا يثقلون فى الوقت ذاته على ميزانية الدولة بأعباء كبيرة ، وبهذا فان هؤلاء الملوك أشعروا الاقطاعيين المتبرعين بأن حكومتهم لا تبغى أن تقاسمهم ثرواتهم لصالحها الخاص وانما لصالح الأرباب كما أشعروا أنصارهم أصحاب الانعامات الجديدة بأن أنعاماتهم يمكن أن تعود ثانية الى الأرباب(١٤) . وبذلك عمل بسماتيك على اعادة تنظيم انجهاز الادارى فى الدولة ، ولكنه لم يتدخل فى شئون حكومة الوجه القبلى بصورة مباشرة ، وانما لجأ هو وخلفاؤه الى تدابير تكفل لهم السيطرة الكاملة على الجنوب ، فاتبعوا أسلوب العطاء مقابل الولاء (كما فعلوا مع منتو أم حات وشبتن وبه الثانية) كما أتبعوا أيضا أسلوب تعيين موظفين من أهل الشمال لادارة شئون الجنوب مثل « ابى » الذى عينته « نيتو كريس » رئيسا للخدم أى مديرا على أملاكها فى طيبة وأيضا الحاكم الجديد لادفو والكاب ، كما اعتمد الملوك الصاويون على العائلات الكبيرة فى الحفاظ على النظام والأمن العام ، وأعاد « بسماتيك » الى منف دورها السياسى والادارى وذلك

بنقل العاصـــمة اليها وان أبقى المقر الملكى والجبانة الملكية فى مدينة سايس(١٥) .

بهذه الاجراءات المتتابعة رأى بســـماتيك أنه حقق التوازن بين أولياء السـلطة فى مملكته ، فالصـعيد قسم سلطاته بين قوى مختلفة ، والدلتا اغـرى بعض كبارها بمناصـب فى الصـعيد ، وابنته أشرفت باسـمه على كهنوت آمون وأملاكه، ولم يبق أمام بســماتيك الآن الا طرد الآشوريين .

والحقيقة أن بســماتيك لم يجاهر الملك الآشورى العداء من البداية وقبل أن يتمكن من تدعيم موقفه فى الداخل ، بل ان أى خطوة يتخذها لاخضاع أعدائه فى الداخل أو فى الجنوب كانت تحظى برضـاء ملك آشـور وموافقته ، الا أن الظروف التى كانت تمر بها آشـور فى تلك الفترة أدت الى امتناع «بسماتيك» عن دفع الجزية لها ، حيث كانت الأخيرة تقاسى كثيرا من المتاعب التى بدأت فى عيلام وبابل ، فضلا عن ثورات الولايات السورية ، والاشـتباك مع ليديا فى معارك طاحنة ، وقد اتصل «بسماتيك» بملك ليديا « جيجس » وتم التحالف بينهما واسـتمر من حوالى ٦٦٤ الى ٦٥٧ ق.م على أن ينجـد الواحـد منهما الآخـر وقت الأزمات ، وربما قوى هذا التحالف انغماس الآشـوريين فى مواجهة الثورات التى اندلعت فى كل ركن من أركان امبراطوريتهم، والتى كان لمصـر دور كبير فى انفجارها اما بالمسـاعدة واما بالتحريض(١٦) .

والحقيقة انه ما ان جاء العام الثانى عشر من حكمه حتى اتم طرد الحاميات الآشورية من مصر تماما(١٧) . وان كنا لا ندرى شيئا على وجه اليقين عن كفاح المصـريين ضد آشور ، ولا كيفية اجلاء حاميتها عن مصر ، لأن النصـوص المصريـة لم تذكر

شيئا مفصلا عن هذا الحدث ، والأمر كذلك بالنسبة النصوص الآشورية . ومن هنا كان من الصعب علينا أن نتعرف بالضبط على كيفية انهاء الحكم الآشورى فى مصر ، وكل ما نستطيع أن نقوله : هو أن « بسماتيك » الأول بعد أن تمكن من استعادة الوحدة فى مصر تمكن من اعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا ، وضم اليه جنودا من الأيونيين والكاريين ، واكتسح بهذا الجيش الحاميات الآشورية التى كانت تعسكر فى الدلتا ، ففر هؤلاء الى فلسطين وتحصنوا فى اشدود ، ورأى «بسماتيك» كما رأى « أحمس » من قبل فى حرب الهكسوس ، انه لا اطمئنان له الا اذا اجتث الشر من جذوره ، ومن ثم فقد تعقبهم الى هناك ، وانتهز الفرصة ليعيد لمصر شيئا من مركزها فى غربى آسيا .

على أية حال اذا كنا نحمد لـ « بسماتيك » جهاده لتحرير مصر من الآشوريين ، واعادة الوحدة لها ، الا اننا نأخذ عليه تشجيعه للأجانب من مدنيين وعسكريين على الاقامة فى البلاد ، مما كان له أسوأ الأثر فى الفترة اللاحقة ، صحيح أن هناك قسما من السكان الوطنيين كان مكرسا الحرب ، ولكن صحيح أيضا أن اليونانيين الذين تعمد « بسماتيك » تشجيعهم على الانضمام الى جيوشه (ربما ليتم بهم الموازنة بين المحاربين الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمراء المحليين فى أقاليمهم الخاصة) كانوا سببا مباشرا أو غير مباشر فى اضعاف الروح القومية ، وابعاد المصريين تدريجا عن الجيش ، هذا فضلا عن أن الجيوش التى وجهها « جيجس » الى « بسماتيك » جاء فى أثرها تجار ايونيون أسعدهم كثيرا الاقامة فى أرض بمثل هذا الخصب والثراء ، وسرعان ما استغلوا مهارتهم كتجار فكانوا يقومون بنقل القمح الى

بلادهم فى مقابل فضـــة يدفعونها للملك الصـــاوى ، وبمرور الزمن أخذت الثروة تتكدس فى أيديهم يحميها نفوذ الحاميات من أبناء جلدتهم التى انتشرت على التخوم الغربية والجنوبية والشمالية الشـــرقية ، ويروى « هيردوت » أن بســـماتيك الأول أوصى بتكوين طائفة من التراجمة لتيســـير التفـــاهم بين الوافدين الاغريق وبين هيئات الجيش والبلاط والادارة(١٨) .

وقد ســـار خلفاء بســـماتيك الأول على نهجه فى الاعتماد على المرتزقة الاغريق فى الجيش ، فيشـــير هيردوت الى أن المصـــريين قد اســـتعانوا فى عهـــد « نكاو » الثـــانى بالاغـــريق فى بناء أســـطولهم على غرار الســـفن المقاتلة الاغريقية من ذوات الثلاثة صـــفوف من المجـــاديف(١٩) . كمـــا اســـتعان بهم « بســـماتيك » الثانى . ويتضح ذلك من النصوص التى سجلت حملته على الجنوب ، ومن هذه النصوص نقش تذكارى شـــهير دونه بعض مرتزقة الاغريق الذين كانوا ضـــمن جنود تلك الحملة على ســـاق أحد تماثيل « رمسيس » الثانى القائمة عند بوابة معبد « أبو ســـمبل »(٢٠) ، كما يشـــير نص منقوش على لوحات بالقـــرب من البوابة الثانية فى معبد الكرنك الى جند المرتزقة بجنســـياتهم المختلفة(٢١) . والمصـــدران يدلان على اعتماد الفرعون على المرتزقة الاغريق ، أما الملك « أبريس » (واح ايب رع) فكان يقرب الأجانب اليه كثيرا خاصـــة الاغارقة والكاريين وأكثر من ذلك أنه ترك الأغارقة يرتدون الدروع ويســـيرون مســـلحين فى طرقات المدن كما يشـــاءون وبلغ تذمر المصريين ذروته عندما أرســـل الفرعون جيشا من المصريين و (الماخيموى) فقط لنجدة « ادكران » الليبى ضد اغريق برقة(٢٢) . وقد أشيع أن الفرعون قد دفع بجنده المصـــريين (الماخيموى) الى برقة بقصـــد التخلص منهم هناك ، لأنه كان يشـــك فى ولائهم له ،

مما أدى فى نهاية الأمر الى الصراع بين العناصر الأجنبية والمصرية فى الجيش ، وأنتهى هـذا الصراع بمقتـل « ابريس » حيث خلفه « أحمس » الثانى (امازيس) على عرش مصر(٢٣) .

لقى الملك الجديد قبولا حسنا من المصريين المناهضين للأجانب ، وتلك كانت العقبة الأولى التى اعترضته ، حيث أن الفرعون كان يدرك تماما أنه لا يمكنه أن يطمئن الى سلامة البلاد وأمنها الا بوجود هؤلاء الجنود المرتزقة ، لأن الحالة فى غربى آسيا كانت قد وصلت الى أبعد حد من السوء ضد مصر ، كما أن قوة اليونانيين قد ازدادت فى البحر المتوسط ولم يكن من حسن السياسة اضعاف الجيش وجلب عداوة جميع الدويلات اليونانية وشل اقتصاد مصر اذا ما تعرض للتجار الأجانب وطردهم من مصر ، وفى نفس الوقت كانت الروح الوطنية قد تأثرت بسبب وجود الأجانب ، ولهذا فقد لجأ « أمازيس » الى وسيلتين لحل المشكلة ، الأولى أنه ارضاء للشعور الوطنى خاصة فى الجيش ، أمر باستدعاء اليونانيين من الحاميات التى على الحدود وارسال الجنود المصريين ليحلوا محلهم ، ثم أمر باسكان هؤلاء الأجانب فى أحياء معينة من « منف » ليظلوا تحت رقابة بلاطه كما ألحق بعضهم بحرسه الخاص ، أما التجار الاغريق الذين انتشروا فى دلتا مصر من شرقها الى غربها وتوسعت امكاناتهم حتى أصبحوا يمتلكون سفنا لها أحواض فقد أمر بازالة مستودعاتهم التجارية من كل أنحاء البلاد ، وفى مقابل ذلك منحهم مدينة نقراطيس(٢٤) .

وقد ادت سياسة « أمازيس » الى حفظ التوازن بين استرضاء المصريين وبين اتقاء خطر الكلدانيين ومن بعدهم

الفرس ، حيث نجح فى عقد المعاهدات مع الدول الصديقة ومن بينها « قورينى » (برقة) حيث تزوج من ابنة ملكها وكانت تدعى « لاديكا » وهى من أصل اغريقى ، وهذا التصرف من جانب الفرعون يجعلنا نعتقد أن القبائل الليبية فى تلك الفترة كانت لا تمثل أى تهديد لمصر خاصة بعد هزيمتهم أمام الاغريق فى معركة « اراسا » حيث ان هذا الزواج يعتبر تحديا سافرا لليبيين وتغيرا كبيرا فى سياسة مصر تجاه ليبيا ، عندما توفى الملك « أحمس » الثانى (أمازيس) فى نهاية عام ٥٢٦ ق.م ، كان قد ترك لأبنه وخليفته « بسماتيك » الثالث ، تركة مثقلة بالأعباء تحدق بها الأخطار ويكاد الغزو الفارسى يطبق عليها بعد أن تأجل عدة سنوات بسبب الموقف الدولى الذى كان يشتعل بالمتغيرات المصيرية لمعظم دول المنطقة ، وبسبب حكمة أحمس نفسه ، علاوة على مصرع ملك فارس (قورش الكبير) فى معركة ضد الثيرانيين عام ٥٢٩ ق.م ، وفى عام ٥٢٥ ق.م كان الملك الفارسى « قمبيز » يتقدم بجيوشه الى حدود مصر الشرقية معلنا بذلك قرب نهاية العصر الصاوى .

والحقيقة أن العصر الصاوى هو عصر ازدهار ورخاء ، ساعد عليه ما قام به ملوك هذا العصر لارساء قواعد السلام والأمن بين ربوع البلاد ، والضرب بشدة على أيدى الأشرار وقطاع الطرق مما مهد الطريق أمام فلاحى مصر الى مزاولة أعمالهم العادية ، وانعكس ذلك بالتالى على المحاصيل الزراعية المصرية وتطورها كما وكيفا ، وخلال موسمين أو ثلاثة تضاعفت ثروة البلاد ، كما عمل فراعنة هذا العصر على انماء التجارة بين مصر وبين الاغريق والفينيقيين ، ويشير الى ذلك محاولة « نكاو » الثانى ربط الدلتا بالبحر الأحمر بطريق مائى (لتشجيع التجارة البحرية وزيادة الاستفادة من مواردها)

بشـــق قناة تجرى من فرع النيل اليوباســطى القديم حتى خليج السويس أو البحيرات المرة قرب مدينة الاســماعيلية الحالية ، وأيضا ايفاد هذا الفرعون بعثة بحرية للدوران حول افريقيا بهدف الكشـــف والمعرفة وفتح أســـواق للتجارة وأملا فى توسيع النفوذ المصرى(٢٥) .

ونلمس هذا الرخاء الاقتصادى فى كثرة الانعامات والهبات التى أغدقهــا الفراعنة على المعابد المصريــة بل الأجنبية ، فتشير لوحة كبيرة عثر عليها فى الكرنك الى كثرة الهبات والعطــايا والثروات التى انهالت على « نيتو كريس » ابنة بســـماتيك الأول ، عند وصـــولها الى طيبة لتصبح زوجة الهية لآمون ، حيث حصلت على ما لا يقل عن ٢٢٣٠ فدانا ، كما زودها رجال الكهنة بمواد تموينية وفيرة أضـــيفت اليها كميات ضـــخمة من الخبز أســـهمت فى تقديمها معابد المدن الرئيسية ، ويشـــير الى ضخامة هذه الثروة ، تعيين وكيل لادارتها(٢٦) .

وعلى لوحة « لابريس » من ميت رهينة يذكر انه اهدى معبد « بتاح » هبة معفاة من الضرائب تضـــم الأقاليم المجاورة بما عليها من ماشية وخدم وما تنتجه الأرض من محاصيل(٢٧) . وقد أســـهم « أمازيس » فى اعادة بناء معبد « دلفى » الذى كان قد تهدم ومنح العديد من المعابد اليونانية هدايا سخية(٢٨) .

كما نلمس الرخاء الاقتصـــادى أيضـــا فى مدى ثراء المقابر التى شيدها الأشـــراف فى طيبة أو فى جبانات « منف » القديمة وما أقامته « عنخ نس نفر أيب رع » ابنة « بســـماتيك » الثانى من جهاز ادارى ضاوى فى طيبة أظهر ترفا وبذخا يمكن أن نتصوره من ابداع المقبرتين اللتين أقامهما فى العساسيف « شاشانق » بن

« حارسا اية » و « بادى نيت » ، وكانا يشـــغلان منصب رئيس اســـتقبال آمون ، فاذا كان هذا يخص الأشـــراف ورؤساء الاســتقبال ، فما بالنـا بمقابر الملوك وآثارهم التى انتشرت فى شــمال الوادى وجنوبه وقد تركز أهمها فى رحاب ثلاث مدن كبيرة هى : « سايس » و « منف » و « طيبة » وعلى ســبيل المثال أقام الملك « أحمس » الثانى (أمازيس) للالهة « نبت » البوابات الضخمة ، كما أنه شــيد معبدا لوحى الاله آمون فى واحة ســيوه(٢٩) .

كما نلمس هذا الرخاء الاقتصــادى فى ذلك العصر من خلال اســتعانة الفراعنة بالجند المرتزقة باعداد كبيرة ، وأيضا استقرار التجـار الأجانب فى مصر واقامة الوكالات التجاريـة ، فالجند المرتزقة يحتاجون الى موارد كبيرة للانفاق عليهم ، واقامة الوكالات التجـارية يشير الى كثرة البضـائع التى تمكن المتاجرة فيها ويشير أيضا الى استقرار الأمن والنظام فى البلاد .

مما سبق يمكن القول ان « بسماتيك » الأول مؤسس الأسرة السادســة والعشـرين قـد اســتفاد من كافــة الأوضــاع المحيطة به ســواء فى الداخل أو الخارج ، فتقرب من الآشوريين حتى قضــوا له على قوة خصــومه فى الشــمال والجنوب ، وأخذ يعمل على تجميع الســلطة الداخلية فى يده فى ظــل تبعيته للآشــوريين ، وما أن تم له ذلك وعلم بخلافات العرش فى آشــور حتى أعلن اســتقلاله وطرد الحاميات الآشورية من مصــر ، ويتضــح من العرض الســابق أيضا أن فراعنة الأســرة السادسة والعشرين لم يعيروا الغرب اهتماما كبيرا الا قرب نهاية الأسرة خاصة بعد أن أسس الاغريق مدينــة قورينى التى اصــبحت لا تمثل خطرا على ليبيا وحدها بل على

مصـــــر أيضا ، وعدم اهتمام ملوك الأســـــرة الأوائل بالغرب يوحى بأمرين ، اما أن تكون القبائل الليبية أصبحت من الضعف بحيث لا تمثل أى خطر على مصـــــر ، أو أن هذه القبائل قد انشـــــغلت بأمورها الداخلية وبدأ صراعها مع اغريق قوريني ، أما الأمر الثانى فهو أن جذور بســــماتيك وأسرته الليبية ، ربما جعلت هذه القبائل تنظر لتلك الأسرة باعتبارها حاكمة لكل المنطقة بمعنى تبعية هذه القبائل للسيادة المصـرية حتى ولو كانت من الناحية الاســـمية فقط ، وهذا ما دفع « ادكران » الليبى الى الاســـتعانة بفرعون « ابريس » فى صـــراعه مع المستوطنين الاغريق .

ثانيا — ليبيـــا :

(أ) الأحـــوال الداخـــلية :

١ — الاســـتعمار الاغريقى فى ليبيا : دوافعه — نتائجه :

قبل أن نتعرض للاســـتعمار الاغــريقى فى ليبيـــا ، يجب أن نشـــير أولا الى حركة الاســـتيطان والانتشـــار الاغريقى ودوافعها بصـــفة عامة ، فقد أدت حركة البعث والاحياء ثم قيام دولة المدينة فى شـــبه الجزيرة اليونانية وفى جزر بحـــر ايجه وعلى ســـاحل آســـيا الصـــغرى الى تحقيق الوعى القومى للاغريق كأمة واحـــدة متميزة عن غيرها من شـــعوب العالم القديم ، أمة لها تراث فكرى ودينى وأخلاقى وســـلوكى مشـــترك وهو ما تعكســـه أشـــعار هومر فى الاليـــاذة والاودســـا ، وقد دعم هذا التراث الحضـــارى الاغريقى بمرور الزمن ، وأصـــبح وجودا يفرض نفســـه على عوامل الانفصـــال الجغرافى والبحرى وعلى اللهجات المحلية للغـــة

اليونانيين ، بل على العبـادات المحلية والاقليمية ، وقد لعب معبد دلفى المقدس دورا أســــاسيا فى وحدة هذا التراث(٣٠) . كما جعلت الدورات الأوليمبية وما صـحبها من مهرجانات رياضية هذا التراث حقيقة يمارســـها الاغريق فى لقـاءاتهم ، فكانت هذه الدورات فرصـــة لتبادل وجهات النظر بين مختلف العناصر الاغريقية ، وتوثيق الروابط بينهم والتعرف على اتجاهات الراى العام فيما بينهم ، فضـــلا عما كان يجرى بالضـــرورة من معاملات أخرى كالبيع والشراء أو تبادل التجارة(٣١) .

بفضـــل هـذا كله أصبحت الحضـــارة الاغريقيـة قوة طاردة وديناميكية ، وراحت تبحث عن مناطق للانتشـــار فى ربوع العالم ، وجدير بالذكر أن الانتشـــار والاســـتبطان كانا صـــفتين أساسيتين للحضـــارة الاغريقية ، وهذا ما ميزها عن غيرها من الحضـــارات القديمة التى فضـــلت أن تبقى داخل موطنها ومن أجل مواطنيها ، ولهذا فحـركة الانتشـــار والاستيطان ترجع الى أيام الحضـــارة الموكينية ، وظلت قائمة حتى العصـــر الهلينستى والرومانى(٣٢) . ولاشـك أن طبيعة بلاد اليونان ذات المســاحات المحـدودة والتى تفتقر الى كثـير من المقومات الضـــرورية دفع بالاغريق الى الهجـرة والبحث عن مواطن جديدة للاســـتقرار بالاضـــافة الى ذلك كان هناك عوامل خارجية ســـاعدت الاغريق على حـــركة الانتشـــار والاســـتيطان ونقصـــد بذلك تدهور امبراطوريات الشـــرق القديم وبالذات تدهور الســـيطرة الفينيقية على مياه شـــرق البحر المتوســـط بســبب الغزو الآشـــورى المستمر للمدن الفينيقية الأم والتى كانت تحد من نشـــاط الاغـــريق ، وكانت الامبراطورية الآشـــورية فى فترة قوتها (٩٣٤ — ٧٤٥ق.م) قد قضـــت على القوة الســـياسية للشـــعوب الأرامية فى سوريا

وفلسطين وفينيقيا ، وباسقاط هذه القوى أصبح هناك فراغ كبير فى المنطقة ، ولم يعد ينافس الاغريق كقوة بحرية سوى قرطاجة تلك المستوطنة التى انشأتها صور على ساحل افريقيا الشمالى(٣٣) . أما فى آسيا الصغرى فلم يكن هناك سوى دولتى فريجيا وليديا ، وقد دمرت الأولى على يد القبائل الكمرية القادمة من مناطق الأستبس وبقيت ليديا فأقامت جسورا من الصداقة والتعاون مع الاغريق ولم يكن الفرس قد نهضوا كقوة ذات نفوذ فى مياه البحر المتوسط .

أما العوامل الاقتصادية ، فقد أدى تكدس دول المدن فى المساحات الضيقة ، وتمسك كل منها باستقلالها ، الى الاحتكاك وقيام المنازعات بسبب الحدود أو المصالح والتنافس من أجل السيطرة التجارية ، حتى تفرض كل مدينة نفوذها على أكبر رقعة من العالم ، وقد ساعد على ذلك تزايد عدد السكان بدرجة لا تتناسب مع المساحات المتاحة ، ومن ثم دفعت مشكلة البحث عن الغذاء ، السكان الى الهجرة ، وقد ساعد البحر وقيام الأساطيل الصغيرة على هذا الانتشار(٣٤) . والواقع أن وضع المواطن الاغريقى (السياسى والاجتماعى) كان مرتبطا بما يملك من أرض ، وقد أدى ذلك الى انتشار السخط بين السكان الفقراء وكثيرا ما أدى اليأس السياسى بين الطبقات المعدمة الى ترك الوطن والبحث عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم ، بل أن الصراع الاجتماعى دفع الطبقات المتذمرة الى الهجرة ، ولهذا نجد أن بعض المستوطنات دخلت فى صراع سياسى واجتماعى مع المدينة الأم التى أنشأتها كما حدث بين كورنثا ومستوطنتها كوركيرا ، وقد وجد المواطنون المثقلون بالديون

فى الهجـــرة منفذا للهرب تخلصـــا من أعبائهم المالية وبداية لمرحـــلة جـــديدة من الحرية بدلا من البقاء تحت نير عبودية الدين(٣٥) .

ولم تقتصر حركة الاستيطان على الباحثين عن الطعام من المعـــدمين أو اولئك الهاربين من الديون ، بل شـــملت بعض النبلاء الذين حرموا من أراضـــيهم بحق قانون الأرث الاغريقى الذى كان يقضى بأن يرث الابن الأكبر فقط كل الضياع حفاظا على الملكية ، ومن ثم وجد الأبناء الآخرون أنفســـهم مضـــطرين للبحث عن ضـــياع جديدة فى أرض جـــديدة ، ويجب الا نغفل عشـــق الاغريق للمغامرة والجـــرى وراء الثروة لارضـــاء الغرور والطموح خاصة الشباب منهم(٣٦) .

علاوة على ما تقدم ، يبقى عامل أســـاسى وهو الثورة البحرية والتجـــارية الكبرى نتيجة للتطور فى فن صـــناعة الســـفن ذات الطوابق العديدة ، خاصة السفن ذات الثلاثة صفوف من المجاديف أو ذوات الخمســـين مجدافا ، وبذلك لم يعد الابحار مرهونا بهبوب رياح معينة فى مواسمهم بعينها ، بل أن ســـرعة السفن تضـــاعفت ، كما ســـاعدت الكشوف الجغرافية على ركوب البحـــر حيث أصبح الانتقال ســـهلا وميســـرا وبالتالى فتحت مناطق جديدة للتجارة ، وكان القمح عاملا أســـاسيا لأن كثيرا من المدن الاغريقية كانت تعتمد عليه فى غذائها الأساسى ، وعلى ذلك كانت التجارة حتمية اقتصادية للمدن الاغريقية بعكس دول الشـــرق الأوسط التى كانت مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، والتى كانت تجارتها مقتصرة على الرفاهيات وليس الضروريات بعكس الاغريق(٣٧) .

هذه هى دوافع الاستيطان الاغريقى بصفة عامة ، فهل توافر فى ليبيا من العوامل ما ساعد على جذب هذا الاستيطان الى أراضيها ؟

الحقيقة أننا اذا نظرنا الى أحوال ليبيا الاقتصادية (كما أسلفنا فى الفصل الأول) نجد أن بها من المقومات الاقتصادية (خاصة أقليم برقة) ما جعل هؤلاء المعمرين الاغريق شغوفين بهذا الاقليم الواسع الذى استعاضوا به عن وديان بلادهم الضيقة وعن جزرهم الصغيرة التى تغطى بالصخور ، حيث وجدوا فى هذا الاقليم مساحات شاسعة يمكن استصلاح أراضيها بسهولة ، بالاضافة الى أن الأمطار الغزيرة تهطل على هذا الاقليم فى فصل الشتاء فتروى هذه السهول خاصة فى منطقة « قورينى » حيث « .. تبدو السماء مثقوبة .. » . لذا فقد تحمس أولئك المعمرون للاقامة بهذه الأرض الخصبة التى ينمو فى ترابها أنواع كثيرة من النباتات ، ويعتبر أقليم « يوسبيريدس » هو الأكثر خصوبة ، وأن منطقة « كينييس » (وادى كعام) تنتج من المحاصيل ما يعادل انتاج يوسبيريدس ثلاث مرات(٣٨) . أما فيما يتعلق بمنطقة « قورينى » نفسها فان رواية هيردوت تعتبر أقرب الى الصدق ، فهو يقول « ... أن التفاوت فى درجات الارتفاع يحدث تباينا بين المحاصيل ، فمحاصيل المنطقة الساحلية هى أول ما ينضج ويصير جاهزا للحصاد والقطاف ، وعندما ينتهى موسم جمع هذه المحاصيل ، فان محاصيل المنطقة الوسطى الموازية للسهل الساحلى تبلغ أوان نضجها وهذه هى المنطقة المسماة بمنطقة التلال ، وأخيرا فانه عند انتهاء موسم محاصيل هذه المنطقة الوسطى ، فان محاصيل المنطقة العليا تبلغ أوان نضجها هى الأخرى ، بحيث انه عندما

تكون ثمار الموسم الأول قد استنفدت واستهلكت تظهر ثمار الموسم الأخير ، وهكذا فان مواسم جنى المحاصيل فى قورينى تتواصل على مدى ثمانية أشهر(٣٩) .

فانه بالنظر الى جغرافية ليبيا الطبيعية نجد أن هيردوت جاء بوصف مطابق للواقع ، حيث انه بانتهاء جبال أطلس بسفوحها التونسية تأتى منطقة جبلية أخرى هى مرتفعات جبال نفوسة فى أقليم طرابلس وهى على شكل قوس مكونة بينها وبين الساحل سهل الجفارة المشترك ما بين تونس وليبيا ، ثم يأتى خليج سرت شرقى هذه المنطقة ، والذى يفصل ما بين أقليم طرابلس وأقليم برقة ، ثم بعد ذلك شرقا منطقة الجبل الأخضر وهى أكثر المناطق خصوبة على الساحل الليبى ، وفى هذه المنطقة الأخيرة تتوالى مستويات الارتفاع الطبوغرافى ، فهناك المنطقة الساحلية تليها الهضبة الوسطى وأخيرا الهضبة العليا ، هذا التنوع الطبوغرافى أدى الى اختلاف كميات المطر الساقطة واختلاف درجات الحرارة ، كل هذا أدى الى تنوع المحاصيل الزراعية وأيضا اختلاف مواسم جنيها ، من هنا يتضح أن هيردوت قد زار بنفسه المنطقة التى وصفها فاستطاع بالتالى رسم هذه الصورة الدقيقة لتعاقب مواسم محاصيلها .

تعتبر الحبوب خاصة الشعير والقمح أهم المنتجات الزراعية وأكثرها تأثيرا فى اقتصاد ليبيا ، حيث نجده يتصدر قائمة المنتجات الزراعية فى حسبات الداميورجى(٤٠) .

وقد وصف أقليم قورينائية خاصة بانه أحد مخازن العالم القديم لتصدير القمح ، ويؤيد ذلك نقش (لوح امدادات الحبوب) الذى عثر عليه فى قورينى ويرجع تاريخه الى النصف

الثانى من القرن الرابع ، وبالتحديد الى الفترة من ٣٣٠ ق.م. الى ٣٢٦ ق.م. وهى الفترة التى تعرضت فيها بلاد اليونان للمجاعة ، حيث يشير هذا النقش الى أن مدينة قورينى أمدت أكثر من أربعين مدينة اغريقية بكميات من الحبوب بلغت ثمانمائة وخمسة آلاف مكيال اغريقى ، حصلت أثينا منها وحدها على مائة الف مكيال(٤١) . ولا شك أن هذا النقش يدل على وفرة القمح بشكل كبير فى قورينى ، مع الأخذ فى الاعتبار الاستهلاك والتخزين المحلى ، وما يمكن أن يكون قد بيع فى أسواق أخرى .

وقد اشتهر أقليم قورينائية كذلك بانتاج الفاكهة والتى من أهمها الكروم حيث ينتج الأقليم عدة أنواع من العنب منها العنب مبكر النضج والعنب الأسود الذى يستعمل نبيذا والعنب الجاف (الزبيب) والتين(٤٢) . وتنتج حقول قورينائية خضراوات وبقولا منها الحمص والفول والعدس والبصل والثوم وكذلك التوابل كالكمون . وتشيد النصوص القديمة بنوعية زعفران ليبيا الذى كانت تزين به مذابح « أبوللو » فى فصل الربيع كما كانت هذه البلاد مشهورة بجمال زهورها(٤٣) .

كما كانت ليبيا تزرع الزيتون وتنتج زيته وقد ورد الزيت والزيتون ضمن قوائم المنتجات الزراعية التى حدد المدبرون الزراعيون أسعارها وتتحدث سجلاتهم عن اللوز والتين كما أن أشجار السرو والصنوبر والسدر من نباتات ليبيا ، وكانت تصنع من بعض هذه الأشجار أخشاب من نوعية ممتازة ، وكانت أخشاب السرو أفضل أخشاب البناء وقد ظهرت فى قورينى سقوف لبعض المنازل من خشب الثويا يرجع تاريخ اقامتها الى السنوات الأولى من الاستيطان الاغريقى ،

كما كان النحاتون يصنعون تماثيل رائعة من خشب اللوتس ، كما كانت أشجار النخيل تنمو فى هذا الاقليم ، وقد اشار هيردوت الى أن قبيلة النسامونيين كانت تشد الرحال فى موسم جمع التمور الى واحة أوجلة لجنى ثمار الشجرة الصحراوية(٤٤) . هذا بالاضافة الى نبات السافيوم والذى كان من أهم عوامل جذب الانتباه لأهمية هذا الاقليم الاقتصادية ، وبالتالى الاستيطان الاغريقى فى ليبيا .

كانت تربية الحيوانات مصدرا آخر لثراء الاقتصاد الليبى فى العصور القديمة ، وليس هذا بغريب مادامت الظروف مواتية لاقليم فسيح غنى بمراعيه الواسعة ، وقد ورد فى نقوش الدامبورجى أن الخرطان والحشائش البرية والتبن كانت تباع فى الأسواق العامة وفى ذلك دلالة على أن تربية الحيوانات كانت منتشرة فى ليبيا حيث تجد الغذاء الكافى لاطعامها ، وقد مر بنا فى الفصل السابق ذكر بعض هذا الحيوانات التى كانت تربى فى ليبيا والتى أشارت اليها النصوص المصرية ومنها الأغنام ، وأيضا الأبقار التى كانت تقدم كقرابين للآلهة(٤٥) .

واذا كانت الزراعة وتربية الماشية مزدهرة فى ليبيا كثيرا فان نصيبها من الصناعة كان على العكس من ذلك ، الا ان صناعة الفخار كانت متقدمة الى حد ما ، حيث عثر على كميات كبيرة من الفخار فى مقابر قورينى ، كما أن جهات اخرى من أقليم برقة مثل بنغازى وتوكره وطليميثة كانت مراكز مهمة لصناعة الفخار ، وهى تدل على أن أقليم برقة كان من أهم مراكز صناعة الفخار على شواطىء البحر المتوسط ،

كما أن ورش درب العملة كانت تتميز ببعض الأهمية مما يشير الى أن تجارة ليبيا الخارجية كانت نشطة فى تلك الفترة(٤٦) .

ثالثا ــ مصر وليبيا :

(أ) بسماتيك (الأول ــ الثانى) :

اذا كانت الاحتفالات المهيبة التى اقامتها طيبة لتصاحب مراسم تنبى « شبتن وبة لنيت أقرت » قد رسخت توحيد البلاد ، فلا يعنى ذلك بالضرورة ان « بسماتيك » الأول قد سحق كل مقاومة لسلطته ، فقد رفض بعض صغار الملاك وأمراء الدلتا الاعتراف بالسلطة الجديدة (كما أسلفنا) وقد اختار هؤلاء السير فى الطريق الذى يعرفه جيدا المنشقون المعارضون من أهل الشمال منذ عصر الدولة الوسطى (قام « منتوحتب » الثانى بمطاردة المعارضين السياسيين فى الواحات كما قام « سنوسرت » فى عهد والده « امنحات » الأول ، بحملة ضد مناوئى النظام ومعارضيه الذين لجئوا عند الليبيين) وهو طريق ليبيا(٤٧) وسوف نلاحظ أن ليبيا قد لعبت دورا مهما فى سياسة مصر الداخلية ابان العصر المتأخر ، حيث كانت ملاذ الثوار الفارين من مصر ، كما كانت مركزا لتنظيم الثورات داخل مصر نفسها (سنورد ذلك بالتفصيل فيما بعد) فى حوالى عام ٦٥٥ ق.م. تعرض الاقليم الغربى من « أوكسير نخوس » (البهنسا) بمصر الوسطى وحتى البحر المتوسط لموجات من القبائل الليبية ، لا يستبعد أن يكون هؤلاء المنشقون وراءه أملا منهم فى استعادة ما فقدوه على يد « بسماتيك » الأول ، الا أن هذا الأخير أخذ زمام المبادرة وجمع جيشا عن طريق تجنيد أفراد من بين سكان الأقاليم الموحدة ، وهو حدث بارز ينم عن فطنة فى السياسة

وبعد النظر ، فربما أراد بسماتيك أن يشعر هؤلاء الوطنيين بأهمية دورهم فى الدفاع عن بلادهم بأنفسهم ، وزحف «بسماتيك» بجيشه غربا وطرد الليبيين كما كان يحدث أيام الدولة الحديثة(٤٨) .

وتحتفظ الأعمدة التى أقيمت على امتداد طريق دهشور بذكرى حملة « بسماتيك » الأول المظفرة والتى فى أعقابها وضع الفرعون الحاميات عند الحدود الغربية (ماريا) والحدود الشرقية (دفنى) والحدود الجنوبية (الفانتين)(٤٩) وأصبحت هذه الأخيرة خط الحدود الفاصل بين مصر ومملكة نباتا ، وكانت العناصر المكونة لهذه الحاميات من جنسيات متعددة ، منها الماشواش الذين ينتمى اليهم « بسماتيك » ، ويروى « هيردوت » خبر أولئك الماشواش الذين ثاروا على مليكهم بسبب ابعادهم عن أسرهم للخدمة عند الحدود ، ، وعدم منحهم أجازة لفترة طويلة ، وكذلك تفضيل « بسماتيك » للاغريق عليهم لقدراتهم الخاصة ، فتركوا مواقعهم وارتحلوا الى الجنوب حيث رحب بهم ملك بلاد كوش ، وأقطعهم مساحة فسيحة من الأرض ، وعندما لحق بهم « بسماتيك » قبل أن يعبروا الحدود المصرية رجاهم العودة ولكنهم لم يأبهوا لرجائه(٥٠) . ومهما كانت درجة المبالغة فى تلك الرواية ، فلابد انها تنطوى على نواة تاريخية ، ومن المرجح أن يكون جند الماشواش القدامى قد فضلوا الهجرة الى بلاد كوش بعد أن بات واضحا أن « بسامتيك » قد قبض على ناصية الأمور بيد من حديد وان دورهم لابد وأن يتقلص ليفسح المجال لذلك الجنس الجديد الذى تجمع حول الملك ، ويبدو أن بسماتيك قد أرتاح لتلك النهاية التى خلصته من

العناصـــــر البالية العتيقة فى جيشـــــه ، وكذلك عناصـــــر الشـــــغب والشـــــقاق الذين ارتحلوا مع المتمردين .

وربما كان وجود هؤلاء المـاشواش فى كوش سببا فى توجيه « بســـــماتيك » الثانى حملة حربية ضـــدها ، حيث أنه حوالى ٥٩٢ ق.م. أسس « انلمانى » أســـــرة كوش الثانية فأنهى بذلك حالة الســـلم المســـــتقرة منذ عهد « تانت آمون » حيث كان لهذه الأســـــرة أطماع فى مصـــــر ، فحاولت اســـتعادة نفوذها ، ذلك النفوذ الذى كان قد ضــــاع عقب فرار « تانت آمون » من طيبة ، وكما أسلفنا فان ملك كوش رحب بالمشواش المنشـــــقين على فرعون مصر ، ربما أملا فى مســـــاعدتهم لهم على العودة الى مصر مما دفع « بســـــماتيك » الثانى الى توجيه حملة اليهم فى عام حكمه الثالث(٥١) .

ويوجد حتى الآن مصــــدران على الأقل يســـــجلان خبر تلك الحملة ، الأول يمثله نقش (كارى) شـــــهير دونه بعض مرتزقة الاغريق الذين كانوا ضـــمن جنود تلك الحملة على ســـاق أحد تماثيل رمسيس الثانى القائمة عند بوابة معبد «أبو سنبل»(٥٢) أما المصـــــدر الثانى فهو بقية من نص منقوش على لوحة بالقرب من البوابة الثانية فى معابد الكرنك يتضـــــمن حملة بســـماتيك الثانى على بلاد كوش ، ويهمنا من هذا النقش اشارته الى وصول الجيش المصـــرى الى ما بعد الجندل الثالث ليؤكد انتصاره(٥٣) . ونجحت الحملة المصـــرية على كوش طبقا للمصـــــادر المصرية المذكورة نجاحا كان متوقعا ومعتادا فى معظم الحملات المصـــرية على كوش .

خلاصة القول أن « بســـــماتيك » الأول وخلفاءه باعتمادهم على الاغريق والكاريين فى قواتهم الحربيـــة ، تمكنوا من ازاحـــة

القوات القديمة ذات الأصول الليبية التى لا هم لها سوى اقتسام السلطة ، كما استطاعوا أن يحطوا من شأن ممالك الشمال الليبية وذلك بفتحهم الباب أمام انشاء مستوطنات للاغريق والكاريين الذين كانوا خير معين لهم فى بسط نفوذهم على مصر كلها .

٢ — ابريس (واح ايب رع) وامازيس (احمس الثانى) :

كان لتطور الأحوال الداخلية فى ليبيا فى تلك الفترة أثر كبير على علاقتها بمصر ، خاصة بعد الاستيطان الاغريقى فى قورينى ، يذكر هيردوت انه طوال فترة (باطوس » الأول المؤسس الذى حكم أربعين سنة ، ومن بعده ابنه اركسيلاوس الذى حكم ست عشرة سنة لم يكن يقطن مستوطنة قورينى بسوى المهاجرين الأول(٥٤) .

والحقيقة أن هذه العبارة تستحق المناقشة ، حيث أن رفاق « باطوس » ان كانوا قد قدموا فعلا الى سواحل ليبيا على ظهر مركبين من ذوات الخمسين مجدافا ، فان عددهم فى هذه الحالة لن يكون كبيرا وقد لا يتجاوز المائتين ، ومن الصعب أن يتمكن هذا العدد الصغير من العيش قرابة جيلين فى بلد غريب مثل ليبيا دون أن يندثروا أو يذوبوا فى هذا المجتمع الجديد ، وتعليل ذلك فى أمرين ، اما أن يكون هناك أفواج أخرى من المهاجرين ، وبالتالى لابد أن يكون هناك اتصال مستمر بين المستوطنة الناشئة والمدينة الأم مما مهد لنزوح الكثيرين للحاق بجماعة « باطوس » ، كما أن هذا النزوح لم يقتصر على العنصر الثيرانى فقط بل شمل معظم الجزر الاغريقية الأخرى .

كما ان المهاجرين الأول لم يصطحبوا معهم النساء الى ليبيا ،

فلو ظلوا متقوقعين على أنفسهم لانتهوا قبل نهاية الفترة التى ذكرها هيردوت ، لذلك لم يجد هؤلاء بدا من الاقتران بنساء ليبيات ، بغية تكوين أسر لهم فى موطنهم الجديد والحقيقة أن هذا الزواج المختلط لم يكن من الأمور النادرة فى قورينى ، اذ أن قرائن لاحقة قد أيدت حدوثه ، فقد ذكر « بنداروس » فى البوثية التاسعة أن أحد أبناء « تيليسكوانيس » القورينى قد تقدم الى ملك « الجيلجاماى » طالبا يد ابنته ، فكان عليه أن يشترك مع غيره من الاغريق والفرسان الليبيين فى سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له ، وكان الفائز هو « اليسكيداموس » الاغريقى ، وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز (٥٥) . ولقد عقد هذا الخليط من السكان الاغريق علاقات طيبة مع الليبيين ، وقد ساعد على استمرار هذه العلاقات بعض الوقت أن الليبيين لم يفطنوا لخطورة قيام مستوطنة اغريقية على أرضهم ، ومن ناحية أخرى التزم الاغريق حدودهم وتعاونوا مع السكان المحليين فى النشاط الاقتصادى ، حيث كانت القبائل الليبية تسيطر على نبات السلفيوم ، وكان الاغريق فى حاجة ماسة اليه ، واستمرت العلاقة على هذا المنوال طيلة عهد « باطوس » الأول وابنه « اركسيلاوس » الأول(٥٦) .

وان كان هناك من يرى أن الخلافات كانت قائمة بين القبائل الليبية وبين الاغريق منذ أن جاء هؤلاء الاغريق الى ليبيا ، عندما أتهم الاغريق القبائل الليبية بالخيانة عندما لم يرشدوهم الى مكان مناسب لاقامة المدينة ، معتقدين أن الليبيين تعمدوا أن يقودوهم ليلا حتى لا يمروا بأخصب بقعة فى اقليمهم تسمى « ابرازا » خشية أن يراها الاغريق أثناء مرورهم بها(٥٧) .

عندما أعتلى « باطوس » الثانى عرش قورينى ، نجح فى البحث عن المزيد من الهجرات الاغريقية للحلول بمدينة قورينى ، حيث أدرك أنه ليس فى وسع جزيرة «ثيرا » وحدها أن تمده بما يكفى من المعمرين الجدد لتعزيز التواجد الاغريقى فى قورينى ، فاغراهم باقطاع كل وافد جديد قطعة من الأرض الزراعية ، وهكذا تدفق المهاجرون الاغريق على قورينى من كل حدب وصوب ، خاصة من شبه جزيرة « البيلوبونيز » وجزيرة كريت وباقى الجزر الاغريقية الأخرى ، ولم يكن أمام « باطوس » الثانى لكى يفى بالتزاماته تجاه الوافدين الجدد سوى اغتصاب أرض الليبيين ، فانتزع منهم أراضيهم ومنذ ذلك الوقت حل العداء الصريح محل العلاقات الطيبة التى كانت قائمة بين الليبيين والاغريق لذا لم يجد « ادكران » زعيم قبيلة الاسبستاى الليبية ، الا الاستنجاد بفرعون مصر « ابريس » (واح ايب رع »(٥٨) .

وكان استنجاد الليبيين بمصر أمرا طبيعيا ، وذلك للعلاقات الطيبة بينهم وبين مصر على مدى عدة قرون ، كما أن الملوك الصاويين كانوا يعتبرون ليبيا ضمن ممتلكاتهم المصرية وربما كان « ابريس » يعمل على ضم عدد جديد من المرتزقة الليبيين(٥٩) ويرى « لويد » ان جند « الماخيموى » الليبيين هم الذين دفعوا ابريس لمساعدة الليبيين ، وفوق هذا وذاك ، وعلاوة على غنى هذه المنطقة اقتصاديا ، فان نمو « قورينى » كمدينة اغريقية اصبح ينظر اليها على انها تهدد أمن الحدود الغربية لمصر ، كان ذلك هو العامل الرئيسى للمساعدة المصرية للقبائل الليبية ضد الاغريق(٦٠) ، ويمكن القول أن الرغبة فى التوسع كانت دافعا آخر حيث أن ابريس كان من الملوك الصاويين الذين حاولوا بناء امبراطورية جديدة(٦١) .

وقد حرص الفرعون على أن تكون تلك الحملة برمتها مؤلفة من الماخيموى والمصريين حيث منع العناصر الاغريقية العاملة فى جيشـــــه من الالتحاق بهذه الحملة خشـــــية خيانتهم وانحيازهم الى بنى جلدتهم اغريق قورينى(٦٢) الا أنه من المعروف أن المرتزقة بصـــــفة عامة يعطون ولاءهم لمن يدفع لهم أكثر بصـــرف النظر عن العدو الذى يحاربونه ، فقد حارب مرتزقة من الاغريق ضمن صـــــفوف الجيش الفارسى والمعروف أن الفرس هم ألد أعداء للاغريق(٦٣) .

كما تبرهن الأحداث بعد ذلك على اخلاص المرتزقــة ووقوفهم الى جانب « ابريس » ، وأخيرا يمكن النظر الى الجيل الثالث أو الرابع من المرتزقة الاغريق الذين عاشـــــوا فى مصــر وحصلوا على أرض لحســـــابهم ، انهم قد تمصـــــــروا أو أصـــــبحوا مصريين الى حد ما ، وبالتالى كان ولاؤهم لمصر نفسها(٦٤) .

وهكذا يبدو أن دوافع « ايريس » فى أن تقتصـــر الحملة على جنود الماخيموى والمصـــــريين دون المرتزقة الاغريق هى ، أولا اعتقاده الخاطىء بضـــعف قوة قورينى العســـكرية بالاضافة الى انه ربما كان لا يثق فى ولاء الماخيموى لذا أرسلهم الى المعركة وأبقى على من يثق فيهم من المرتزقة حتى يحافظوا على أمن المملكة ، وكان هذا الموقف قد اتخذ ذريعة ضد الفرعون وأتهم على أثره بأنه دبر هذه الحملة للتخلص من المحاربين المصريين والماخيموى حتى يزداد تسلطا على مصر(٦٥) .

خرج جيش « قورينى » الاغريقى لملاقاة الحملة المصرية ، حيث عسكر الاغريق فى اقليم « ايرازا » الذى يعتبر الحد الأقصى للأراضى الخصـــــبة فى قورينى من ناحية الشـــرق ، وهناك

من يرى أن « ايرازا » كانت عند « أم الرزم »(٦٦) الا أن «ايرازا» لو كانت حقا عند « أم الرزم » فان هذا يعنى أن القورينيين قد ارتكبوا مجازفة يصعب تصورها ، بالابتعاد عن اقليمهم مسافة تقدر بحوالى مائتى كيلو متر ، والتوغل وسط أقليم الليبيين المعادين لهم مما كان يحملهم عبء نقل مؤونتهم وعتادهم مسافة طويلة فى منطقة وعرة ، ويعرضهم لقطع خطوط الامدادات ، وكذلك وقوعهم نهبا لحرب العصابات من جانب القبائل الليبية واذا لم يكن معقولا ولا مقبولا أن يقدم القورينيون على مثل هذه المجازفة بالذهاب الى أم الرزم وهى البعيدة عن الطريق الساحلى المألوف ، فانه لم يكن كذلك معقولا ولا مقبولا أن يضيف الجيش المصرى الى متاعب زحفه الطويل من مصر ، متاعب أخرى بأن يترك الطريق الساحلى المألوف ويشق طريقه عبر الصحراء ، بمعنى آخر فان « أم الرزم » لم تكن الموقع المناسب من اناحية الاستراتيجية لكلا الفريقين وعليه لابد أن تكون (ايرازا » هذه قريبة من الساحل أو على الساحل نفسه ، ربما عند درنة(٦٧) .

ظل الجيش الاغريقى المزود بمؤن كافية يترقب وصول الحملة المصرية التى لابد وأن يكون عبورها الشاق لمسافات صحراوية طويلة قد انهك جنودها ، ثم اندلعت المعركة بين الجيشين قرب نبع « ثيستس » (عين مارة قرب درنة) الذى اختاره الجيش الاغريقى كمسرح للمعركة بسبب توافر المياه هناك ، وعجزت القوات المصرية عن مقارعة اغريق قورينى فأبيدت أعداد كبيرة من تلك القوات التى لم يتمكن من الافلات والعودة الى مصر سوى قلة من العناصر المهزومة ، وقد انعكست نتائج هذه المعركة على كل من مصر وليبيا ، حيث أن هزيمة الحملة المصرية كانت السبب المباشر فى الثورة ضد « ابريس » والتى أدت فى النهاية الى الاطاحة به وتنصيب

« أحمس » الثانى (امازيس) خلفا له ، أما فى ليبيا ، فقد تحولت قورينى من بلدة محدودة السكان مزعزعة الوجود ، تكتنفها المخاطر بسبب وجودها وسط منطقة غريبة ومعادية ، الى مدينة كبرى مكتظة بالسكان ومرهوبة الجانب عسكريا حتى اصبحت أكثر من ند لمصر مما دفع « امازيس » فرعون مصر الى اتباع سياسة الوفاق معها حتى انه تزوج من «لاوديكا» وهى امرأة اغريقية سواء كانت ابنة « باطوس » الثانى أو ابنة أحد أعيان قورينى(٦٨) .

ما أن تربع « أركسيلاوس » الثانى على عرش قورينى ، حتى بدأت الصراعات بين أفراد البيت المالك ، حيث دخل أركسيلاوس فى خصومات مع أخوته وأجبرهم على الفرار من المدينة ، فاستجاروا بالقبائل الليبية المجاورة ، فتوجهوا الى سهل خصيب على بعد مائة كيلو متر من قورينى وأسسوا هم واشياعهم مدينة « باركى » (برقة)(٦٩) .

ونكاية فى أركسيلاوس الثانى ، قام أخوته بتأليب الليبيين ضده وتحريضهم على الثورة ، وما كان هؤلاء فى حاجة الى التحريض لأنهم لم يكونوا قد نسوا ذكرى اغتصاب والده « باطوس » الثانى لأراضيهم ، ومما زاد حنقهم ضد الأسرة الباطية وعجل بقيام الثورة ، هو احتكار أسرة باطوس لتجارة نبات السلفيوم ، وكان الليبيون قد اعتادوا على تحقيق أرباح كبيرة من وراء جنى وبيع هذا النبات الفريد الذى لم يكن ينمو الا فى تلك المنطقة والذى أشتد عليه الطلب فى كل مكان نظرا لفوائده الطبية التى لا تحصى ، لذا فان الليبيين تضرروا كثيرا من جراء احتكار ملك قورينى لسوقه ، وخرج الملك على رأس قواته لقمع التمرد ، غير أن الليبيين كانوا قد استوعبوا

نتائج هزيمة المصـــــريين فى ايرازا ، فرفضـــــوا الدخول فى معركة نورية ضـــد اغريق قورينى ، وفضـــــلوا اســـــتدراج جيشـــــهم بعيدا باتجاه الشـــــرق ، واخذ أركسيلاوس يطاردهم حتى مشــــارف الصـــحراء ، وعندما وصـــلت جموع هؤلاء الى مكان يســـمى « ليوكن » رأى الليبيون أن الفرصـــــة أصبحت مناســـبة لخوض المعركة ضـــد الجيش الاغريقى ، وتمكنوا من ســـحقه ، وبذلك انتقموا لهزيمة حلفائهم المصـــــريين فى ايرازا ، وقتل أركسيلاوس الثانى على يد أخيه الذى أعلن نفسه وصــــيا على باطوس الثالث٧٠) . وكان من نتائج هذه المعركة ، أن ضـــــعفت قورينى وبرزت « برقة » لتأخذ مكان الصـــــدارة بين مدن قورينائية ، كما أن المصـــــلح « ديموناكس » (الذى أحضـــــره باطوس الثالث لاصـــلاح الوضـــع فى قورينى) أدرك أهمية العنصـــــر الليبى وتأثيره فى وضع قورينى فحاول ضـــم طبقة « البيرى أويكوى »(٧١) مع الطبقة الأولى حتى يرضى الليبيين خاصـــة انهم متحالفون مع الفئة المتمردة على الســـلطة الملكية ، وبذلك هدأت الأمور ، ولم تقع أية مصـــــادمات طيلة عهد باطوس الثالث الذى التزم باصلاحات « ديموناكس » .

وتجب الاشارة هنا الى انه ربما كا نلمصـــــر ضـــــلع كبير فى هذا التمرد وانتصـــــار الليبيين ، فالليبيون استدرجوا الاغريق جهة الشـــــرق ربما لكســــب الوقت حتى يصـــل مدد مصــــرى كان فى الطريق اليهم ، فلو لم يكن هناك وعد مصـــــرى بهذا المدد لكان الأجدى أن يتجه الليبيون جنـــــوبا لاستدراج الاغريق فى المناطق الصـــــحراوية ، كما أن هناك من يذكر تأييدا خارجيا لهذه الثورة ، كما أن بعض العناصـــــر المقيمة فى المدينة الاغريقية والمؤيدة لمصـــــر قد ساعدت « ليارخوس » على قتل أخيه(٧٢) . وهذا يشـــير دون شـــك الى وجود حزب

مؤيد لمصـــــر داخل قوريني ، وان مصـــــر كانت على اتصال بهؤلاء المؤيدين لها . ومن نقش يرجع تاريخه الى فترة حكم ملك بابل « نبوخذنصر » الثـاني والذى يتحدث عن حملة قادها الملك البابلى ضـــد جيوش فرعون مصـــــر « أمازيس » حـــوالى ٥٦٨ ق.م. خلص « مازارينو » الى القـــول بأن النقش يفيد اشـــــتراك اغريق قوريني تحت قيادة « ليارخوس » (الذى اغتال أخاه أركسـيلاوس الثانى) فى خوض الحرب المصـــرية ضد الكلدانيين بجانب حليفهم المصرى « امازيس »(٧٣) .

الا أن هناك من يرىأن هذا الراى يرتكز على حجة واهية ، بحجة أن النقش المســـمارى المذكور قد تعـــرض لـــكثير من التشـــويه وطمس الكلمات بحيث يصـــعب على المرء أن يستنبط منه نتائج تاريخية مؤكدة ، ويســـــتطرد صـــــاحب هذا الراى مســـــتنكرا امكانية فرض امازيس حمايته على قوريني حتى انه يشـــــرك قواتها الاغريقية فى حربه ضـــد الكلدانيين فى الوقت الذى هزم هو نفسه على يد هذه القوات فى ايرازا ، كما يرى انه ليس من المعقول أن يرســـــل ملك قوريني الاغريقى مشاة جيشـــــه المســــلحين الى مصر دون أن يذكر هيردوت هذا الحدث المهم فى تاريخه ولو فى بضـــعة ســـطور ، وأخيرا فان صـــــاحب هذا الراى يســـــتبعد تدخل مصـــر فى خصومات البيت المالك فى قوريني وما ترتب على ذلك من اغتيـــــــال « أركسيلاوس » الثانى ، بحجة أن هذا الأمر لم يذكره الا قلة من المؤرخين المتأخرين من أمثال « بلوتارخ » ، بينما لم يشـــــر اليه هيردوت مع انه المصـــــدر الأساسى فى تاريخ هذه المدينة ، وهكذا فان هذه الأســـــباب مجتمعة تحمل صــــاحب هذا الراى على التشــــكيك فى جدوى ما ذهب اليه « مازارينو » واعتباره افتراضا لا يقوم على بينة(٧٤) .

الا ان الدارس يميل الى ما ذهب اليه « مازارينو » حيث انه من الممكن تفنيد ما اعتمد عليه « شـــامو » فى وجهة نظره ، فالنقش المســـمارى لم يطمس عن آخره ، وربما توصـــل « مازارينو » الى ما توصـــل اليه من خلال ما تبقى من النص خاصـــة الاســـماء ، فكيف لهذا الرجل البحاثة أن يذكر مثل هذه الاســـماء دون أن يكون تحت يده ما يؤيد قوله ؟ ثم ان هذا النص ذكر من قبل الأعداء ، فلو كان نصـــا مصـــريا لقلنا أن الفرعون ذكره ليبين ســـيطرته على ليبيا والتى يرفضها « شـــامو » ونحن معه فى هذا الرفض ، اعتمادا على سياسة « امازيس » الســـلمية والتى اراد بها أن يضم الى جانبه أكبر عدد من الحلفاء ضـــد الاعداء على الحدود الشـــمالية الشرقية ، اذن ربما كانت هذه القوات تطوعا من جانب « ليارخوس » ردا للجميل الذى اسداه اليه امازيس فى صراعه مع « ارسكيلاوس » الثانى ، ثم يتعجب « شـــامو » من اشـــتراك قوات اغريقية فى جيش « امازيس » بعد هزيمة جيش الأخير فى « ايرازا » ويبدو أن « شـــامو » قد نسى أو تناسى زواج « امازيس » من « لاديكة الاغريقية ، ونسى هدايا الفرعون للمعابد الاغريقية بل مســـاهمته فى اعادة بناء معبد دلفى ، وكل هذا حدث بعد هزيمة جيشـــه فى ايرازا ، والمعروف أن الســـياسة لا تعرف العاطفة ، فأعداء اليوم يمكن أن يكونوا أصـــدقاء الغد والعكس صـــحيح ، (وســـوف نرى تحالف الاغريق والفرس الد الأعداء ضد الليبيين) حيث أن « أمازيس » كان قد تحالف مع « باطوس » الثانى (كما أســـلفنا) أما أركسيلاوس الثانى فكان يتصـــف بشـــخصية معاكســـة لأبيه حتى انه لقب بالعنيد ، وربما نقض حلف أبيه مع ملك مصـــر الذى وجد بدوره الفرصـــة ســـانحة فى الحرب الأهلية بين أركسيلاوس وأخوته ، فشـــجع الثورة

وانتصـــر الليبيون وتمكن « ليارخوس » من قتل أخيه وأصبح وصيا على العرش فكان عليه أن يظهر ولاءه واعترافه بفضـــل مصـــر .

أما ثانى الأدلة اعتمد عليهـا « شـامو » فهو أن هيردوت لم يذكر هذا الحدث المهم فى تاريخه ، ان الذى لا مراء فيه هو أن فقرات الكتاب الليبى بالذات تفتقر الى طـراز ذلك الجهـد الذى بذله مؤرخنا بشـــكل جلى عبر بقية فصـــول وفقرات تاريخه الكبير ، ولعل الســبب فى هذا التباين هو ان هيردوت لم يقم بتدوين فقرات الكتاب الليبى الا من زمن لاحق فلم يتوافر لديه الوقت الكافى لتنقيحه وتحسين نصـــه فجاء نمج الأسلوب والصـــياغة ويفتقر الى الحبكة واحـــكام العبارات ، كما أن هيردوت فى أحيان كثيرة يذكر خرافات ليس لها قيمة وفى نفس الوقت لا يذكر أحداثا تاريخية مهمة ، كما انه اذا كان هيردوت قد نجح بوجـه عـام فى اعطائنـا صـــورة صادقـة عن تاريخ قورينى ، الا أن هذه الصـــورة كانت ناقصة ، والحقيقة أن كل ما ذكر هنا من قول « شامو »(٧٥) نفســه ويكفى هذا لتفنيد حجته الثانية .

خلاصة القول أن ملوك مصـــر الصـــاويين قد جابهتهم ابان حكمهم لمصـــر مشـــاغل عاجلة وملحة ، اما داخل مصر نفســها ، واما عـلى حدودهـا الشرقيـة أو الجنوبيـة فلم يتوافر لديهم الوقت الكافى لتوســـيع دولتهم المصـــرية باتجاه المناطق الغـــربية الليبية التى لم يتمكن أقوى أســـلافهم من الملوك المصـــريين من اخضاعها اللهم الا اسميا ، وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصـــدد ، أن بعض الزعماء الليبيين كانت تربطهم بفراعنة مصر بعض وشائج الولاء الصورى .

هوامش الفصـل الثانى

(١) « سايس » هى صا الحجر ، والتى ذكرتها النصوص القديمة باسـم « ساو » واشتهرت لدى الاغريق باسم سايس ، وهى تقع على الضفة الشرقية لفرع رشيد شمال صا الحجر الحديثة على بعد ٧ كم شمال غرب بسيون (محافظة الغربية) ، وكان أقليم « ساو » يسمى فى المصرية القديمة (نت محيت) تمييزا له عن الاقليم الرابع الذى يقع جنوبه وسمى (نت رس) أى أقليم نت الجنوبى والذى كان تابعاً له فى عصر ما قبل التاريخ ، أنظر :
Gardiner, A.E.O., II, 180*

(٢) Oppenheim, L., A.N.E.T., 1969, P. 294.

(٣) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٨ .
Hall, H.R., «Egypt Under the Aliens : C.A.H3, 2, 1975, P. 285.
Kitchen, Third Intermediate, PP. 392 — 393.

(٤) لوحة الحلم وعنها أنظر : جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩
B.A.R., IV, §§ 932 — 933.
Kitchen, Third Intermediate, PP. 393.

(٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٨٠ .
Vonzeissl, H., Athiopen und Assyrenin Egypten, 1944, PP. 39 — 40

(٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠٠ .
Trigger, A.E., P. 277.

(٧) Kitchen, Third Intermediat, PP. 400 — 402

جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .
Trigger, A.E., P. 284.

(٨)

(٩) هيردوت : الكتاب الثانى فقرة ١٥٢

(١٠) Spalinger, A., «The Concept of hte Monarchy During the Saite Epoch, on Essay of Synthesis» Orientalia, XI VII, 1978. P. 16.

(١١) Kitchen, Third Intermediad., P. 402 — 403.

Trigger, A.E., 284. جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٥٨ .

(١٢) عثر على لوحة كبيرة بمعبد الكرنك تسجل هذا الحدث وتؤرخ اياه فى شهر طوبة ، السنة التاسعة من حكم بسماتيك الأول

Caminos, R.A., «The Nitocris Adoption stele» J.E.A., 50, 1964, P. 71 ff.

(١٣) Kitchen, Thrid Intermediat, PP. 403 — 404.

• عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠٠ — ٣٠١

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٨٧

جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٥٨

(١٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠١ — ٣٠٢

(١٥) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٣٣

(١٦) Luchenbill, A.R.A.B., II, §§ 784 — 785

هيردوت الكتاب الثانى : ١٤٧ — ١٥٧

Spalinger, A., «Assurbenipal and Egypt», J.A.O.S., 94, 1964, P. 316.

(١٧) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٦٣

(١٨) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠٣ ، هيردوت ٢ : ١٥٤

Gyles, M.E., Pharaonic policies and Administration (663 — 323 B.S.) Carolina, 1959, PP. 20 — 23.

Spalinger, A. J.A.R.C.E., 15, PP. 49 f

(١٩) هيردوت ٢ : ١٥٩ ،

(٢٠) أمرى : مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٣٢

(٢١) Saunceran, S., & Yoyottel, J., « La Campagne nubinne de Psammetique II,» B.I.F.A.O., I, 1952, PP. 187 ff.

(٢٢) سيتناول الدارس هذه النقطة فيما بعد بالتفصيل

(٢٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٩٣
Gyles, Op. Cit., PP. 34 — 35.

(٢٤) هيردوت ٢ : ١٦١ — ١٦٣ ، ١٦٩
P.M., IV, 50 ; Trigger, A.E., PP. 285 — 286.
Petrie, F., Naugratis, I, London, 1886, PP. 7 — 8

عن تأسيس نقراطيس انظر :
Cook, R.M., «Amasis and the Greeks in Egypt», J.H.S., I, VIII, 1937, PP. 272 — 78.
Davis, W.M., «the Cypriots at Naukrates». G.M., XII, 1980, PP. 7, 10.

(٢٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠٤
Trigger, A.E., P. 284.

(٢٦) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٨٦
B.A.R., IV, §§ 933 ff.
Trigger, A.E., P. 302

(٢٧)
Trigger, A.E., P. 302

(٢٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٩٥
Hall, C.A.H3, 2, 1975, P. 304.

(٢٩) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٦٣ ، ص ٤٦٨

احمد فخرى : واحة سيوه ، ترجمة جاب الله على جاب الله ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٨٦ — ١٩٥

(٣٠) عبد اللطيف احمد على : التاريخ اليونانى — العصر الهلادى ، ج ١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٨ — ١٩ ، ١٣٤ — ١٤٢ ، ٤٢٧ — ٤٣١
Park, J., and Woémell, A History of the Delphic Oracle, 1, Blackwell, 1939, P. 71.
Lang, A., The Last Oracle From Delphi, London, 1887.

(٣١) سميت الدورة الأوليمبية بهذا الاسم نسبة الى بلدة أوليمبيا على الضفة الشمالية لنهر الفيوس باقليم ابيلس (غرب البلوبونيزا) ويقال انها بدأت عام ٧٧٦ ق٠م٠
Gardiner, F., Athleties of the Ancient world, Oxford, 1930, PP. 25; 32 — 33.

سيد الناصرى : « الألعاب الأوليمبية « المجلة التاريخية ، ج ٢١ ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠ ومابعدها .

عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، ص ١١٢ — ١١٦

(٣٢) سيد الناصرى : الاغريق — تاريخهم وحضارتهم ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٣ .

(٣٣) عن الغزو الآشورى لبلاد الشام أنظر :

Raux, G., Ancient Irag, Pelican Books, London, 1964.

Olmstead, A.T., Western Asia in the Days of Sargon II (722 — 705 B.C.) 1909; Aharoni, the land of the Bible, London, 1970.

(٣٤) عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، ص ٧٥ — ٨١

(٣٥) ابراهيم نصحى : أشاء قورينى وشـــقيقاتها ، بنغازى ، ١٩٧٠ ، ص ٩ — ١٠

(٣٦) سيد الناصرى : الاغريق ، ص ٣٦

(٣٧) سيد الناصرى : الاغريق ، ص ١٣٧

(٣٨) هيردوت ٤ : ١٩٨

(٣٩) هيردوت ٤ : ١٩٨ — ١٩٩

(٤٠) الداميورجى هى لفظـة يونانيـة تعنى الشخص الذى يعمل من أجل الشعب ، ويشير « أوليفيريو » الى أن لهذا الاسـم معنيين الأول مهنى ويعنى الشخص الذى يقدم للشعب متطلباته ، والثانى ادارى يتعلق بالادارة العامة ، ويرى « شامو » أن هذه الوظيفة قد أنشئت بعد سقوط الملكية فى قورينى حيث آلت أراضى الملك الى المسئولين من رجـال الحكومة المكلفين بتحصيل الايرادات اللازمة لتغطية مصروفات الكهنوت المقدس

Chintore, G., Rivista eli Filologia, «Demiurgi in Ereta, Torino, 1930, P. 54.

Oliverio, G., Documenti Antichi Dell Africa Italana Cirenoica, Vol. I, 1932, P. 101.

شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢٧٠

(٤١) Coster C.H., «The Economic Position of Cyrenaica in classical Ages», S.R.E.S., 1951, PP. 16 — 17.

Tod, M.N., Aselection of Greek Historical inscription, Vol. 2, Oxford, 1962, P. 273
Hasebroek, J., Trade and Polities in Ancient Greece, London, 1965, P. 140.

(٤٢) رجب الأثرم : تاريخ برقة السياسى والاقتصادى ، بنغازى ، ١٩٨٨ ، ص ١٠١

(٤٣) Coster, Op. Cit., P. 7.

(٤٤) Grote, G., A History of Greece, Vol. 4, London, 1906, PP. 19 — 26.

(٤٥) Bates, Op. Cit., P. 218.

(٤٦) Sadawya, A., «the Greek Settlement in Cyrenaica with Notes on Pottory discovered there», Libya in History, P. 95. وانظر كذلك شامو : المرجع السابق ، ٢٩٥ وما بعدها

(٤٧) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٤٥٨

(٤٨) Spalinger, A., « Psametichus King of Egypt », J.A.R.C.A., XIII, 1976, PP. 133 ff.

(٤٩) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٨٩
Goedicke, H., (Psammetik I und die Libyer), M.D.A.I.K., 18, 1962, PP. 26 — 49.

(٥٠) هيردوت ٢ : ٣٠
Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966, PP. 417, 20.

(٥١) Habachi, L., «Psmmatique II dans La Region de la Premiere cataracte» Orients Antique, XIII, 1974, PP. 317 ff

(٥٢) أمرى : مصر وبلاد النوبة ، ص ٢٣٢

(٥٣) Sauneron, S., & Yoyotte, J., « Lo Campagne Nubienne de Psammatique II «B.I.F.A.O., 51, 1952, PP. 187 — 189

(٥٤) هيردوت ٤ : ١٥٩

(٥٥) مصطفى عبد العليم : دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ، بنغازى ، ١٩٦٦ ، ص ٥٦ .

(٥٦) رجب الاثرم : تاريخ برقة السياسى والاقتصادى ، ص ١٢٣

(٥٧) هيردوت ٤ : ١٥٨ ، Gyles, Op. Cit., P. 32.

(٥٨) Gyles, Op. Cit., P. 32.

(٥٩) Ibid, P. 33.

(٦٠) Liyd, A.E., PP. 17 , 343.

(٦١) Spalinger, Orientalia, 47, PP. 12 f.

(٦٢) Klenitz, Op. Cit., P. 29.

(٦٣) Parkke, H., Greek Mercenary Soldiers, Oxford, 1933, PP. 23 f.

Olmstead, Hist. of the Per. Emp., PP. 245.

Burn, A.R., Persia and Greek the Defence of the West 546 - 478 B.C., London, 1962, PP. 236 f.

(٦٤) هيردوت ٤ : ٤ — ١٢

(٦٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٠٦

(٦٦) Pacho, Voyage dans la Marmarique-laCyrenaique, Paris. 1979, P. 83.

(٦٧) ابراهيم نصحى : أنشأ قورينى وشقيقاتها ، ص ٥٦

Triggehr, A.E., P. 344.

(٦٨) هيردوت ٢ : ١٨١

(٦٩) هيردوت ٤ : ١٦٠

Boardman and Hays, Excavation at Tocra, London, 1966; P. 13.

(٧٠) Burn, A.R., The Lyric Age of Greece, London, 1960, P. 139.

(٧١) يرى بعض المؤرخين أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأغرقين الذين ساهموا فى انشاء مستوطنة قورينى وتعاونوا مع المستوطنين الأوائل فى زراعة اراضيهم ، وتزوج هؤلاء المستوطنون من بناتهم ، أو أن هذه الفئة هم أبناء النساء الليبيات من آباء اغريق ، ولذلك منحوا حقوق المواطنة ووضعوا مع الطبقة الأولى أنظر مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

Jones, A., Cities of hte Eastern Roman Empire, Oxford, 1937, P. 353.

وان كان « شامو » يرى ان هذه الطائفة كانوا اغريقا يعيشون فى الريف لأن الاغريق لا يدخلون فى عداد مواطنيهم العناصر غير الاغريقية ، شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٧٨ ، وان كان الدارس يرجح الرأى الاول ، لأن مستوطنة قورينى زراعية الطابع ، فلعل الاغريق قد استعانوا بالأهالى من الليبيين فى مجال الزراعة التى يتقنها الليبيون وخاصة زراعة الحبوب التى اشتهر بها الاقليم ، وقد وضعهم ديموناكس ضمن الطبقة الأولى لتصحيح وضع خاطىء خاصة وان كان ديموناكس جاء الى قورينى عقب انتصار أخوة الملك وحلفائهم الليبيين ، وبهذا يرضى ديموناكس الليبيين من ناحية ويعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى .

(٧٢) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٧٥ .

(٧٣) Wiseman, D. J., Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956, PP. 94 — 95.

Mazzarino ,S., Fra orente ed Occidente ricercbe di Storia greca arcbaica, Florence, 1947.

(١٧٤) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٨٢ — ١٨٣

(٧٥)شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢٠١ ، ٢٠٥

مصـــر وليبيـــا

فى عصر الاحتلال الفارسى (٥٢٥ ـ ٤٠٤ ق٠م)

اولا ـ مصـــر :

(أ) الأحـــوال الداخليـــة

١ ـ الاحتلال الفارسى لمصر

٢ ـ الفرس فى مصـــر

ثانيا ـ ليبيـــا :

(أ) الأحـــوال الداخـــلية :

١ ـ الحالة الاقتصادية والاجتماعية

٢ ـ الحالة السياسية

ثالثا ـ مصـــر وليبيـــا :

(أ) قمبيز

(ب) « دارا » الأول

اولا ــ مصــــر :

(أ) الاحتـــلال الفـــارسى لمصـــر :

فى الأيام الأخـــيرة من عهد الفـــرعون « أحمس » الثانى (الأسرة ٢٦) كان الموقف الدولى يشـــــتعل بالمتغيرات المصيرية لمعظم دول العالم القديم نتيجة لاحتكاكات وصـــــدامات طويلة ، فمنذ حوالى ٥٥٣ ق.م. قامت ثورة فى مملكة « ميديا » انتهت بســـــقوط ملكها « استياجس » أســـــيرا فى قبضة ملك الفرس « قورش » الثانى ، وبموت « استياجس » انتقل ملك دولته الى الأســــرة الفارسية الاخمينية فتضـــاعفت قوتها(١) . كان هذا يعنى انقلابـــا وشـــيكا فى موازين القوى فى المنطقـــة ، وفى كل لحظة كان ينتظر مد نفوذ الفرس الى كل أقطار المنطقة .

وانتقاء لخطر الفرس المنتظر عقد « أحمس » الثانى (امازيس) حوالى عام ٥٤٦ ق.م. معاهدة دفاع مشـــــترك مع « تابونيد » عاهل بابل ، و « كرويسوس » ملك « ليديا » و « بوليكراتس » حاكم ســـــاموس(٢) ، وفى نفس العام (٥٤٦ ق.م.) قـــام « كرويســـوس » بشن حرب وقائيـــة ضـــد « قورش » كانت نتيجتها انتصـــــار الفرس وخضوع كل آسيا الصغرى لسلطان الفرس ، ثم تســـــاقطت بقية دول المنطقة تباعا فى القبضـــــة الفارسية ســـــواء بقوة الســـــلاح أو بالاستسلام دون قتال ،

فخضعت كليكيا ثم القلاع السورية والفلسطينية ، كما استسلم الفينيقيون(٣) .

معنى ذلك أنه لم يبق فى المواجهة سوى مصر التى كان عليها أن نتوقع الهجوم الفارسى أية لحظة ، وعمل « أحمس « الثانى (امازيس » كل ما فى وسعه لتتجنب مصر ذلك ، الا أن محاولاته ضاعت سدى ، فمع عهد ابنه « بسماتيك » الثالث (٥٢٦ — ٥٢٥ ق٠م٠) كان العصر الصاوى قد اقترب من نهايته ، حيث كان الملك الفارسى « قمبيز » الذى اعتلى العرش بعد مصرع « قورش » يتقدم على رأس جيوشه الى حدود مصر الشرقية يؤازره بحرا أسطول حربى كبير كانت فينيقيا قد وضعته تحت تصرفه(٤) .

والحقيقة أن « قورش » كان قد خطط لغزو مصر بنفسه حتى يستكمل هيمنة النفوذ الفارسى على المنطقة بأثرها ، ومن ثم رأينا « قمبيز » يتابع تنفيذ الخطة بمجرد قضائه على الاضطرابات والمؤامرات التى اندلعت عند توليه العرش ، واستكمل تجهيزاته العسكرية ، وهناك من يرى أن « قمبيز » كان يهاب غزو مصر لأنه كان يجهل أحوالها الداخلية كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة المجدبة ، وساعدته الأقدار على تخطى هذه العقبات وذلك بانضمام « فانيس » أحد المغامرين الاغريق اليه ، وكان هذا الرجل قد عاش فى مصر أكثر أيامه يقود فيها فرقة من مرتزقة الاغريق ، ثم اضطر الى الهروب فى عهد « أحمس » الثانى لخلاف وقع بينهما ، فوضع « فانيس » خدماته تحت تصرف « قمبيز » وكشف له عن كل ما يدور فى مصر من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الاغريقية ، كما أطلعه على اماكاناتها الدفاعية ، وعن

أحوالها المختلفة ، كما بصـــره بالمخاطر التى ســـيلاقيها عند عبوره الطرق الصـــحراوية المؤدية الى مصـــر ، ونصـــحه بالالتجاء الى البدو الرحل الذين يعرفون مســـالك الصـــحراء وأن يجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصـــر الطرق ، وقدم شـــيوخ البدو الجمال المحملة بالمياه وســـاقوها الى محطات مرور الجيش الفارسى فى طريقه الى مصـــر(٥) . وهكذا تحقق حلم « قمبيز » وقاد جيشـــه ومعه « فانيس » فضـــلا عن نفر من اليهود الذين أصبحوا يدينـــون بالولاء للفـــرس منذ أيـــام « قورش » الثانى الذى فك أســـرهم وأعادهم الى أورشـــليم مكافأة لهم على خيانتهم للبابليين ومســـاندتهم للفرس على فتح بابل ، ومن هنا كانوا على اســـتعداد للانضـــمام الى جيوش « قمبيز » ضـــد مصـــر ، علاوة على أن « قورش » كان فى نظر الكثيرين منهم بمثابة المســـيح المخلص(٦) . وأخيرا جاءت الانباء بتجمع الفرس فى غزة ، ثم ســـرعان ما تقدمت جيوشـــهم نحو سيناء ، والحقيقة أن « هيردوت » يعتبر المصـــدر الرئيسى لاحداث تلك الفترة من تاريخ مصـــر ، فيتحدث عن حداثة سن « بســـماتيك » الثالث ، وقلة خبرته فضـــلا عن تجريد مصر من حلفائها ، كما أن جيشها كان يعتمد فى غالبيته على المرتزقة من الاغريق ، فاذا أضـــفنا الى ذلك خيانة « فانيس » ومساعدة اليهود للفرس ، وأثناء القتال قدم اغريق « برقة » خضـــوعهم لـــ « قمبيز » ، مما كان له أسوأ الأثر فى نفوس المصريين ، فاذا تذكرنا ذاك كله يمكننا أن نتنبأ بنتيجة الحرب قبل أن تدور رحاها بين الفريقين .

يقول « هيردوت » لما اجتاز الفرس الصـــحراء وأقاموا معســـكرهم على مقربة من معســـكر المصريين عند المصـــب البيلوزى وقد صـــمموا على قتالهم ، وهناك انتقم جند المصريين

الذين كانوا يتألفون من اغريق وكاريين ، من « فانيس » بعد أن جر على مصـــر جيشـــا أجنبيا ، وذلك باحضـــارهم اولاده الذين كان قد تركهم فى مصـــر حين مضى الى بلاد العجم واخذوهم الى الميدان وســـاقوهم بين المعســـكرين على مرأى من أبيهم يذبحونهم الواحد بعد الآخر على وعاء كبير ثم مزجوا بدمهم الذى تجمـع فى الوعـاء خمرا وماء فشرب منه كل الجنـد ، واندلـع القتال حينئذ وكان شديدا حتى هلك الكثير من المتحاربين ، وفى النهاية اضطر المصـــريون الى الانســـحاب(٧) . انســحب « بســـماتيك » الثالث انســـحابا غير منظم لا يمكنه من اعادة تشـكيله مرة أخـرى ، كمـا لم تسعفـه خبرتـه بحمايـة المنافذ المؤدية الى فروع النيل والتى تؤدى بدورها الى قلب مصـــر ، مما جعـل الطـرق مفتوحة أمام الغزاة ، فتعقبوا أدبار الجيش المصـــرى الى « منف » وحاصروها ، ويذكر ســـليم حسن عن المؤرخ « بوليانوس » أن قمبيز اتخذ حيلة طريفة لشل مقاومة المحاصـــرين ، حيث أمر بأن تجمع القطط والـــكلاب وبعض الحيوانات التى يقدســـها المصـــريون وســـيقت فى مقدمة الجيش الفارسى ، فلم يجرؤ المصريون على استخدام أسلحتهم خشية أن يجرحوا أو يقتلوا بعض من يمثل الهتهم(٨) .

من الواضح أن « هيردوت » الذى كان يكره الفرس اكثر من حبه للمصـــريين ، قد اســـتنكر هزيمة الجيش المصـــرى أمام الفرس ، فحاول أن يبحث له عن الاعذار والمبررات ما ينفى عنه هذه الهزيمة ، فيبرز أن الجيش المصـــرى لم يقاتل ولو قاتل لأنتصر ونسى « هيردوت » عوامل الانتصـــار فى أية حرب من تسليح وتنظيم وقيادة وغيرها ، والحقيقة أن هزيمة الجيش المصـــرى كانت أمرا واقعا ، فســـقطت العاصـمة « منف » فى قبضة الفرس ، وقبض على الملك الصـــاوى ، وبذلك سقطت

الأسرة السادسة والعشرون الفرعونية فى مصر ، وأصبحت مصر ولاية فارسية .

(ب) الفرس فى مصر :

كان « قمبيز » الملك الفارسى الأول الذى دخل مصر فاتحا ، وكانت نظريته فى حكمها ترتكز على الاستفادة من اخطاء من سبقوه من الغزاة الآشوريين ، الذين فشلوا فى اقامة ما يمكن أن يسمى جسورا للربط بينهم وبين الشعب المصرى ، كما لم يحاولوا الاقتراب من مشاعر المصريين بأن يتخذوا الألقاب الفرعونية مثلا ، أو يرتدوا الزى الملكي المصرى ، أو حتى يحاولوا الاهتمام بالديانة المصرية ومعابدها(٩) ، وقد اختلفت الحال تماما باستيلاء الفرس على مصر ، فقد اعلن ملوكهم أنفسهم فراعنة ، واتخذوا الألقاب الفرعونية العديدة وارتدوا التاج المزدوج توكيدا لسلطانهم على أرجاء مصر ، بل أن « مانيتون » نسب اليهم الأسرة السابعة والعشرين الفرعونية بدءا بالملك قمبيز ، وقد سجلت المصادر المصرية محاولات هذا الملك التوسع التدريجى فى ممارسة المراسم المصرية ، واعتناق العادات والتقاليد المصرية ، وذلك اكسابا لحكمه صفة الشرعية ، بالاضافة الى نظام التأريخ الذى وضعه قمبيز لاحداث عهده فى مصر لنفس الهدف ، واعتمد هذا التأريخ على اعتبار فتح مصر قد حدث فى وقت أسبق من الواقع أى منذ أن أصبح قمبيز ملكا على فارس ، وهكذا وعلى نفس المنوال أرخ للحوادث التى وقعت بعد فتح مصر ، وهذا النظام كان مصرى الأصل فلم يستنكره المصريون(١٠) .

الا أن « قمبيز » قد اتهم باقتراف العديد من الأعمال التى تشير الى اتباعه سياسة وحشية همجية فى مصر

منها قسوته بل ووحشيته ضد الديانة المصرية ، فمثل بجثث الموتى كما فعل بجثة « امازيس » كما أنه طعن العجل أبيس فأدى الى قتله ، كما أنه أمر بفتح القبور القديمة ليشاهد الموتى(١١) .

ويقول « استربون » فى حديثه عن مدينة هليوبرلس « والمدنية الآن مهجورة وهى تضم المعبد القديم المبنى على الطراز المصرى وهو يقوم دليلا على جنون قمبيز وانتهاكه لحرمة المعابد وهو الذى أخذ يدنس المعابد تارة بالنار وتارة بالحديد مخربا ومحرقا كما كان فعله فى المسلات المقدسة فبعضها لايزال قائما والبعض ملقى على الأرض وأكلت النيران معظمه »(١٢) .

أما « ديودور » فيذكر مثل ذلك عند حديثه عن طيبة « ولقد ظلت تلك المبانى قائمة الى عصور متأخرة جدا ، أما الفضة والذهب والمصنوعات العاجية الثمينة والأحجار الكريمة فقد نهبها الفرس عندما أحرق قمبيز المعابد المصرية ، ويقال أن الفرس نقلوا حينئذ هذه الثروات الى آسيا وجلبوا الصناع من مصر ليبنوا لهم قصورهم الشهيرة فى برسبوليس وسوسا وميديا »(١٣) .

ويقول « بلوتارخ » كان الكلب قديما فى مصر يحظى بأعظم تمجيد ، ولكن قمبيز ذبح العجل أبيس ورماه فلم يدن منه أى حيوان ولم يأكل منه سوى الكلب ، وبذلك فقد هذا الحيوان منزلته العالية(١٤) .

كما يشير نص ديموطى الى أن قمبيز قد خفض دخل العديد من المعابد الى النصف حتى عهد البطالمة(١٥) .

كما أن اليهود تفاخروا بعد ذلك فى احدى وثائقهم ، بأن معبدهم لم يمس بينما أجحفت كل معابد الآلهة المصرية بعد غزو قمبيز لمصر(١٦) . من الواضح هنا أن كل الاتهامات السابقة كانت انعكاسا لما سجله الكتاب الكلاسيك بصفة عامة و « هيردوت » بصفة خاصة ، وقد اعتمدت كلها على روايات الكهنة وأفراد الشعب المصرى أى أنها لم تعتمد على مصادر تاريخية موثوقة لذلك دخلت فيها الخرافات والأساطير، وعلينا هنا أن ندع الآثار تتحدث ربما تأتى لنا ببعض الأسانيد التى تنفى هذه الاتهامات أو على الأقل بعضها .

فقد عثر فى حفائر السرابيوم بمنف على العديد من اللوحات الأثرية التى ترجع الى العهد الفارسى فى مصر ، منها لوحة مؤرخة باليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الصيف من السنة السادسة من عهد قمبيز (أى السنة الثانية له فى مصر) وقد نقشت هذه اللوحة تخليدا لذكرى العجل أبيس الذى دفن فى تلك السنة ، وقد سجل على هذه اللوحة نسقان من النقوش ، الأعلى منها بصور الاله أبيس وعلى رأسه قرص الشمس والحية المقدسة ويعلوه دعاء جنازى يقول « أبيس اتوم ذو القرنين على رأسه ليته يوهب كل الحياة » ، وفى نفس النسق العلوى صور قمبيز راكعا تعلوه بعض القابة « حورسماتاوى » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مسوتى رع الاله الطيب سيد الأرضين(١٧) .

ويشير الخط العام لمعنى نص هذه اللوحة(١٨) الى اهتمام الملك الفارسى « قمبيز » باله المصريين أبيس الى حد أنه أمر بأن تقام نحوه كل الشعائر والطقوس المعتادة قبل دفنه شأنه فى ذلك شأن أى ملك مصرى ، ورغم أنه لا يوجد

ما يؤكد أن قمبيز قد أمر باقامة هذا الاحتفال بالفعل أو اشـــترك فيه بنفســه ، فان احتمال قيامه بذلك وارد أيضا حتى ولو كان دافعه سياسيا كى يمتص عداوة المصريين .

كما وجد فى حفائر سرابيوم منف أيضا تابوت من الجرانيت للاله أبيس وعلى غطاء التابوت عمود من النقش يقول « حور : سماتاوى ، نسوبيتى (مسوتى رع) ، سارع : (قمبيز) عاش للأبد قد عمل بمثـــابة أثره لأبيه أوزير أبيس تابوتا عظيما من الجرانيت مصـــنوعا بواســطة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (مســوتى رع) ابن رع (قمبيز) معطى كل الحيــاة وكل الدوام وكل الازدهار وكل الصحة وكل الســعادة متجليا بصــفة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى الى الأبد »(١٩) .

ويرى « بوزنير » أن هذا التابوت لابد أن يكون خاصـــا بالعمل الذى ذكر على اللوحة الجنازية الســابقة حيث أنه العجل الوحيد الذى دفن فى عهد قمبيز (٢٠) .

معنى ذلك كما هو واضـــح من المصــدرين الســابقين ، أن أحد عجول أبيس قد احتفل بدفنه فى العام الثالث من حكم قمبيز فى مصـــر ، كما أن هذا الملك أهدى تابوتا للعجل أبيس وســجل اهداءه هذا على غطاء التابوت ، وهذا فى الواقع يتنافى مع ما ذكره الكتاب الأقدمون من أن قمبيز قتل ثورا مقدسا عن عمد ، وعلى ذلك يكون من الصــعب التوفيق بين ما ذكره هيردوت وغيره من الكتاب الكلاســيك فى هذا الصــدد من جهة وبين ما ورد على اللوحات الجنازية التى وجدت لعجول أبيس فى تلك الفترة من جهة أخرى .

وهناك أيضا ما يشـــير الى اعتدال « قمبيز » ، أو على الأقل ينفى عنه الهمجية التى الصقها به مؤرخو الاغريق ، حيث

أنه « فى السنة الســادسة من حكم « قمبيز » خرج « اتياواهى » الفارسى حاكم قفط على راس بعثة من عمال المناجم الى صحراء وادى الحمامات لاســـتخراج الأحجار اللازمة لترميم المعابد ، مما يشير الى اهتمام « قمبيز » باصـــلاح ما تلف من المعــابد المصــرية(٢١) .

كما تشير المصــادر المصــرية الى أن قمبيز قد اتخذ لنفســه القاب الفراعنة التقليدية المتوارثة غير أنه لم يعثر من الالقاب الخمســة ســوى على ثلاثة فقط حتى الآن وهى : اللقب الحورى سماتاوى (موحد الأرضين) واللقب النسوبيتى : مسوتى رع (وليد رع) ، والاسم الســارع : قمبيز ، والي وجاحرسنت يعود تدبيج هـذه الألقاب ذات المعانى السياسـية والدينية ، وربما كانت تمثل بالنســبة لوجاحر سنت المدخل الى التأثير على قمبيز حتى أقنعـه بأن يعيد الى معـابد مدينته دخلها المقدس واعادة أقامة طقوســـها الدينية ، وكذا تقديم القرابين الاله أوزير ، وبلغ الموقف غـايته عندما ذهب قمبيز بنفســـه الى تلك المدينة الملكية التى كانت مقر ملك أســلافه من المصريين ليســـجد أمام الالهة « نت » ويقوم بنفســـه بتقديم قربان عظيم اليها وذلك يتنافى تماما مع ما ذكره « هيردوت » آنفا أن قمبيز عندما قدم الى سايس قام بهتك حرمة ضريح أمازيس(٢٢) .

يؤكد « هيردوت » بطريقة غير مباشـــرة احترام قمبيز للديانة المصـــرية وذلك عندما يذكر أنه اعتقد فى نبوءة وحى بوتو وآمن بها عندما حضرته الوفاة(٢٣) .

يذكر سليم حســن نقلا عن « جريفث وماير » أنه فى عهد الملك « دارا » الأول كانت قد نشأت فى مصر عبادة قمبيز مؤسس الاســرة ٢٧ ، فقد جاء فى مخطوطة يرجع عهدها الى السنة

٣٥ من عهد « دارا » الأول (محفوظة الآن فى متحف برلين) أن الملك قمبيز كان له كاهن روح مما يشير الى أنه كان يعبد آنذاك ، وربما كان فى ذلك ما يرجح فكرة رضاء الشعب المصرى عنه(٢٤) .

وعلى الرغم مما ذكر سلفا ، فانه من الصعب أن نؤكد سماحة قمبيز ونبرىء ساحته تماما من مظاهر القسوة والعنف اللذين ارتباطا باسمه فى أغلب الكتابات ، ولكن يمكن فقط أن نبتعد به عن المغالاة فى القسوة وسفك الدماء أما ما بدر منه من بطش فى بداية عهده ، فهو شىء يضطر اليه أى غاز فى كل زمان ومكان حتى يثبت أقدامه ويضمن خضوع الشعب المهزوم ويأمن مقاومته ، وما حدث من تدمير لبعض المنشآت الدينية المصرية فى بداية الغزو لم يكن بالضرورة بأوامر خاصة من قمبيز بدليل ما سجله نص « وجاحررسنت » من أوامر الملك بطرد المعتدين من رجال واعادة ترميم تلك المنشآت ، كما أنه كان مضطرا الى ان يتخذ موقفا متشددا من امتيازات بعض المعابد خاصة تلك التى كانت تدبر الثورة ضده .

وأخيرا يمكن القول ان النصوص التى أتهمته بالقسوة بل بالجنون ، قد اكتنفت بجوهر الدعاية الوطنية التى شاعت بتعضيد من الاغريق فى أعقاب انتصارهم على الفرس فأخذوا يؤججون بعناية فائقة نار كل ما يسىء الى ذكرى خصومهم القدامى ، ولا ينبغى أن ننسى هوية هؤلاء المؤرخين المناوئة للهوية الفارسية على طول الخط ، فمن غير المستبعد أن يكون لذلك تأثير المتحيز فى كتاباتهم .

أما الملك « دارا » فقد كان تعامله مع مصـــــر والمصريين يقوم على الحصافــة والفطنــة واللين ، كمـــا انه كان رجـــلا من الطراز الأول ، فعمل بجدية على أن يكون واضـــــحا وعمليا فى فرعونيتــه لمصر ، والمرجح أنه نجح فى ذلك ، فعندما وصـــل الى مصـــــر كان المصـــريون يقومون بالطقوس الجنـــازية للعجل أبيس الذى ولد فى عهد « قمبيز » ، وهنا أمر « دارا » بمنحة قدرها مائة تالنت من الذهب للاكلاف المخصص لخدمة أبيس الجديد مما أدهش القوم لهذا الكرم والاهتمام بمقدســـــاتهم حتى انهم أعجبوا بـــ « دارا » وكفوا عن ثورتهم ضـــده وارتضـــوا حكمه ، وقد شـــــارك « دارا » فى احتفالات دفن ابيس ، ومازالت اللوحة الجنازية لهذا العجل أبيس فى تلك المناســــبة باقية ، وهى تتشـــــابه كثيرا مع نظيرتها الســـــابقة من عهد قمبيز ، حتى اللقب الحورى ترك خاليا هنا ايضا(٢٥) . وقد امر « دارا » باســـــتكمال خطة « أمازيس » لاعادة جمع القوانين وتنظيمها(٢٦) ، وكانت تلك البادرة بمثابة المخدر الذى ســــكن من روع المصـــــريين وامتص ثورتهم لفترة طويلة ، وربما كان ذلك تعبيرا منه لوجهة نظره من أن خير وســـــيلة لحكم رعاياه فى مصر هى الأخـــذ فى حـــكمهم بتشريعـــاتهم ، ومما يشـــير الى ســـماحته ايضـــا ما يذكره الكتـــاب القـــدامى من انه عندما أمر باقامة تمثال له أمام تمثال الفرعون « سنوسرت » فى منف ، اعترض الكاهن الأعظم أمام مجمع الكهنة مشـــــيرا الى أن « دارا » لم يقم بعد بما يفوق أعمال سنوسرت ، ولم يغضـــب الملك لذلك ، بل ســـر من تلك الصـــراحة ووعد بانه ســــوف يعمل على أن يكون ندا لســـــنوسرت اذا قدر له أن يعيش قدر ما عاش ، وطلب الى الكاهن أن يزن أعمال كل منهما فى نفس العمر مشيرا الى أن ذلك يمثل أعظم مقارنة بين عظمتيهما(٢٧) .

هناك لوحتان لأحد القادة المصـــــريين يدعى « أحمس بن بايون حور » (محفوظتان بمتحف اللوفر) من عهد الملك « دارا » الأول ، يشــــير نص الأولى الى مركز صـــاحبه كقائد للجند والى أنه المشــــرف على تجهيز المراســـم الواجبة لدفن العجل أبيس فى السنة الرابعة من عهد « دارا » كما يشـــير النص الى اجتهاد صـــاحبه فى العمل على نشـــر قدســية آلهة بلاده وبث الخوف منهم فى نفوس الأجانب ، فيذكر « أحمس » بأنه أمر بمجىء حكام المدن والمقــاطعات الشـــمالية والجنوبية من الفرس وغيرهم الى منف لتقديم الهدايا الى أبيس المتوفى(٢٨) . وفى ذلك دلالة واضـــحة على مكانة « أحمس » ، حيث أنه لقب فى اللوحة الثانية بأنه القائد الأعظم للجنود مما يشـــير الى ترقيته فى الســـلك العســكري تحت رعاية الملك الفارسى، ونص هاتين اللوحتين يشــير على الأقل الى مدى الرعـاية والاهتمــام والاحــترام الذى كان يبديه الفرس نحو العقيـدة المصــرية على خلاف ما أشـــيع من قسوتهم فى حرق وتدمير اماكن العبادة فى مصر .

هناك اكثر من دليل يشــــير الى أن « دارا » الأول قد اتبع فى حكمه لمصـــر مبدأ توكيد شـــرعيته كفرعون ، من ذلك اقامته معبد هيبس الضـــخم الذى مازال فى حالة جيدة حتى الآن فى واحـة الخارجـة والذى كرس لعبـادة الاله « آمون » ، ومازالت ألقابه الملكية منقوشـــة ضـــمن نص على الجــدار الخارجى الغربى لهذا المعبد ، وقد فقدت بداية النص وضــاع معها لقبه الحورى(٢٩) .

وقد اســـتغلت محاجر وادى الحمامات للحصــول على الحجارة اللازمة لبنــاء المعبد وتشـير نقوش حاكم قفط الفـارسى

المدعو « اتياواهى » وأخيه « ايراوارتا » على صخور الوادى الى تمصر الكثير من الأجانب واتخاذهم من آلهة مصر أربابا لهم ، كما غيروا أسماءهم الفارسية الى أخرى مصرية مثل « ايراوارتا » الذى أستبدل به الاسم المصرى « جدحر » ، كما ظهر فى نقوشه وهو يتضرع لكل من الاله مين والالهة ايزيس والاله آمون رع(٢٠) .

وقد اهتم « دارا » الأول بنواحى الاصلاح فى كل مرافق مصر خاصة فيما يختص بالزراعة والتجارة مما كان له أثره الكبير فى تنمية موارد البلاد ، وشهدت مصر فى عهده استزراع بعض المحاصيل لأول مرة فى أراضيها مثل السمسم ، كما امر ولاته باستخدام الكتابة المسمارية مع الكتابة المصرية فى تدوين أوامرهم(٣١) . كما كان لشبكة الطرق التى أمر « دارا » باقامتها للربط بين عاصمة الامبراطورية « سوسا » وبين شتى أنحاء الشطربيات حتى النائية منها أثرها الواضح فى تواجد السلطة المركزية فى كل مكان وفى كل وقت سواء بالرسائل او بالانتقال السريع ، وكان لنظام الحكم فى الشطربيات الذى وضع أساسه « دارا » ما وفر له السيطرة على ناصية الأمور فقد تفادى تجميع سلطة حكم الشطربية فى يد رجل واحد فعين لكل منها شطربا وقائدا ووزيرا ، كل مستقل عن الآخر وعليه أن يتقدم بتقاريره مباشرة الى الادارة المركزية فضلا عن قيام المفتشين من أعلى الدرجات بمفاجأة الشطربية بصحبة قوات مسلحة بالتفتيش وعتاب أى خارج على القانون فضلا عن موظفى الملك الخصوصيين الذين كانوا يمثلون عيون الملك وآذانه فهم دائمو التجوال فى أرجاء المملكة يتجسسون على على الحكام ثم ينقلون الى الملك ما قد يخفى عنه(٣٢) .

وقد ظلت السياسة الحكيمة التى اتبعها « دارا » فى حكمه لمصر خير واق من تذمر المصريين حتى أواخر أيامه عندما اصطدم بالاغريق فى حروب متصلة شجعت المصريين على ثورة شعبية جارفة هبت فى مصر حوالى ٤٦٨ ق.م ، أما « اكزركسيس » فلم يكن فى مثل حصافة أبيه وحكمته فى معالجة أمور دولته ، فلم يحفل بمشاعر المصريين بعد قمع ثورتهم ، فوضع مصر تحت ادارة أخيه « أخمنيس » وعينه شطريا عليها وأطلق يده فيها ، وكانت سياسته تتسم بالعنف والقسوة ، فصادر أملاك العديد من المعابد ، وأصبحت معاملة الأهلين من قبل الفرس أكثر فظاظة ويذكر «هيردوت» أن مصر قد عادت — من قسوة شطربها «أخمينس» — أكثر خضوعا للفرس مما كانت عليه أيام أبيه دارا(٣٣) . وبعد أن كان ملوك الفرس يسترضون شعوب الحضارات القديمة الذين يحتلون أرضهم وذلك بالسماح لهم باتخاذ حكامهم القدامى من الأسرات الملكية الوطنية بعد تعهد هؤلاء بالولاء والخضوع للعاهل الفارسى ، فان « أكرزكسيس » كسر هذا التقليد تماما فأصبح يعين الفرس والأجانب حكاما وشطاربة على أقطار المملكة فكان ذلك سمة بارزة من سمات عهده التى طبقت فى مصر ، وحتى النقش الذى سجل على تابوت أبيس فى أواخر عهد الملك « دارا » وكان به فراغ متروك ليسجل فيه اسم خليفته ، تناسى الكهنة المكلفون بدفن أبيس أن يسجلوا اسم اكزركسيس فى هذا الفراغ(٣٤) انتقاما منه لرفضه الاشتراك أو حتى السماح باقامة تلك الطقوس المقدسة المعتادة فى تلك المناسبة .

ومن نصوص عهد اكزركسيس يتضح أنه اتخذ الألقاب الفرعونية على غرار سلفيه « دارا » و « قمبيز » ، بالرغم

من انه لم يســـــتمر فى مصر طويلا الا ريثما أخمد ثورة المصريين واطلق يد اخيه فى شئون مصر(٣٥) .

ثانيا ـ ليبيـــا :

(أ) الأحـــوال الداخـــلية :

١ ـ الاجتمـــاعية والاقتصـــادية :

ذكر هيردوت أن من اصلاحات « ديمهوناكس(٣٦) تقســـيم أهالى قورينى الى قبائل ثلاث والتى يفترض أنها حلت محل القبائل الدورية الثلاث القديمة ، تضـــم القبيلة الأولى المهاجرين من ثيرا والبيرواويكى ، وتضــــم الثانية المهاجرين من البلوبونيز وجزيرة كريت ، وتضم الثالثة المهاجرين من الجزر الأخرى(٣٧) .

يتضح من هذا التقسيم عدم ذكر القبائل الليبية ، بمعنى انهم لم يكن لهم حق المواطنة فى قورينى ، وكما اســـلفنا ، فان تغلغل الاســـــتيطان الاســـتعمارى الاغريقى فى داخل ليبيا كان يثير على الدوام ردود أفعال عـــــدائية لدى الليبيين الذين كانوا فى ســـوادهم الأعظم من الأقوام الرحل ورعاة الماشـــية والأغنام ، ولم تستسلم القبائل الليبية القديمة التى دفع بها المســـــتعمرون بعيدا ذحـــــو الداخل لهذا المصــــير ، ولم تقبـــــل بانتزاع الاغريق لأفضــــل أراضـــيها ، فقاومت بكل ما كان باستطاعتها الى أن أنتهى الأمر بارغام هؤلاء الوافدين على التزام العيش داخل حزام محدود على الشـــريط الســــاحلى ، فهل يمكن أن نفترض امكانية تفكير الاغريق فى أن يدمجوا جانبا من الليبيين الذين كانوا قد هزموهم فى معركة ليوكن ، فى صـــــفوفهم ؟ والحقيقة أنه لم يحدث قط أن منح الاغريق حقوق المواطنة الى فئة كاملة من الليبيين، وان كان المولدون (ابناء الاغــريق من ســـــن زواج بليبيات)

وحدهم قد سمح لهم بذلك ، حيث تشير الوثائق النقشية (التى لا تكاد تخلو من قوائم الاسماء التى كانت متداولة فى المدينة) الى عدم وجود اسماء ذات أصل ليبى الا بعض استثناءات نادرة مثل اسم « الازير » و « باكال » ، وحتى هذه يمكن تفسيرها بأن أصحابها ليبيون منحوا حقوق المواطنة بصفة شخصية ، أو أنها مجرد القاب مستعارة ، معنى ذلك أن الليبيين لم يسمح لهم بممارسة حقوق المواطنة الكاملة فى قورينى حيث أن المولدين وذرياتهم لا تمثل العنصر الليبى الخالص(٣٨) .

وبناء على تقسيمات « ديموناكس » لم يكن العنصر الليبى ممثلا ضمن أى طبقة من الطبقات الثلاث وبالتالى لم يكن من السهل تحديد علاقات الليبيين بالوافدين الاغريق ، وان كان هناك تفاوت فى نوع علاقات الاغريق بالقبائل الليبية ، وحوالى عام ٤٤٠ ق.م نرى قورينائية وقد قسمت الى ثلاث مدن اغريقية والى عدد من القبائل الليبية ، المدينة الأولى هى قورينى وكانت تسيطر على المناطق الساحلية من مدينة كرسة (غربى درنة) وحتى الأقليم التابع لمدينة برقة(٣٩) . أما تغلغل الاغريق فى الداخل فلم يكن معروفا على وجه التحديد وان كان هناك حد معين قد توقفوا عنده فى هذا الاتجاه ، وربما تكون « مسة » الواقعة عند أقصى وادى الكوف هى أبعد مكان كان تابعا لقورينى من جهة الغرب ، حيث عثر على آثار للاغريق فى هذه البلدة(٤٠) . أما من جهة الشرق فقد وجد معبد اسكليبيوس بالقرب من مدينة البيضاء. وهذا المعبد كان معروفا منذ القرن الرابع ق.م ، حيث كان قائما بأعلى موقع يقطنه سكان اغريق فى شرق قورينى ، كما عثر فى « نفارنس » (١٦ كم شرقى قورينى) على قرار تبين منه انه

كان يعيش فى هذه القرية اغـــريق يمارســـون نشـــاطهم الزراعي ، كما عثر فى « لملودة » و « القبة » على آثار هلينية ، أما فى الداخل (الجنوب) فقد تم العثور فى بلدة « ســـلنطة » على رســـومات منقورة فى الصـــخور ذات طـــابع ليبى قديم(٤١) . وهذا يشـــير الى أن الاستيطان الاغريقى لم يتمكن من التوسع والانتشار فى هذه الناحية القريبة من الصحراء .

أما المدينة الثانية فهى « برقة » والتى تقع الى الغرب من قورينى ، ومن المخلفات الأثرية لهذه المدينة ، بعض امثلة العملة التى كانت قد ســـكتها وقد صور عليها نبات السيلفيوم(٤٢) ، مما يدل على أن اتجار المدينة فى هذا النبات كان يحتل مـــكان الصـــدارة فى اقتصـــادها ، بيد أنه ازاء خصـــوبة اقليم هذه المدينة لابد كذلك من انها كانت تنتج حاصـــلات مختلفة لا شك فى أن الحبوب كانت أهمهـــا(٤٣) . وكما ذكر هيردوت فـــان « تاوخيرا » (العقورية) كانت تقع فى اقليم برقة وكانت تابعة لهـــا(٤٤) .

أما ثالث هذه المدن فهى « يوسبيريدس » ، ويعتبر تاريخ هيردوت أول مصـــدر قديم يرد فيه ذكر هذه المدينة وكان ذلك فى معرض حديثه عن موطن قبيلة الاوسخيساى ثم عند حديثه عن حملة ارياندس والى مصـــر الفارسى ضـــد برقة ، حيث يذكر هيردوت أن الحملة الفارســـية تقدمت حتى يوسبيريدس(٤٥) .

كانت هذه المدينة بمثابة جزيرة اغريقية وســـط بحر من القبـــائل الليبية ، فكانت قبيلة الاوسخساى تفصـــلها عن اقليم برقة شـــرقا كما كانت قبيلة النســـأمونيين تقطن الأقليم الممتد جنوبا ، وقبيلة الماكاى غربا ، هذا بالاضـــافة الى الظـــروف الطبيعيـــة التى لم تســـاعد على قيـــام أى استيطان اغريقى لذلك

ظلت هذه المدينة جاثمة حول بحيرة تريتون فى القطاع الساحلى المتدبين البحر وسلسلة المرتفعات شبه الصحراوية وبالتالى كانت هذه المدينة تعيش فى عزلة عن بقية المستوطنات(٤٦) . هذا بالنسبة للمدن الاغريقية ، أما بالنسبة للقبائل الليبية فيمكن توزيعها حسب ما جاءت عند هيردوت على النحو التالى ، قبيلة الادرماخيداى كانت تعيش عند التخوم الملاصقة لمصر ، أما قبيلة الجليجاماى فكانت تقطن المنطقة الممتدة من « بلينوس » (سيدبرانى) حتى درنة حيث يبدأ الاقليم التابع لمدينة قورينى ، وتعيش قبيلة الاسبوستاى جنوب مدينة قورينى ، وكما سبق أن ذكرنا كانت قبيلة الاوسخيساى تقطن المنطقة الممتدة بين اقليم برقة ومدينة يوسبيريدس ، وعند خليج سرت كانت تعيش قبيلتا النسأمونيس والماكاى وكانوا من ألد أعداء اغريق قورينى حيث نرى هاتين القبيلتين تقومان فى عام ٤١٤ ق.م بمحاصرة مدينة يوسبيريدس ، ومن النقش الذى يفخر فيه خمسة من قادة قورينى العسكريين بأنهم هزموا هذه القبيلة مع جيرانها من قبيلة الماكاى ، نستنتج أن هذه القبيلة لابد وأن كان لها نشاط تجارى ، وان هذا الصراع مبعثه المنافسة الاقتصادية بينها وبين العناصر الأجنبية التى استقرت على الشاطىء الليبى(٤٧) . أما فى غرب ليبيا فقد أسس القرطاجيون مراكز تجارية كان من أهمها لبده الكبرى وأويا (طرابلس) وصبراتة(٤٨) .

أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرامنت الذين كانت لهم علاقات تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الافريقية من ناحية أخرى ، وقد استغل الجرامنت موارد المياه المحدودة التى كانت لديهم لزراعة أراضى الواحات وكانت حياتهم دوما صراعا ضد الصحراء ، ويقول هيردوت

أن الجرامنت كانوا يكسون سطح الأرض المالحة بطبقة من التربة ويبذرون عليها البذور(٤٩) ٠

ومازال القليل من الناس يمارسون هذه العادة بالقرب من البحيرات المتناثرة فى الصحراء اذ أن تلك البحيرات التى توجد عادة بالقرب من العيون العذبة ، كثيرا ما ترسب على سطحها طبقة من الملح يقوم الأهالى بتغطيتها بطبقة من التربة الغرينية ليسهل زرعها ٠

وقد اعتمد الليبيون على مياه الأمطار فى الرى ، كذلك اعتمد سكان ليبيا الجنوبية على مياه بعض المجارى المائية الدائمة ، فضلا عن مياه العيون والآبار ، وكانت مساحة الواحات والأراضى المزروعة اكبر بكثير مما هى عليه اليوم ، ولقد استخدم الجرامنت وسائل مختلفة لرفع المياه ورى الحقول وحرث الأرض ، لم تكن تلك الوسائل تختلف كثيرا عن الوسائل البدائية التى يستعملها سكان فزان اليوم(٥٠) ٠

عرف الجرامنت من الحيوانات المستأنسة الأبقار ذات القرون الطويلة والجلد السميك وهو طراز البقر الذى يعيش اليوم فى السفانا الأستوائية الافريقية ، والحقيقة أن تلك الأبقار قدعاشت فى فزان قبل أن يأتى الجرامنت الذين وجدوا أيضا الحمير التى كانت تعتبر وسيلة النقل الرئيسية قبل ظهور الحصان بالصحراء ، وكانت الخيول أهم ما عنى به الجرامنت فقد كانت عدتهم للحرب وعماد تجارتهم ، فكانوا يجرون عرباتهم بواحدة أو اكثر من هذه الخيول وينطلقون بها قاطعين المسافات الطويلة حاملين بضائعهم ومواد تجارتهم فى رحلات كانت تستغرق شهورا بل سنين فى بعض الأحيان ، ولقد عرف الجرامنت بطبيعة الحال الخراف والماعز

ولا شـــك أن الرعاة كانوا يقومون برعى تلك الحيوانات مع الأبقار والخيول ، وقد اعتمد الجرامنت على الصـــيد للحصـــول على جزء من غذائهم ، ويشـــير « لوشيان » الى أنهم كانوا يقومون بصـــيد الغزلان والودان وهو نوع من الماعز الجبلى وتشـــير كثير من النقوش الصـــخرية الى أنهم كانوا يقومون كذلك بصيد الزراف ، وربما اســـتعملوا لحم هذا الحيوان كغذاء ، كمـــا يستعمل ســـكان فزان اليوم لحم الابل ، وقد دلت الحفريات أن جرمة القديمة كانت مركزا مهما من مراكز الصـــناعة اذ وجد بســـاقية جبريل شـــقاف عدد كبير من الفخار كما وجد عدد من الأفران ، وقد وجدت نماذج من الفخـــار المحلى والذى كان تقليدا جيدا لفخار صـــور ، كما أنهم قلدوا القوارير والزهريات الاغريقية تقليدا جيدا ، وقد برع الجرامنت فى صـــناعة الحلى الذهبية فبلغوا فيها درجة كبيرة من الدقة ، وصـــنع الجرامنت الحلى الفضـــية مثل الأســـاور وغـــيرها ، هذا وقد بلغت صـــناعة عقود الزينة درجة كبيرة من الدقة ســـواء ما صنع منها من الزجـــاج أو ما صـــنع من الأحجـــار الملونة كالفيروز الأخضـــر والعقيق الأحمر ، أما الأوانى المصـــنوعة من قشر بيض النعام فقد بلغت حد الكمـال ، ومع الأسـف لم يتم العثور على اناء كامل من هذا النوع ، وعثر أيضـــا على الكثير من الخواتم البرونزية المطعمة بفصـــوص من الأحجـــار الثمنية كالفيروز وغيرها ، ورغم العثور على الكثير من المصـــنوعات الحديدية فاننا مازلنا نجهل الأماكن التى كانت بها مناجم الحديد الجرامنتية ، والحقيقة أن خام الحديد موجود فى جهات متعـــددة من فزان فتوجد فى سرديلى قرب غـات ، كمـا توجـد كذلك بوادى الشـاطىء ، الا أن الروايات التاريخية لا تشـــير الى الأمـــاكن التى كان الجرامنت يســـتخرجون منها حديدهم ، ولو انه لا يستبعد أن

يكونوا قد اســـتخرجوه من كلا المكانين الســـابقين الواقعين على طرق القوافل للشمال والجنوب(٥١) .

والحقيقة أن ليبيا كانت مركزا لطرق التجارة بين الشــرق والغرب والشــمال والجنوب فى قــارة أفريقيــا فالاتصــال بين أجزاء القــارة قديم قدم التاريخ ، فقد عثر مقابر عصــور ما قبل التاريخ بســـواحل البحر المتوســـط على الكثير من المخلفات الأثرية التى كانت تصـــنع من المواد التى لا توجد الا فى المناطق الأستوائية ، كما أن الوثائق المصـــرية التى ترجع لعصــــر الأســـرات المبكر تشـــير الى قيام نشاط تجارى واتصالات ورحلات بين مصر وبلدان افريقيا الأســـتوائية ، ويبدو أن تلك الاتصـــالات كانت ســـهلة وميســـرة خلال العصـــور المطيرة أو حتى بعدها بقليل ، الا انه منذ بداية عصـــــر الجفاف فترت الاتصـــالات نتيجة لوجود الحزام الصـــحراوى الذى أخـذ يمد رقعتـه من المنطقـة الواقعـــة جنوب البحر المتوســط حتى أطراف الســـفانا الافريقية ، ولا يعنى هذا أن الاتصـــال قطع نهائيا بل اســـتمرت الصـــلات بواســـطة رجال القوافل المغـــامرين ، وكان الحمــار أقدم حيوان اســتعمل فى الصــحراء اذ تشـــير الوثائق المصـــرية الى أن التجار الأسوانيين كانوا يســـتخدمون قوافل كبيرة تضـــم اكثر من ثلاثمائة حمار لعبور الصـــحراء(٥٢) . كما يشـــير هيردوت الى أن الليبيين كانوا يســـتعملون نفس الحيوان فى تنقلاتهم عبر الصحارى(٥٣) .

ويشـــير الكاتب اثينى Athenee أيضا بأن تاجرا قرطاجيا يدعى ماجدا كان يستأجر قوافل تحتوى على عدد كبير من الحمير لنقل تجارته من موانى البحر المتوســـط الى أواســـط أفريقيا وانه كان يستأجر هذه القوافل من الجرامنت(٥٤) .

الى جوار الحمير كانت الأبقار تستعمل كوسائل للنقل ، فقد وجدت رسوم على الصخور تبين الكثير من الأبقار وقد ربطت على ظهورها السروج الا انه ليس هناك ما يشير الى أن الأبقار كانت تجر أى نوع من العربات ، لم تظهر الخيول فى الصحراء الا مع ظهور الجرامنت ، وقد أمتطى الجرامنت صهوات الجياد ، كما انهم كانوا يستعملون هذه الجياد لجر العربات ، وقد سيطر الجرامنت على طرق القوافل الصحراوية ويرجع ذلك لعدة عوامل منها توافر المياه الجوفية وقربها من سطح الأرض ومعرفة الجرامنت للأماكن التى توجد فيها تلك المياه ، كما كان لموقع جرمة الجغرافى فى وسط واحة خضراء تتصل بمسالك من الأرض الصخرية التى تربطها بمدن البحر المتوسط من جهة وبلدان وسط أفريقيا من جهة أخرى ، عامل مهم لسيادة جرمة على ما جاورها من المدن ، كما كان لوجود حكومة قوية بجرمة أثره فى احترام القبائل الصحراوية للقوافل الجرامنتية المارة بأراضيهم وقد بذل الجرامنت جهودهم لابقاء الطرق مفتوحة للتجارة بين شواطىء البحر المتوسط وأواسط أفريقيا طوال عهود التاريخ التى ظلت فيها جرمة سيدة الصحراء ، كما أن جلد الجرامنت وصبرهم كان من العوامل الفعالة لنجاح رحلاتهم الطويلة عبر الصحارى ، وتعتبر موانى خليج سرت هى أقرب الموانى لمنطقة السفانا السودانية بأفريقيا ، كما أن الطرق المارة بفزان تعتبر أسهل المسالك لوسط أفريقيا لقرب الواحات بعضها من البعض الآخر ، كل هذه العوامل ساعدت على أن تصبح فزان أفضل معبر بين شمال القارة وجنوبها ، هذا بالاضافة الى أن طريق فزان خال من البحيرات والمجارى المائية التى يكثر فيها البعوض والحشرات الناقلة للأمراض المعدية كما أنه خال

ـ أيضا ـ من الأعشاب التى تعيق سير القوافل والتى يمكن أن تكون مكامن خطر للصوص والحيوانات المفترسة ، ولذلك فقد كان للطرق المارة بفزان ميزة على الطرق الأخرى سواء المارة منها بوادى النيل أو تلك الواقعة بين موانى المغرب وأفريقيا(٥٥) .

علاوة على الطرق المعروفة بين موانى سواحل سرت الكبرى وبلدان وسط أفريقيا فقد كان هناك طريق برى داخلى يربط مصر بساحل المحيط الأطلسى ، وهو الطريق الذى وصفه هيردوت بانه يوجد على مسافات مناسبة منه آبار وعيون تساعد على دوام سفر القوافل بين ضفاف النيل والمحيط الأطلسى .

كان الجرامنت يحملون الى افريقيا مصنوعات بلدان البحر المتوسط وأهمها الأوانى الفخارية والزجاجية والمنسوجات وربما كان الجرامنت هم أول من علم الشعوب السوداء بأفريقيا صناعة الحديد ، كما أنهم كانوا يحملون اليهم الملح لندرته فى منطقة السفانا الأفريقية ، وكانوا يحملون الى موانى البحر المتوسط الحاصلات الأفريقية وأهمها الحيوانات المفترسة التى كان الكثير منها يصدر الى حلبات المصارعة بروما ، ويشير Bovil أن عددا من هذه الحيوانات المفترسة كانت تعيش أيضا فى بلاد الجرامنت(٥٦) .

كان لحاصلات المناطق الحارة سوق رائجة فى قرطاجة القديمة وفى لبدة وصبراتة وكان أهم المنتجات الأفريقية فى تلك الأسواق سن الفيل (العاج) والجلود والأبنوس والأخشاب ذات الرائحة الزكية والبخور ، أما تجارة الرقيق فقد أثبتت البحوث الأثرية أن عدد الرقيق الذى وصل

الى موانى البحر المتوســـط كان محدودا مما يدل على أن تلك التجــارة لم تمــارس الا على نطــاق ضيق خــلال عصــور مملكة جرمة ، أما المعادن فكان أهمها لدى الجرامنت الذهب ، ومن المحتمل أنهم كانوا يحصــلون عليه من مناجمه فى بلاد النوبة أو نيجيريا ، ثم الفضـــة التى كانت أهم مناجمها فى شـــمال تمبكتو قرب المنطقة الصـــخرية التى ســـجل عليها الجرامنت صور عرباتهم الحربية ، ولعل أهم المعادن التى اشـــتهر بها الجرامنت هو الكاربونكل أو الحجر القرطاجنى فقد أشـــار كثير من المؤرخين الى أن الجرامنت كانوا يبيعونه للقرطاجيين الذين احتكروا بيعه بدورهم لعالم البحر المتوســـط ، ولذا فقد سُـــمى باســـمهم ، وكان هذا الحجر يعتبر من الأحجار الكريمة أو الثمينة فى العـــالم القديم بل كان ينظــر اليه على أنه حجر مقــدس ، وقد عثر عــلى نصــوص وقطع كثيرة من هــذا المعدن فى المقــابر الفرعونيــة ، وكان الفراعنة يســـمونه حجر واوات(٥٧) أو حجر تمح ، وقد دلت البحوث الأثرية الحديثة أن محاجر هذا المعدن كانت توجد فى منطقة ايغى زوما(٥٨) وهى عبارة عن تلال متوســطة الارتفاع تمتد شـــمالا من سلسلة جبال تبستى ، وهى تقع للغرب من تزربو وللشــرق من الواوات ، وكان الجرامنت يقومون كذلك بممارســة التجــارة التقليديــة فى الأبقــار التى كانوا يربون قطعانا كبيرة منها وكذلك كانوا يقومون ببيع الخيول التى اشتهروا بها فى أســـواق برقة وطرابلس ، ولقد جاءت هذه التجارة بالخــير الكثير على الجرامنت حتى وصلوا وهم ســكان الصــحراء الى درجة عالية من الرقى والحضارة والرفاهية(٥٩) .

٢ ـ الحــالة السياســية :

اختلفت الآراء حول الأحداث الرئيسية فى عهد «أركسيلاوس» الثــالث ، ســادس ملوك قورينى من أسرة باتوس ، ومصـــدرنا

الرئيسى عن هذا الملك هو « هيردوت » فيزودنا بوصـــــف واضح وان كان مجملا لأحداث عهده ، ويمكن تلخيص ما يتصل بموضوعنا من نصوص « هيردوت » فيما يلى :

بعد وصـــــف سيكيثيا وحملة « دارا » الأول ضـــــدها وتعيين « مجبازوس » قائدا للقوات الفارســـــية فى أوروبا ، يشـــــير هيردوت الى نشـــــاط مجبازوس فى الدردنيل قبل أن يبدأ قصـــــة ليبيا بقوله : وهذا ما كان من أمر مجبازوس . وحوالى هذا الوقت أرســـــلت حملة كبرى أخرى ضـــــد ليبيا ، فى عهد باتوس الثـــالث عالج المشرع ديموناكس مشـــاكل قورينى بوضـــــع دســـــتور أدخل تعديلات مهمة على نظم الحكم فى قورينى ، ظل هذا الدســـــتور قائما فى عهد باتوس الثالث ، ولكن ابنه أركســـــيلاوس الثالث قرر اعادة الأوضـــــاع الى ما كانت عليه فى عهد آبائه فنشـــــب نضـــــال عنيف أنتهى برحيل أركسيلاوس الى جزيرة ساموس والتجاء أمه فريتيمى الى قبرص ، كون أرســـــكلاوس جيشـــــا فى ساموس وزار معبد دلفى حيث تلقى نبوءة من وحيه ، انتصـــــر أركســـــيلاوس على خصـــــومه وعاملهم بقســـــوة شـــــديدة على عكس نصيحة النبوءة وعندما أدرك فحوى النبوءة وما قدرته له من مصـــــير مشـــــئوم لجأ الى حميه الأزير ملك برقة حيث قتل الاثنان معا ، طوال بقاء أركســـــيلاوس فى برقة كانت أمه فريتيمى تقوم باعباء الملك وبعد مقتل أركســـــيلاوس فرت فريتيمى الى مصـــــر لتستنجد بواليها الفارسى أرياندس معتمدة على صـــــنيع أركســـــيلاوس لقمبيز ، حيث أن أركسيلاوس كان قد قدم فروض الولاء والطاعة لهذا الملك الفارسى وفرض على نفســـــه الجزية ، كان قمبيز قد أقام أرياندس واليا على مصـــــر ولكن دارا الأول أعدم هذا الوالى بوصـــــفه ثائرا ، أرســـــل أرياندس حملة برية وبحرية كان

غرضهـــا فى الظـــاهر الانتقـام لمقتــل أرســكيلاوس لكنــه فى الحقيقة كان يبغى اخضـــاع الليبيين ، بعد حصـــار دام تسعة أشــــهر استولت الحملة على برقة ثم تقدمت حتى «يوسبيريدس» (بنغازى) وعادت ادراجها فمرت فى قورينى ثم حاولت العودة اليها ولكن دون جدوى فانسحبت حتى وصـــلها أمر أرياندس بالعودة الى مصـــر .

هذا ما ذكره هيرودوت وهى وان كانت صحيحة فى أغلبها ، الا أن هذا المؤرخ عودنا على أن يثير خلافات حادة بســـبب الطريقة التى يعالج بها ما يتناوله من أحداث فالرأى الســـائد حــول الأحــداث الرئيســـية فى عهــد أركســـيلاوس الثــالث وتتبعها وتواريخها التقريبية هى : انه فيما بين ٥٣٠ و ٥٢٥ ق.م فشـــل أركســـيلاوس فى صـــراعه مع أرستقراطية قورينى فذهب الى ساموس حيث كون جيشـــا اســتعاد به عرشه ، وعندما فتح قمبيز مصـــر فى عام ٥٢٥ ق.م بادر أركســـيلاوس الى تقـديم فروض الولاء له ، وبعد أن دعم أركســيلاوس مركزه فى قورينى وفى ريفها ، أخضع « برقة » حيث قتل هو والأزير ، وان حملة أرياندس وهى التى يعتبرها هيردوت معاصرة تقريبا لحملة « دارا » ضد ســـكيثيا ســـبقت زيارة هذا الأخـير لمصـــر(٦٠) .

استمر هــذا الرأى مقبولا الى أن اعترضــت عليــه مؤخرا « ميتشل » برأى مؤداه ، أن أركسيلاوس الثالث قد أرتقى العرش قبيل عام ٥٢٥ ق.م وهو العام الذى والى فيه الفرس ، وكان من شأن هذه الموالاه ان ازداد الصـــراع حدة بين أركسيلاوس وخصـومه ودام من ٥٢٥ ق.م حتى حوالى ٥١٨/٥١٧ ق.م عندما فر أركسيلاوس الى ساموس حيث كون لنفسه جيشا ، وفى

عام ٥١٧ ق.م عاد أركسيلاوس لكنه لم يستطع الاحتفاظ بمركزه فى قورينى فأسند مهام الملك الى أمه « فريتيمى » وراح ينشد السلامة فى برقة حيث لقى مصرعه(٦١) .

اذن هناك ثلاث نقاط متصلة اتصالا وثيقا وهى أولا : الصراع بين أركسيلاوس وخصومه ، ثانيا : فرار أركسيلاوس الى ساموس : ثالثا : تقديم أركسيلاوس فروض الولاء والطاعة للفرس .

من نصوص هيردوت السابقة الذكر يتضح أن أرستقراطية قورينى هى التى فازت بنصيب الأسد من اصلاحات المشرع ديموناكس ، ومن ثم كانت العقبة الكبرى دون استعادة أركسيلاوس حقوق آبائه وعندما أراد أن يسترجع تلك السلطات لم يكن أمامه سوى الاعتماد على فقراء المدينة المعادين بطبيعة وضعهم لأثريائها ، من هنا وصفت محاولة أركسيلاوس لايقاد الثورة وكأنها محاولة لاقامة حكومة استبدادية(٦٢) .

والحقيقة أن الصراع بين أركسيلاوس وخصومه كان عنيفا دون أن يكون طويل الأمد ويؤيد ذلك ما تؤكده المصادر القديمة من نقوش وكتاب قدماء مثل « أجزتفون » و « اينباس » من أن أبرز وحدات جيوش قورينى فى العصور الكلاسيكية كانت الفرسان والعربات ذات الأربعة جياد ، ولا جدال فى أن المورد الرئيسى لهذه الوحدات كانت الارستقراطية وهى خصم أركسيلاوس ، ولا جدال أيضا فى انه متى بدأ الصراع لم يكن فى وسع أنصار أركسيلاوس ومعظمهم من عامة المدينة الصمود طويلا أمام الضربات القاصمة التى كانت تنزلها بهم مثل هذه الوحدات ، لذا فان الملك لم يجد فى أنصاره

ســـندا فعالا وبالتالى فان محاولته منيت بالفشل ، ففر الى جزيرة ساموس وهربت أمه الى سلاميس بقبرص(٦٣) .

واذا صـــح أن أركســـيلاوس قد والى الفرس قبل بداية الصـــراع وان هـــذا الصـــراع قـــد دام ثمانيـــة أعوام كما ذهبت الى ذلك « ميتشـــل » ، فلابد اذن من أن يكون الفرس قد قدموا يد المســـاعدة لأركســـيلاوس فى أثنـــاء الصراع ، واذا لم تكن هذه المســـاعدة كافية لانتصـــاره وانتهى الأمر بفراره ، فلابد أن يستتبع هذا أمران الأول التجاء أركسيلاوس الى الفرس بدلا من ســـاموس لاعانته على اســـترداد عرشـــه ، والثانى اقبال الفرس عندئذ بكل مالديهم من قوة لمســـاعدة حليفهم على الأقل حفاظا على مركزهم فى المنطقة ، بيد أنه لا يوجد أى دليل على أن الفرس قدموا اية مســـاعدة لاركســـيلاوس أثناء الصـــراع ، ولم تقدم « ميتشـــل » حجة واحدة تفســـر بها التجاء أركســـيلاوس الى ســـاموس بدلا من الفرس ، وعلى ذلك لا يمكن قبول الرأى القائل بموالاة أركسيلاوس للفرس قبل بدايـــة الصـــراع مع الارستقراطيـــة ، وبأن هـــذا الصـــراع دام ثمانية أعوام(٦٤) . وعليه يميل الباحث الى ما ذهب اليه «شامو» من أن أركسيلاوس أنضـــم الى الفرس عندما تمكنت جيوش قمبيز فى سنة ٥٢٥ ق.م من دحر الجيش المصـــرى وأثناء حصـــار قمبيز لمدينة « منف » بادر الليبيون (اغريق قورينى) الى توجيه وفد منهم الى مصر لتهنئة قمبيز بالنصر ولاعلان خضوعهم له ، وأبدى قمبيز ارتياحه لموقف أركســـيلاوس الذى ســـارع بمحض ارادته الى الانضـــمام للفرس ويذكر هيردوت أن أركسيلاوس ارتضى دفع الجزية لقمبيز وجعل قورينى تابعة له ، وهذا يعنى أنه أصبح ســـيد المدينة المطلق ، أى بعد عودته من منفاه فى جزيرة ساموس(٦٥) .

ولكن متى أرتقى أركسيلاوس الثالث عرش قورينى ؟

ترى « ميتشـــل » أن ارتقاء أركسيلاوس للعرش كان قبل عام ٥٢٥ ق٠م بقليل(٦٦) الا أنها لم تأخذ فى اعتبارها فراره الى الى ساموس وعودته لاسترداد عرشه وكان ذلك قبل أن يغزو قمبيز مصر كما سبق أن ذكرنا ، لذلك فان هذا اقتراح مقلوب وليس له من الأدلة ما يؤيده .

اما « شامو » فقد اقترح ارتقاء أركسيلاوس فيما بين حوالى عام ٥٣٠ ـ ٥٢٥ ق٠م(٦٧) ٠ وان كان هنـاك من يقترح عـام ٥٢٧ ق٠م لما لهذا التاريخ من مزايا ، منها أن تأريخ الملوك الباطيين السـابقين لن يتأثر ، ومنها أيضا أن الصراع يكون قصـير الأمد ، ثالثا انه بذلك يعتبر مدة حكم أركسيلاوس قصيرة وهو ما توحى به نصوص هيردوت(٦٨) .

أخذ أركسيلاوس موافقة حكومة ســاموس المحلية الى اســتعمال كل الأســاليب لاقناع فقراء هذه الجزيرة بالانخراط كمرتزقة فى ذلك الجيش الذى اخذ يشــكله هناك توطئـة لاســترداد ســلطته فى قورينى ، وأعدا هؤلاء بنحلهم أراضى زراعية يتقاســمونها فيما بينهم(٦٩) وهو هنا لم يعدهم بتوزيع أراضى الليبيين عليهم ، انما وعدهم بتمليكهم ضــيعات ومزارع أعدائه دعاة الارســتقراطية الذين طردوه من عرشــه ، على أية حال فانه بمســاعدة أولئك المرتزقة المجندين فى جــزيرة ساموس تمكن أركسيلاوس من الرجوع الى قورينى بالقوة .

عقب عودة أركسيلاوس من ساموس واستعادته لعرشــه وســلطته فى قورينى ، أخذ يطارد أعداءه وكان معظم هؤلاء قد هربوا من قورينى قبل مجيئه ولجأوا الى مدينة برقة التى قام

فيها نظام حكم أرستقراطى ، اما من تمكن من القبض عليه منهم فانه أرسلهم الى جزيرة قبرص كى يعدموا فيها ، الا أن أهل مدينة « كنيدوس »(٧٠) نقلوهم الى جزيرة تيرا ، وهذه الاشارة تبين لنا أن الفئة المعادية للباطيين كانت تنحدر على الخصوص من سلالة المعمرين الثيرانيين الأول ، وهى السلالة نفسها التى تكونت منها أرستقراطية قورينى التى كانت تتحكم فى أراضى المدينة الزراعية وأطيانها ، ويبرهن على ذلك رواية الفرن والقوارير التى تضمنتها نبوءة وحى دلفى حيث أن قصر « أجلوماخوس » لم يكن الا قصرا ريفيا محصنا أقيم وسط ضيعة كبيرة من الضيعات التابعة للمدينة ، وأثناء تعقب الملك للارستقراطيين ومطاردتهم فانهم فروا الى اقطاعاتهم وضيعاتهم ، غير أنه بعد أن استعاد أركسيلاوس سيطرته على المدينة نفسها ، بادر الى بسط سيطرته على الأرياف المحيطة بها ، وبعد أن استقرت له الأمور فى قورينى قام بمعاقبة برقة وهذا أمر طبيعى حيث كانت هذه المدينة ملاذ أعدائه ، فأخضعها عن طريق القسوة التى عامل بها سكانها(٧١) .

الا أن « ميتشل » ترى رأيا آخر ، فتذهب فى تفسير نصوص هيردوت الى القول بأن أرسيلاوس لم يستطع الاحتفاظ بمركزه فى قورينى فترك أمه تمارس سلطته هناك وذهب الى برقة (المرج) ينشد السلامة والعافية(٧٢) .

والحقيقة أن هذا التفسير لا يمكن قبوله ، وبالتالى ما يذهب اليه هيردوت من أن أركسيلاوس ذهب الى برقة خوفا من الموت الذى أنبىء به ، حيث أن برقة كانت مأوى خصومه الفارين من عقابه بعد عودته من ساموس ، فلو فعل أركسيلاوس ذلك

لكان مثل المستجير من الرمضاء بالنار ، كما أن هيردوت نفسه يروى انه عندما أنفذ « أرياندس » رسولا الى برقة مستعلما عن قتلة أركسيلاوس اجابه البرقيون ، بأن هذا من عمل المدينة كلها بسبب كثرة الاساءات التى أنزلها بهم أركسيلاوس(٧٣) . وأيضا عندما وصلت الحملة الى برقة وحاصرتها وطالبت بتسليم قتلة أركسيلاوس ، رفض البرقيون ذلك لأنهم كانوا جميعا شركاء فيما حدث(٧٤) .

ومن العسير أن نتصور كيف كان أركسيلاوس يستطيع انزال اساءات كثيرة بالبرقيين ، أو كيف تأتى أن كل مواطنى برقة كانوا شركاء فى قتله ورفضوا تسليم القتلة مع علمهم بما كان يجره ذلك عليهم من عداوة الفرس ، من العسير أن نتصور هذين الأمرين الا اذا كان أركسيلاوس لم يذهب الى مدينة برقة لاجئا ومستجيرا وانما ذهب اليها غازيا وقام فعلا باخضاعها وأمعن فى اساءة معاملة أهلها(٧٥) . بالاضافة الى ذلك يحدثنا هيردوت بأنه طوال اقامة أركسيلاوس فى مدينة برقة تولت فريتيمى تصريف الأمور فى قورينى وكانت ترأس مجلس الشورى هناك ، ولا شك فى أن فريتيمى ما كانت تتمتع بهذه المكانة لو لم يكن أركسيلاوس سيد الموقف فى قورينى وعرشه وطيد الدعائم .

وعلى ذلك يتفق الدارس مع ما ذهب اليه كل من «شامو» و « نصحى » على أن الانتصارات التى احرزها أركسيلاوس على خصومه فى قورينى وفى ريفها شجعته على أن يوجه اهتمامه بعد ذلك لاخضاع مدينة برقة ، تلك المدينة التى كانت منذ انشائها معقلا للاوليجاركية ، وكان استمرار استقلالها واحتفاظها بنظمها بعد انتصار أركسيلاوس على خصومه

والتجاء بعضهم الى هذه المدينة ، يشكل تهديداً خطيراً على أركسيلاوس ، ولا جدال فى أنه اذا لم تكن برقة قد اسهمت من قبل مساهمة فعلية فى الأحداث التى أفضت الى فرار أركسيلاوس الى ساموس ، فانها بعد الأحداث الأخيرة لن تدخر وسعا فى مساعدة خصومه على مناهضته ، كل ذلك كان يملى على أركسيلاوس ضرورة اخضاع مدينة برقة واقليمها الزراعى وهذا ما حدث بالفعل ، حيث كلف أركسيلاوس حماة « الأزير » بادارة شئونها نيابة عنه ، ولابد أن الأزير قد اشتط وتهور مقترفا بعض التجاوزات والأخطاء فى حق أولئك السكان ، ولذا فانه عندما عامت تلك الجماعة من أرستقراطيى قورينى والذين كانوا قد فروا من وجه ملكها الى برقة ، وأشياعهم السياسيين من أهل مدينة برقة ، بتواجد أركسيلاوس بها ، قاموا بتدبير مكيدة له ولحميه الأزير واغتالوهما معا(٧٦) .

ونتيجة لذلك فرت « فرتييمى » الى مصر مستنجدة بـ « بارياندس » الوالى الفارسى وهذا ما سوف نتعرض له فى صفحات تالية .

ثالثا ـ مصر وليبيا :

(أ) قمبيز :

سبق أن ذكرنا انه بمجرد دخول « قمبيز » مصر ، واثناء حصاره لمدينة « منف » ، قدم « أركسيلاوس » الثالث ملك « قورينى » الولاء الكامل للملك الفارسى ، وفعلت ذلك أيضا بعض القبائل الليبية خشية أن يوجه هذا الغازى حملة اليهم ، لكن ما أن استقرت الأمور « لقمبيز » فى مصر ، حتى فكر

فى ثلاثة مشروعات فشلت جميعاً ، من بينها غزو « قرطاجة » « تونس » الفينيقية الأصل ذات الشهرة التجارية ، متعللا بأن هداياها كانت قليلة(٧٧) .

ولكن اذا كان هذا هو السبب الذى أذاعه « قمبيز » فلابد أن تكون هناك أسباب أخرى ، حيث أنه كان قد قلل من قيمة هدايا قورينى أيضا ، فلماذا لا يكون من أهدافه غزو قورينى هى الأخرى حتى يثبت سيادته هناك لتكون فعلية بدلا من السيادة الاسمية التى حصل عليها بخضوع « أركسيلاوس » له ظاهريا وتقديم الجزية ، وربما كان هناك سبب اقتصادى ، حيث كانت قرطاجة تسيطر على التجارة بين المناطق الداخلية فى ليبيا وبين بلاد البحر المتوسط ، وربما كان فى ذهن « قمبيز » سبب استراتيجى حيث أنه بالاستيلاء على ليبيا وقرطاجة يكون قادرا على غزو بلاد الاغريق من الشرق والغرب عندما تحين ساعة المواجهة بينهما ، والحقيقة أنه ربما تكون كل هذه الأسباب مجتمعة وراء تفكير قمبيز فى هذه الحملة ، الا أن حملته هذه انتهت الى غير نتيجة ، لأن أعوانه من الفينيقيين أبوا أن يستعملوا اسطولهم ضد أبناء جلدتهم(٧٨) . وفى ذلك يذكر هيردوت أن الحملة قامت بالفعل بأمر قمبيز عن طريق البحر ، ولكن بحارة الأسطول الفارسى الفينيقيين رفضوا الاشتراك فى مهاجمة القرطاجيين لما تربطهم بهم من صلات دم ودين ، ولأن الفينيقيين هؤلاء كانوا يمثلون قسما كبيرا وفعالا فى تلك الحملة ، فقد توقف استكمال خطة الغزو وقفلت السفن عائدة بعد امتناعهم وسلبيتهم(٧٩) .

اما المشروع الثانى فهو حملته الى واحة سيوه ، ويرى « جريمال » أن الهدف من هذه الحملة ربما يكون السعى

وراء وحى آمون تثبيتا له فى زعامة مصـــــر(٨٠) . وان كان « هيردوت » يرى أن الهدف هو تحطيم معبد « آمون » نتيجة تنبؤ كهنته بســـوء المصـــــير لقمبيز وفتوحاته ، فأراد ان يلقن هؤلاء الكهنة درسا قاسيا ويثبت للعالم كذب هذه النبوءة(٨١) . وان كنا نرى أن هذه تهمة ضـــمن ما ســـاقه « هيردوت » ضد « قمبيز » وفى نفس الوقت يعلى من شأن « آمون » خاصة بعد فشل هذه الحملة .

الا أنه يمكن القول ، ربما كانت هناك عوامل أخرى محركة لهذه الحمـــلة خاصـــة اذا افترضنا أن هـــذه الحملة مكملة لحملة قرطاجة (سالفة الذكر) وأن الاثنتين هما حملة واحدة ، وفى خروج الحملة من طيبة وليس من هيراقليوبولس رغم قـــــرب الأخيرة من واحة ســــيوة ، تأييدا لهذا الغـــــرض ، وأن هذه الحملة كان لها بعد آخر أكبر من غزو واحة ســيوة فى حد ذاته ، وهو القضاء على الجيوب الاغريقية المنتشـــرة فى منطقة الواحات حتى لا تكون شـــوكة فى ظهر قمبيز وجيشــــه وحتى لا تكون هذه المناطق مأوى للمعارضين والفارين من وجهه .

وعلى ذلك يمــكن القول أن حملة قرطاجـــة وحمـــلة ســيوة كانا جناحين لحملة واحدة ، الجناح البحرى يمثله الأسطول الذى كان يقوده الفينيقيون ، والجناح البرى يمثله جيش قمبيز الذى خرج من طيبة ، وكان هدف هذه الحملة هو غزو ليبيا والشمال الافريقى ، وبنجاح هذه الحملة يكون فى مقدور الفرس الأطباق على الاغـــريق من الشرق ومن الغـــرب ، الا انه نظـــرا لفشـــل الجناح البرى ممثلا فى جيش قمبيز ، أضطر الجناح البحرى الى العودة وعلى ذلك لم يكن عودة الأســــطول تمردا من جـــانب الفينيقيين ولكنه لعدم وصول الجناح البرى اليهم .

(ب) دارا الأول :

بعد نهاية اركسيلاوس الثالث المأسوية فى برقة ، انهارت مكانة الملكة « فريتيمى » فى قورينى ففرت الى مصـــــر واحتمت بواليها الفارسى « ارياندس » وطالبته بالانتقام لمقتل ابنها على أســاس انه اغتيل بسبب ولائه للفرس ، وهنــا وجه « ارياندس » انذارا الى مدينة برقة يطــالب اهلها بتسليمه قتلة اركسيلاوس ، الا أن البرقيين رفضـــوا هذا الانذار ، وعندئذ قام أرياندس بتوجيه حملة برية وبحرية ضد مدينة برقة ، وانضـــمت فريتيمى الى جيش تلك الحملة(٨٢) .

وقد اختلفت الآراء ازاء توقيت هــذه الحملة ففريق يرى أن هذه الحملة وقعت فى عام ٥١٤ أو ٥١٣ ق.م(٨٣) . وفريق آخر يرى أن هذه الحملة خرجت من مصر حوالى نهاية صيف ٥١٩ ق.م وعادت حوالى نفس الوقت من عام ٥١٨ق.م(٨٤) . ولكل فريق من هؤلاء من الأدلة ما يدعم وجهة نظره ، لذلك لابد من تمحيص تلك الأدلة لترجيح اى التاريخين أقرب الى الصحة .

فالفريق الأول يفترض أن هيردوت يعتبر حملة « أرياندس » ضـــد ليبيا معاصـــرة لاعمال « مجبازوس » فى أعقاب حملة « دارا » ضـــد سكيثيا ، ويؤيد ذلك فرض آخر مستمد من أن ليبيا لم تذكر فى اول قائمة رسمية للبلاد الخاضعة للفرس ، وهى القائمة التى امر « دارا » باثباتها فى نقش « بهستان » قبل عام ٥١٨ ق.م ، ولم تذكر أيضا فى القائمة المثبتة على حجر تأسيس « برسبوليس » حوالى عام ٥١٣ ق.م وهى القائمة التى ورد فيها ذكر بلاد تراقيا عبر البحار ، بيد أن ليبيا تذكر لأول مرة فى القائمـــة الهيروغيلفيـــة المنقوشـــة على الأنصـــاب التى اقيمت

أحتفالا بانشــــاء قناة « دارا » بين النيل والبحر الأحمر(٨٥) . هذه القائمة فى رأى هؤلاء الباحثين من حوالى ٥١٣ ق.م ولكنها تغفل ذكر بلاد تراقيا عبر البحار ، وقد استخلص كل من «كامرون» و « ميتشــل » من ذلك ، ان قــائمتى برســبوليس وانصــاب القناة المصــرية متعاصــرتان تقريبا ، وانهما نقشـــتا فى أعقاب حملتى سكيثيا وليبيا ولكن قبل أن تعرف نتائجهما فى كل أنحاء الامبراطورية(٨٦) .

واذا سلمنا جدلا بأن هاتين القائمتين متعاصــرتان تقريبا ، فهل هذا الفرض يبرر النتيجة التى بنيت عليها ؟ ان دراســة نص القائمة الهيروغليفية فى روية واناة تبدد هذا الزعم ، حيث أن هذا النص لا يذكر ليبيا فحســب بل يذكر أيضا اثيوبيا(٨٧) وكلتاهما لم يرد لهما ذكر ســواء فى قائمــة بهستان أو فى قائمــة برسبوليس(٨٨) .

وتبعا لهذا النمط فى الاستنتاج لابد أن تكون أثيوبيا أيضا قد فتحت مثل ليبيــا وضمت الى الامبراطوريــة الفارســية قبيل نقش القائمة الهيروغليفية ، بيد أن ذلك لا يمكن أن يدور بخلد أحد ، لأن قمبيز هو الذى حاول فتح أثيوبيا ولم يقم أى فارسى بعده بأى نشــاط فى هذا الاتجاه(٨٩) .ومن ثم يتضح أن ذكر ليبيــا فى القائمــة الهيروغليفية لا يستتبع حتما أن تكون ليبيا قد ضــمت الى الامبراطوريــة الفارســية فى ذلك الوقت أو أن تــكون حملة ارياندس قد أرسلت ضــد ليبيا قبيل نقش هذه القائمة ، وهنا يتبادر الى ذهن الباحث ســؤال مؤداه ، هل كان ادراج ليبيا بين البــلاد الخاضــعة للفرس نتيجة لحملة ارياندس ؟ الحقيقة أن الباحثين جميعا يقبلون رواية « هيردوت » القــائلة بأن اســـتيلاء قمبيز على مصــر عام ٥٢٥ ق.م قد أفزع

قورينى وبرقة مثلما افزع جيران مصـــر الليبيين ، فســـلم الجميع للفرس دون مقاومـة وفرضـوا على أنفسـهم الجزيـة ، أليس معنى ذلك ان كل هؤلاء قد أصـــبحوا رعايا الملك الفارسى منذ عام ٥٢٥ ق.م ؟ وليس هناك ما يدعو الى الظن بأن الوضـــع قد تغير بعد وفاة قمبيز ، لاســيما أن انهماك أركســيلاوس فى دعم مركزه كان يحتم عليه الاحتفاظ بصـــــداقة الفرس والاستمرار فى دفع الجزية ، ولو أن أركسيلاوس كان قد توقف عن دفع الجزية وخرج على طاعة الفرس كما يعتقد « ميتشـــل » ، نقول لو حدث ذلك لمــا اجترأت « فريتيمى » على الالتجاء الى « أرياندس » تنشد مســـاعدته للانتقام لمقتل ابنها ، وفضلا عن ذلك فان هيردوت بعد أن يحدثنا بأن الهدف الحقيقى لحملة أرياندس كان اخضـــاع الليبيين ، يمضى فيقول ، أن القبائل الليبية كثيرة العدد متباينة النوع وانه اذا كان أقلها من رعايا « دارا » فان اكثرها كان لا يعنيه من أمره شيئا(٩٠) .

وعبارات هيردوت تدل بوضـــــوح على أنه فى وقت حملة أرياندس لم يكن فى عداد رعايا الفرس قورينى وبرقة فحســـب بل أيضا بعض القبائل الليبية ، واذا كانت بعض نصـــــوص « هيردوت »(٩١) تنم عن أن بعض القبائل الليبية فى قورينائية لم تكن قد اســـتسلمت للفرس ، وعن انحملة أرياندس كانت تستهدف اخضـــاع هذه القبائل ، فان القرائن المســتمدة من هذه النصـــوص لا تدع مجالا للشـــك فى ان هذه الحملة لم تحقق هذا الهدف ولم تفعل أكثر من الانتقام لمقتـــل أركســـيلاوس الثالث والقيام بمظاهرة عســـكرية ، ومادام انه لا يمكن اثبات ان هذه الحملة قد ضمت أى اقليم أو شعب جديد الى الامبراطورية الفارســـية بالاضـــافة الى من كانوا رعاياها من قبل ، فانه

لا يوجد أى مبرر للزعم الشـائع والقـائل بأن ادراج ليبيـا بين البلاد الخاضعة للفرس كان نتيجة لحملة اريانديس .

ولكن بم نفسر اذن اغفال ذكر ليبيا بين البلاد الخاضـعة للفرس سـواء فى قائمة بهسـتان أو فى قائمة برسبوليس **واثباتها فى القائمة الهيروغليفية ؟**

الحقيقة ان هيردوت يمدنا بسـبب هذا الاغفال حين يذكر قورينى وبرقة وليبيا بوصـفها أجزاء من ولاية مصر(٩٢) وتؤكد **« ميتشـل » نفسها ان ليبيـا لم تؤلف بذاتهـا ولاية على حدة ولم** يكن هناك نظام عسكرى خاص بها(٩٣) .

وعلى ذلك فاذا كان هذا يفسـر اغفال ذكر ليبيا فى قائمتى بهسـتان وبرسبوليس ، فانه أيضا يضـيف حجـة أخرى لتفنيد النتيجة المسـتخلصة من ذكر ليبيا فى القـائمة الهيروغليفية ، أما ذكر ليبيا واثيوبيا فى هذه القائمة المنقوشـة على أنصـبة أقيمت فى ولاية مصـر ، وكان هذان الاقليمان يؤلفان جزءا منها فأمر بديهى لا يحتاج الى تفسير .

والحقيقة أن أصـحاب الاتجاه الأول مازال لديهم سـند أخر يدعم وجهة نظرهم وهو الزعم بأن هيردوت يعتبر هذه الحملة معاصـرة لأعمال مجبازوس ، بيد أن هذا ليس التفسـير الوحيد لنص هيردوت الذى يتصـل بتاريخ حملة اريانديس ، فهناك تفسـير آخر يقول بأن هيردوت يعتبر هذه الحمـلة معاصـرة لحملة دارا ضـد سـكيثيا ، ويوجد تفسير ثالث وهو أن الرابطة بين هاتين الحملتين ليسـت رابطة تعاصر وانما رابطة موضـوعية منشـؤها التماثل فى الهدف والنتيجة بين حملتين متقاربتين فى الزمن كانتا تهدفان الى تطويق بلاد الاغريق شـمالا وجنوبا ولكنهما منيتا بالفشـل ، واذا كان هذا

التفسير يبرر عدم اعتبار الحملتين متعاصرتين ، فاننا مع ذلك نعتقد أن تقاربهما فى الزمن أسهم فى الايحاء الى هيردوت بالربط بينهما(٩٤) .

والحقيقة اننا نخرج من نصوص هيردوت باستنتاجين : الأول أن أحداث عهد أركسيلاوس الثالث تتابعت بسرعة مما يجعلنا نعتقد انها لم تستغرق زمنا طويلا ، والاستنتاج الآخر أن « دارا » اعدم أرياندس عندما زار مصر ، معنى ذلك أن تكون حملة أرياندس واستنجاد « فريتيمى » به ومقتل أركسيلاوس قد سبقت هذه الزيارة والرأى السائد هو أن هذه الزيارة سابقة لحملة سكيثيا ، والواقع فان الاستنتاجين يدعم أحدهما الآخر ، فالأول الذى يوحى بأن عهد أركسيلاوس كان قصيرا يؤكد الربط بين زيارة دارا واعدام أرياندس ، والثانى الذى يوحى بأن دارا عندما زار مصر أعدم أرياندس يؤكد قصر عهد أركسيلاوس الثالث .

والربط بين اعدام أرياندس وزيارة دارا لمصر يؤكده كذلك البواعث على هذه الزيارة ومما تجدر ملاحظته أن نقش بهستان يذكر مصر فى عداد الولايات التى ثارت على دارا فى خلال العام الأول من عهده ، الا انه لا يوجد أى ذكر لاخماد هذه الثورة فى هذا النقش سواء فى أعمدته الأربعة التى نقشت قبل عام ٥١٨ ق.م أو فى عموده الخامس الذى نقش عقب حملة سكيثيا ، وفى الوقت الذى يذكر فيه « بولينوس » أن مصر ثارت على الفرس وطردت أرياندس وأن دارا هو الذى أخمد هذه الثورة بما أظهره من سخاء نحو الههم أبيس ، نلاحظ أن هيردوت لا يذكر شيئا عن هذه الثورة ويذكر أن « دارا » أعدم أرياندس

لأنه اغتصـــــب لنفســـــه سلطة الملك اى انه لم تكن هنـــاكَ ثورة على الاطلاق(٩٥) .

مما تقـــدم يمكننـــا القول انه عقب وفـــاة قمبيز نشبت فى مصـــــر ثورة اســــرع « أرياندس » باخمادها حين كان «دارا» منهمكا فى اخماد الثـــورات العــــديدة التى وقعت فى الولايات الشـــــرقية ، وان نشــــوة النصر وسط هذه الظروف جعلت أرياندس يســـــرف فى ســــوء معاملة المصريين الى حد أثار نقمتهم ، وأن تدور بخلده آمال عراض يمكن استنتاجها من اقامته دارا لســــك نقود من الفضــــــة الخالصة على غرار نقود الملك « دارا » من الذهب الخالص ، وأيضـــــا اقدامه على أرســـال حملة الى ليبيا دون اســــتئذان الامبراطور ، وقيـــام أرياندس باســــتدعاء الحملة قبل أن تحقق أغرضـــــها دليل على أن تصرفه فى هذا الصــــــدد كان من تلقاء نفســـــه ودون ترخيص من الامبراطور ، وعلى أن الامبراطور غضــــب من هذا التصـــــرف وكان فى طريقه الى مصــــر ، ولا جدال فى أن تكون زيارة «دارا» لمصــــــر قد أملتها اعتبارات قوية مثل تصــــرفات « أرياندس » غير المســــئولة وأطماعه الجامحة ، وكذلك تذمر المصــــريين تذمرا شـــــديدا ، معنى ذلك انه كان على « دارا » أن يقضى على أرياندس قبل أن يســــتفحل أمره ، وأن يسترضى المصريين قبل أن يفلت الزمام من يده .

وهكذا يتضح أنه لا سبيل الى الشــــك فى أن يكون أرياندس قد لقى حتفه عندما زار « دارا » مصــــر لفترة قصــــيرة فى أعقاب وفاة العجل أبيس يوم ٣١ أغسطس ٥١٨ ق.م واذا كان « دارا » قد زار مصــــر فى ســــبتمبر أو أكتوبر ٥١٨ ق.م وأعدم أرياندس فلابد اذن من أن تكون حملة هذا الوالى ضـــد ليبيا قد ســـبقت هذا التاريخ ، وازاء الصــــلة الواضــــحة بين اســـتدعاء هذه

الحملة وزيارة « دارا » لمصر ، والفترة التى تقترب من عام وهى التى قضتها الحملة فى ليبيا ، يبدو محتملا أن يكون أركسيلاوس الثالث قد قتل حوالى بداية ٥١٩ ق٠م وأن تكون فريتيمى ناشدت أرياندس المساعدة عقب هذا التاريخ مباشرة وليس بعد عامين كما تذهب الى ذلك ميتشل(٩٦) .

وإذا قبلنا ما تذهب اليه « ميتشل » من أن حملة سكيثيا ترجع الى عام ٥١٥ ق٠م أو حوالى ٥١٤ ق٠م(٩٧) ، فان التاريخ الذى نرجحه لحملة أرياندس لا يكون بعيدا عن تاريخ حملة سكيثيا وتبعا لذلك فان اعادة فحص الأدلة وهى التى أفضت الى التواريخ التى توصلنا اليها تؤيد التفسير بأن هيردوت لا يربط بين هاتين الحملتين على أساس التعاصر وانما على أساس التماثل فى الهدف والنتيجة والتقارب فى الزمن(٩٨) . على أية حال فان والى مصر « أرياندس » بعد أن طلبت منه فريتيمى الانتقام لمقتل ابنها أركسيلاوس الثالث ، وجه انذارا الى مدينة برقة يطلب من أهلها تسليم قتلة أركسيلاوس ، غير ان هؤلاء البرقيين رفضوا الاستجابة لذلك الانذار وأعلنوا أنهم جميعا يتحملون مسئولية قتله ، وعندئذ قام الوالى بتوجيه حملة برية وبحرية ضد مدينة برقة طوال تسعة أشهر لكنه فشل فى احتلالها بالحرب فلجأ الى الحيلة والخديعة حيث أمر بأن يحفر فى الليل خندق عريض أمام بوابة المدينة ثم غطوه بسقيفة من حطب ضعيف ثم ستروها بالتراب حتى سارت مموهة تماما ، فلما طلع النهار دعا قائد الحملة البرقيين للتفاوض ، فرحبوا بذلك بعد أن أوشكت مواردهم على النفاد وتم التوقيع من الطرفين على معاهدة سلام واقسموا على احترام بنودها مادامت تلك الأرض ثابتة على حالها ، وتضمنت بنود المعاهدة الزام أهل برقة باداء الجزية الى ملك فارس فى

مقابل الا تقوم جيوشـــــه بغزوهم مرة اخرى ، فلما تم الاتفاق واطمـأن البرقيون فتحوا بوابات المدينــة ، وخرجوا منها وسمحوا لاعدائهم بالدخول ، وفى أثناء ذلك كانت مجموعة من هؤلاء قد هدمت الخندق المســـتور واقتحمت المدينة دفعة واحدة بعد ان نقضـــوا الجســر حتى لا يكونوا بهجومهم قد نقضـــوا العهد ولذا فقد انتقض العهد حين قوض الجسر(١٠٠) .

وقد بادرت « فريتيمى » فنكلت بكل مغتالى ابنها ومن تواطأ معهم من أهل المدينة ، واذاقت هؤلاء جميعا مر العذاب ، اما بقية الســـكان فقد تم استرقاقهم ، بعد ذلك اتجه الجيش الفارسى غربا حتى مدينة « يوسبيريدس » (بنغازى) ثم قفل راجعا نحو مصـــر حيث اخترق مدينة قورينى التى فتح له ســـــكانها بواباتها بزعم أن نبوءة الهية امرتهم بذلك ، وعسكرت قوات ذلك الجيش خارج أســوارها عند التل المســـمى تل زيوس وتزود بالمؤن واستأنف مســـيرته نحو مصر ، وقد تعرض هذا الجيش اثناء عودته لهجمات الليبيين مما جعله يتكبد خسائر جسيمة(١٠١) .

هوامش الفصل الثالث

(١) Hall, H.A., The Anceint History of The Near East, P. 529, N.I.
Hall, C.A.H3., Vol, 2, P. 305.

(٢) Herodotus 1 ; 77

(٣) Herodotus III : 19.
Olmstead, Histo of the Pers. Emp., P. 34 — 36

جورج رو : العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان ، ط ٢ ، بغداد ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٥١٣ — ٥١٨

(٤) Herodotus III : 1, Hall, 2, C.A.H3., P. 310.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣١١ ، جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٧١

(٥) Ghirshman, R., Iran from The Earliest Times To The Persian Conkuest, London, 1965 PP. 131 — 136.
Elgood, P.G., The Later Dynasties of Egypt, Oxford, 1951, PP. 112 — 113.

(٦) عذرا ٦ : ٣ — ٥ ، اشعيا ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٥ : ١

(٧) Herodotus III : 13.

(٨) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١٢ ، ص ٣٧٧

(٩) Hall, H.R., «The Presian Invasoin» C.A.H3. 2, 1975, P. 310.

(١٠) Posener, G., La Permiere Domination Perseen en Egypte., Le Caire, 1936, P. 33 NOT.

(١١) Heéodotus, III : 16; 27 — 29; 37.

(١٢) وهيب كامل : استرابون فى مصر ، ٢٧ .

(١٣) وهيب كامل : ديودور الصقلى فى مصر ، ٤٦

(١٤) بلوتارخوس : ايزيس وأوزوريس : ترجمة حسن صبحى البكرى ، القاهرة ١٩٥٨ ، فقرة ٤٤

(١٥) Olmstead, Hist, of The Pers. Emp., P. 91.

(١٦) Cowley, A.E., Aramaic Papyri of the Firth Century B.C., Oxford, 1923, Pap. No. 30.

(١٧) توجد هذه اللوحة حاليا بمتحف اللوفر برقم ٣٥٤ ويبلغ ارتفاعها ٦٦ سم بعرض ٤٤ سم سمك ٩ سم وهى من الحجر الجيرى

Posener, Opy Cit., PP. 30 — 31.

Ibid., P. 33.

(١٨) قام بوزنير بترجمة هذه اللوحة

(١٩) Parker R.A., «Persian and Egyptian Chronology», A.J.S.L., 58, 1941, PP. 286 f ;

Posener, Op. Cit., P. 36.

Posener, Op. Cit., P. 35.

(٢٠)

(٢١) Couyat, J., & Montet, P., « Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du ouadi Hammamat» M.I.F.A.O. 34, 1912, PP. 164 f

(٢٢) من المصادر المصرية القديمة التى تنبىء بتقبل قمبيز لديانة المصريين ومحاولته لأن ينخرط فى سلك فراعنتهم والتلقب بألقابهم ، بل انه لم يستنكف كما ظهر بالكلمة والصورة ، من أن ينحنى أمام آلهة المصريين ويتقدم اليها بالقرابين شأنه فى ذلك شأن أى ملك مصرى ، هذا المصدر هو تمثال وجا حرر سنت والموجود فى الفاتيكان ، وقام بوزنير بترجمة نصوصه الا أن أحدث ترجمة لهذه النصوص قامت بها مريام ليشتهايم أنظر :

Posonier, La premiere Domintion, PP. 1 f.

Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, Vol. 3; the Lat period, California, 1980 ,PP. 36 — 40.

(٢٣) Herodotus III : 64.

(٢٤) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١٢ ، ص ٨٠ — ٨١

(٢٥) Posnener, Op. Cit., PP. 36 f.

(٢٦) Olmstead, A.T., «Darius as Lawyer» A.J.S.L., L. 1, 1935, PP. 274 f.

(٢٧) هيردوت ٢ : ١١٠ ، ديودور ١ : ٥٨

(٢٨) Poseuer, Op. Cit., PP. 41 f.

(٢٩) Ibid., P. 17, Note 7.

(٣٠) Poseuer, Op. Cit., PP. 117 f.

(٣١) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٩٨

(٣٢) Olmstead, Hist, of the Pers. Emp., PP. 141.

(٣٣) Herodotus, VIII : 7.

(٣٤) Olmstead, Hist. of the Pers., Emp., P. 236.

(٣٥) Lichtherim, Op. Cit., P. 42.

(٣٦) ديموناكس مشرع اغريقى جاء من مدينة مانتينى الاغريقية .

(٣٧) هيردوت ٣ : ١٦١

(٣٨) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨

(٣٩) هيردوت ٤ : ١٦٩ — ١٧٢

(٤٠) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢٨٠

(٤١) Klaffembach, G., Supplementum Epirgraphicum Graecum, IX, 1939, P. 359.

(٤٢) British Museum catalogue, Cyrenaica,P. C L X VI.

(٤٣) ابراهيم نصحى : انشاء تورينى وشقيقاتها ، ص ٨١ .

(٤٤) هيردوت ٤ : ١٧١

(٤٥) هيردوت ٤ : ٢٠٤

(٤٦) نصحى : المرجع السابق ، ص ١١٠ — ١٢٣

Goodchild, G., Benghazi the Story of hte mcity, 1962, PP. 1 — S.4

(٤٧) Klaffenbach, Op. Cit., P. 77.

(٤٨) Warmington, B.H., «The Semitic Micration to Libya and North Africa», Libya Antique, 6, 1986, P. 176.

(٤٩) هيردوت ٤ : ١٨٣

(٥٠) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ٦٨

(٥١) محمد سليمان أيوب : المرجع السابق ، ص ٦٩

(٥٢) برسند : تاريخ مصر من أقدم العصور ، ص ١٣٨

(٥٣) هيردوت ٢ : ٣٢

(٥٤) Bovill, E.W., The Golden Treade of the moors, P. 17.

(٥٥) محمد سليمان أيوب : المرجع السابق ، ص ٧٠ — ٧١

(٥٦) Vovil, Op Cit., P. 17 f.

(٥٧) B.A.R., IV, 373 — 389.

(٥٨) Arkell, Wangnga ,P. 18.

(٥٩) محمد سليمان أيوب : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٦٠) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٩٧ — ١٩٨

(٦١) Mitchell, B.M., «Cyrene and Persia» J.H.S., 86, 1966, P. 103.

(٦٢) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٩١ — ١٩٢

(٦٣) Noshy, I., «Arcesilaus III «Libya in History, 1968, PP. 75 — 76.

Rowe, A., «A History of Ancient cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptolemaic statues found in Tolmeita» A.S.A.E., 12, Cahier No. 12, 1948, P. 26.

(٦٤) Noshy., Op. Cit., PP. 75 — 77.

(٦٥) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٧ — ١٩

(٦٦) Rowe, Op. Cit., PP. 26 — 27.
Mitchell, Op. Cit., P. 103.

(٦٧) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٩٨

(٦٨) Noshy, Op. Cit., P. 77.

(٦٩) Rowe, Op. Cit., P. 26.

(٧٠) كنيدوس : مدينة دورية قديمة من مدن كاريا المطلة على بحر ايجة بآسيا الصغرى ، وكانت مستعمرة اسبرطية .

(٧١) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٨ .

(٧٢) Mitchell, Op. Cit., P. 103.

(٧٣) هيردوت ٣ : ١٦٧

(٧٤) هيردوت ٤ : ٢٠٠

(٧٥) Noshy, Op. Cit., PP. 67 — 68.

(٧٦) هيردوت ٤ : ١٦٤ Rowe, Op. Cit., P. 28.
شامو : الاغريق فى برقة ، ١٩٨

(٧٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣١٢

(٧٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٩٧

(٧٩) هيردوت ٣ : ١٩

(٨٠) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٧٦

(٨١) هيردوت ٣ : ٢٦

(٨٢) شامو : الاغريق فى برقة : ص ١٩٩

(٨٣) Mitchell, Op. Cit., P. 103

(٨٤) Noshy. Op. Cit., P. 84.

(٨٥) Mitchell, Op. Cit., P. 100.

Posener, La Premiere domination des perseen en Egypte, PP. 482 , 486.

(٨٦) Cameron, G.G., «Darius, Egypt and the Lands Beyond the Sea», J.N.E.S., 2, 1943, P. 307
Mitchell, Op. Cit., P. 107.

(٨٧) Posener, Op. Cit., Nos 8 — 10, Olmstead, Op. Cit., P. 149.

(٨٨) Olmstead « Darius and Behistan inscription », A.J.S.L., 60, 938, PP. 392 ff.
Kent., «Old Persian Texts, Darius Behistan inscription column V», J.N.E.S., 2, 1943, P. 105 ff.

(٨٩) Olmstead, Hist. Persian Em, P. P. 89.

(٩٠) هكردوت ٤ : ١٦٧

(٩١) هيردوت ٤ : ١٦٨ ، ٢٠٣ — ٢٠٤

(٩٢) هيردوت ٣ : ٦١ — ٩٢

(٩٣) Mitchell, Op. Cit. P. 107.

(٩٤) Noshy ,Op. Cit., P. 61.

(٩٥) هيرودوت ٤ : ١٦٧
Kent, V., Old Persian Texts : Darius «Behistan Inscription, Column V». J.N.E.S. 2, 1943, PP. 105 ff.

(٩٦) Mitchell, Op. Cit., P. 103.

(٩٧) Ibid, P. 101.

(٩٨) Noshy ,Op. Cit., PP. 64 — 66.

(٩٩) Rowe, Op. Cit., P. 29.
شامو : الاغريق فى برقة ، ص ١٩٩
دريتون — فانديية : مصر ، ص ٦٥٥

(١٠٠) هيردوت ٤ : ٢٠١

(١٠١) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢٠٠
Rowe, Op. Cit., P 29.

الفصـــل الـــرابع

الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسى

(أ) الثورات المصرية ضد الحكم الفارسى حتى الاستقلال

١ ــ ثورة عام ٤٨٦ ق٠م

٢ ــ ثورة ايناروس وأميرتايوس ٤٦٠ ق٠م

٣ ــ الثورة الكبرى والاستقلال ٤١٠ ــ ٤٠٤ ق٠م

(ب) الأصــول الليبية لأسرات العصر المتأخر

تبين لنا من الفصول السـابقة أن التهديدات الخارجية لكل من مصـر وليبيا ، كانت من العوامل الرئيسـية لتوثيق الروابط والعلاقات بين البلدين . حيث كانت هذه العـلاقات فى أوج ازدهارها ابان تلك الفترة التى كانت فيها مصـر مهددة بالخطر الآشـورى . بينما كان الليبيون يقاومون خطر غزو خـارجى لسـواحلها من جانب عناصـر قادمة من بلاد اليونان(الاغريق) وبحر ايجه الا انه بعد أن تبدل خطر الآشـوريين بالخطـر الفارسى ، بينما اسـتقر الاغريق على السـواحل الليبية ، أصـبحت العلاقات غير واضـحة ، وربما يرجع ذلك لعدة عوامل منها ، انه بينما كان الليبيون طرفا مباشـرا فى المرحلة السابقة ولذا توافرت المصـادر سـواء من جانب المصريين تارة أو الآشـوريين (ضـمنيا) والاغريق تارة أخرى ، أما الفترة التى نحن بصـددها ، فكان الصـراع يدور بين الجانب الفارسى والجانب المصـرى فقط (وان أردنا الدقة نقول بين الفـرس والاغريق على الأرض المصـرية) . وهنا لم يكن الجانب الليبى طرفا مباشـرا فى الأحداث ، ولذلك غاب العنصـر الليبى بعض الشىء عن المصادر التى تناولت هـذه الفترة ، والواقـع قد يكون هناك ثمة علاقات بين الليبيين ومصـر تمثلت فى محاولة الليبيين مد يد المسـاعدة للمصـريين فى صراعهم مع الفرس ومن المحتمل أن مدوني الحوليات التاريخية لم يهتموا بتسـجيل

هذه العلاقات ، وهذا شىء لا نستطيع أن نجزم به يقينا ، وان كانت شواهد الأحوال تشير الى ذلك ، وسيحاول الدارس أن يبحث عن هذه العلاقات الغائبة .

ومنذ البداية يجب أن نضع فى اعتبارنا ملاحظتين هما مكان نشأة الثورات المصرية وقادة هذه الثورات .

(أ) الثورات المصرية ضد الحكم الفارسى حتى الاستقلال :

١ ــ ثورة عام ٤٨٦ ق.م :

كان وقع الغزو الفارسى على المصريين عنيفا ، ولكن سرعان ما جاءت اصلاحات « دارا » الأول فأرضت البعض وأخرت المواجهة ، حتى خيل لهذا البعض أن حسن السياسة فى التسليم بالأمر الواقع ، وأنهم قادرون عن طريق المداراة والملاينة أن ينقذوا لمصر ما يمكن انقاذه (وجاحر رسنت) وهذا فى الواقع اسلوب مقبول خاصة اذا كان العدو على قوة كبيرة ، وفى نفس الوقت لم يكن هناك قائد وطنى قوى يستطيع ادارة ثورة مسلحة ، بمعنى تفضيل استخدام العقل الموجود على استخدام القوة المفقودة ، وهذا هو اسلوب جميع أصحاب الثورات الناجحة ، التفكير ثم التخطيط واعداد القوى ثم التنفيذ ، وما فعله « بسماتيك » الأول مع الآشوريين خير شاهد على ذلك فان « وجاحررسنت » أمير « سايس » برىء مما انسب اليه من تهم خاصة خيانة بلاده نتيجة استخدام أسلوب المهادنة والملاينة ، وكذلك كان دور القائد المصرى « أحمس بن بايون حور » فقد ذكر فى نص على احدى أوحتيه المستخرجتين من السرابيوم ، كيف أجبر ولاة الفرس على الحضور الى « منف » ليقدموا الطاعة والقرابين لأبيس(١) .

ســـــارت الأمور على هذا المنوال حتى تضــــافرت عدة عوامل خارجية لتدفع بالثورة المصـــرية الى المجاهرة . أما العوامل الخارجيـــة . فجاءت من فارس نفســـها ممثلة فى ضعف العرش الفارسى وانشـــــغاله بحرب المدن الايونية الثائرة ، واصبح الأمر أمر وقت لتقوم الحــرب بين فارس واليونان بعد أن قدمت اثينا العون لهذه المدن الثائرة ، وهكذا كانت موقعة « ماراثون » فى عام ٤٩٠ ق.م والتى انتهت بهزيمة مروعة للفرس ، بمثابة الضـــوء الأخضر أمام المصريين للمجاهرة بالثورة ، حيث أن هــذه الحرب (الفارســية اليونانيــة) قد شــغلت الملك الفارسى (دارا) بقية حياته مما أدى الى تهاونه فى أمور مصــــر بعض الشىء .

أما العوامل الداخلية فتتمثل فى أن « السياسة التى اتبعها » « دارا » لم يكن الهدف منها التودد للمصريين بقدر ما كانت تهدف اساسا الى انتزاع أكبر ايراد ممكن من تلك الولاية ، فضــلا عن تســخير العمال المصـــــريين فى قطع أحجار وادى الحمامات لصـــــالح الفرس وأيضا تســـخير الفلاحين فى حفر أو اعادة حفر القناة التى كانت تربط بين النيل والبحر الأحمر ، والى جانب فداحة الضرائب الباهظة ، كان لابد من امداد وتموين الحاميات الفارســية التى كانت تمتد من بلدة « مارى » شـــمالا (على مقربة من موقع الاســـــكندرية حاليا) وحتى اليفـــانتين والجندل الأول جنوبا ، بالغلال اللازمة وخاصـــة القمح ، وفوق هذا كله ترحيل العمال المهرة الى مدينة « ســــوسا » الفارســـــية ، ويذكر « ديودور » أن المدن الفارسية برسبوليس وسوسا واكبتانا قد زادت من توســــعاتها المعمارية على حســـاب الخبرة والثروة المصـــرية(٤) .

وفى هذا الصـــــدد يذكر « هيردوت » أن غزوة ساردیس كانت قد أثارت لاقصى درجة غضـــب « دارا » على الآثينيين ، غير أن معركة « ماراثون » زادت حنقه وتحمســـه الى محاربة الاغريق ، فبادر وأرســل الأوامر الى المدن التى فى قبضـــته لحشـــد جيش كثيف واعداد كبيرة من الخيل والزاد وســفن الحرب والشــــحن أكثر مما أمر به قبــل ذلك ، وعندما بلغت الأوامر كل الجهات تحركت لها كل آســيا واســـتمر على ذلك ثلاث ســنوات ، ولكن بينما كانوا يجمعون الرجال ويجهزون تلك اللوازم بلغهم فى السنة الرابعة أن المصريين الذين أخضعهم قمبيز قد خرجوا على الفرس ، فاشـــتد غضـــب دارا وعزم على أن يغزو هذين الشـــعبين ، ولما أعلن « دارا » خــلافة « أكرزكسيس » له ورأى أن كل الاستعدادات قد تمت عزم على المســير ، ولكنه توفى فى السنة التى تلت ثورة المصــريين عليه ، وكان قد حكم ســتا وثلاثين ســنة كاملة ، ولم يشــف غليله من معاقبة المصـــريين واخماد ثورتهم ولا من الانتقام من الآثينيين(٥) .

وتشير المصـــادر المصريه الى تلك الثورة اشـــارة غير مباشـــرة ، ففى رســالة من « خنوم ام اخت » أحد كبار المســـئولين فى « اليفانين » يطلب من شطرب مصر « غرنداة » أن يرســل من يؤمن وصــول الغلال على سفينة الشحن الى أفراد الحامية ويقول « دع الشـــطرب يأمر ارتاباتوس (قائد حاميــة اليفــانين الفـارسى) أن يقيم حارســا على الغــلال فى الســفينة والا يفرغ على الشـــاطىء الا ما يمكن أن تبحر به المركب ، وان لم تتخذ الاحتياطات فســوف يأتى الثوار ليلا وينهبون الغلال ثم يضـــربون خيامهم فى المواجهة ويصــبحون اكثر جراة حتى انهم يظهرون أنفسهم وسط النهار(٦) .

يتضح من تلك الوثيقة أن الثوار كانوا يهاجمون مراكز الامداد ومستودعات التموين الخاصة بجند الحاميات الفارسية فى أنحاء البلاد ، كما انها تنم عن ضائقة اقتصادية وأن أعمال السلب والنهب هذه كانت سابقة على الثورة العامة حيث تذكر نفس الرسالة انه خلال شهر من تاريخها (أى الرسالة) قامت الثورة المصرية وعمت البلاد .

وتبرز هنا مسألة مهمة اختلفت حولها آراء المؤرخين وهى ، من كان قائد هذه الثورة ؟ وما أصله ؟ وقد زاد من هذا الاختلاف والتضارب صمت الآثار والمصادر المصرية وغموض ما ظهر منها حتى الآن ، فشخصية قائد هذه الثورة ماتزال غامضة ، وقد ذكرت مختلف المراجع وبعض المصادر أن « خباباش » هو هذا القائد الذى حرر مصر واسترد الملكية واتخذ الألقاب الفرعونية وحكم مصر فترة قصيرة ، وأهم الآثار التى حوت نصوصها اسم « خباباش » هى :

(أ) تابوت العجل أبيس(٧) .

(ب) بردية ليبى(٨) .

(ج) مقلاع من الجلد وآنية العجل منقوش عليه أحد ألقاب الملك داخل الخرطوش « خباباش محبوب رع »(٩) .

(د) لوحة الوالى(١٠) .

قادت هذه الآثار الى ثلاثة اتجاهات مختلفة حول مركز « خباباش » التاريخى ، وسوف يحاول الدارس مناقشة هذه الاتجاهات كلا على حدة .

أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه ان حكم « خباباش »

كان فى بداية القرن الخامس ق.م ، وانه قاد ثورة المصريين ضد الفرس فى العام الخامس والثلاثين من عهد « دارا » الأول مستندين فى ذلك على عدة شواهد منها ، توكيد احترام البطالمة لذكرى « خباباش » حيث سعى بطلميوس الأول لفحص تمثاله ثم أمر باعادة الأوقاف القديمة التى كان قد منحها «خباباش» لمعبد « بوتو » ثانيا : اغفال المؤرخ « مانيتون » اسم « خباباش » عند تسجيله لقائمة الملوك المصريين طبقا لأوامر « بطليموس » الثانى ، وقد فسر أصحاب هذا الاتجاه هذا التجاهل بأن قدم عهد هذا الفرعون كان سببا فى نسيان « مانيتون » له ، ودللوا على ذلك بأن هذا المؤرخ اقتصر على ذكر الملك « باكن رن أف » عند تسجيله أسماء ملوك الأسرة الرابعة والعشرين فى قائمته ، مع أن الآثار قد اكدت أن هناك ملوكا آخرين من نفس الأسرة لم يذكرهم مثل « تف ـ نخت » و « نكاو » الأول ثالثا : ورود اسم « أكزركسيس » واضطهاده لـ « بوتو » مع لقب الفرعون « خباباش » فى نص لوحة الوالى يرجح انهما كانا متعاصرين(١١) .

أما الاتجاه الثانى فيرى أصحابه أن حكم « خباباش » كان فى العامين السابقين لغزو الاسكندر الأكبر لمصر(١٢) .

ويرى أصحاب الاتجاه الثالث ، انه يمكن وضع حكم « خباباش » فى العامين اللذين يفصلان بين « ارتكزركسيس » الثالث (أوخوس » (٣٥٨/٣٥٩ ق.م ــ ٣٣٧/٣٣٨ ق.م) و « دارا » الثالث (٣٣٥/٣٣٦ ق.م ــ ٣٣٢ ق.م)(١٣) .

بالنسبة للاتجاه الأول فان الشواهد التى اعتمد عليها يعترضها عدة صعوبات منها أن تجاهل « مانيتون » لـ « خباباش » لم يكن نسيانا لقدم عهده وقصر مدة حكمه كما يرى هؤلاء الا انه ربما كان تجاهلا مقصودا ، فحتى لو افترضنا

جدلا أن هذا الفرعون حكم فى بداية القرن الخـــامس الم يذكر « مانيتون » فراعنة أقدم منه لم يحكموا الا فترات قصـــيرة ؟ منهم على سـبيل المثـال « متشيـوفس » من الأسرة السادســة وقد حكم سنة واحدة(١٤) . وحتى لو افترضنا قدم عهد « خباباش » الم يكن ذكر بطلميوس الأول له كافيا لأن يتذكره مانيتون وهو الذى كتب عمله هذا فى عهد بطلميوس الثانى ؟ ، وما كتبه مانيتون يدل على انه أنهى الأسـرة الثلاثين بالملك « نختنبو » الثـانى وهو بذلك تجاهل « خباباش » عمدا ليعكس رغبات سيده وحاميه بطلميوس الثانى ويحقق رغبة البطالمة فى الارتباط بالأســرة السمنودية(١٥) .

أما ذكر اسم « أكزركسيس » واضـــطهاده لـــ« بوتو » مع لقب الفرعون « خباباش » فى نص لوحة الوالى ، فهذا أمر مردود عليه ، حيث أن هذه اللوحة لم تكن معاصــرة لأى منهما (أكزركسيس أو خباباش) حيث تؤرخ بالعام الســابع اليوم الأول من فصــل الفيضــان من عهد الاسـكندر الرابع (حوالى ٣١٠ ق٠م)(١٦) .

كما أن هناك من فسر اسم «خرشيش» بأنه «ارتكزركسيس» الثالث وليس « أكزركسيس »(١٧) . أما الاتجاه الثانى الذى يرى وضـــع « خباباش » فى العامين الســابقين لغزو الاسكندر الأكبر لمصر مباشرة ، لا يؤيده الترتيب الزمنى واشارات لوحة الوالى(١٨) .

يبقى أمامنا الاتجاه الثالث وهو ما يميــل اليه الدارس ، والذى يرى أن « خباباش » يمكن وضـــعه فى العامين اللذين يفصــلان بين « ارتكزركسيس » الثالث (أوخوس) و « دارا » الثالث ، وذلك استنادا الى عدة شـواهد منها ، أن « خباباش »

جاء بعد « أرتكزركسيس » ويتضـــــح ذلك من لوحة الوالى (من ثم تحدثوا لجلالته المســـــتنقعات التى تســـمى أرض ادجو كانت فيما مضى تخص آلهة « ب » و « دب » ولكن العدو خرشيش (أرتكزركسيس) منعها ولم يقـــدم منها أوقافا لآلهة « پ » و « دب »(١٩) .

ثانيا : أن « خباباش » أصدر قراره بعد أن قام باستكشاف مصـــاب الدلتا التى يظن أن الآســـيويين (الفرس) قد يهاجمون مصر عن طريقهـــا وتشـــير الى ذلك لوحـــة الوالى عنـــدما حث كهنة « بوتو » الملك « خباباش » على طرد « ارتكرزكسيس » من مصـــر « أى مليكنـــا وســـيدنا حور بن ايزيس وابن أوزير حاكم الحكام ملك ملوك مصر العليا والسفلى المنتقم لأبيه ســـيد « ب » والمقدم على الآلهة الذين اتو الى الوجود بعد ذلك ، ذلك الذى ليس بعده ملك ، رد العدو ارتكزركسيس حتى من مقره مع ابنه الأكبر ، انه معروف فى مدينة نيت وسايس منذ ذلك اليوم روما بعده بجوار أم الاله(٢٠) .

معنى ذلك أن كهنة بوتو وعدوا « خباباش » انه اذا طرد الفرس نسيكون معروفا فى ســـــايس ربما كحاكم شـــــرعى ، وهذا يعنى عدم شــــرعية حكمه ، وبالتالى وعد « خباباش » باتبـــاع نصيحـــة الكهنة وســـوف يعمل على طرد الفرس ، ومن الواضــــــح ايضا أن بطلميوس أراد أن يفعل مثلما فعل «خباباش» كى يعـــترف الكهنة بشــــرعية حـــكمه ، معنى ذلك أن كلا من « خباباش » و « بطلميوس » لم يكونا حاكمين شـــــرعيين فأرادا اضـــــفاء الشـــــرعية على حكمهما وذلك برد أوقاف معبـــــد « بوتو » التى منعها الملك الفارسي فعل ذلك بطلميوس بثلما فعل « خباباش » من قبل .

ثالثا : أن بردية ايبى تم توقيعها من نفس مسجل العقود (وهو « بادى حر با رع » ابن « با ـ خع ـ سو » والذى وقع وثيقة اخرى من عهد الاسكندر الأكبر عام ٣٢٤ ق.م(٢١) .

معنى ذلك انه اذا كانت تسوية « خرشيش » بارتكزركسيس صحيحة وهذا ما نرجحه ، فانه هو وابنه « أرسيس » (ملك المستقبل) كانا على قيد الحياة عندما كان « خباباش » فرعونا لمصر(٢٢) .

وعلى ذلك يمكن تفسير الموقف على النحو التالى ، انه عندما أيقن « نختنبو » الثانى عدم جدوى مقاومة الملك الفارسى « ارتكزركسيس » الثالث ، فر هاربا صوب الجنوب بعيدا عن متناول القائد المنتصر ، ومن المتفق عليه بين جمهور المتخصصين انه لجأ عند أحد أمراء النوبة السفلى الذين عاصروا « نستاسن » من ملوك نباتا ، ومن المحتمل أن هذا الأمير نصب نفسه مسئولا عن مصالح الملك « نختنبو » الثانى ، وبعد وفاة هذا الملك أعلن هذا الأمير نفسه فرعونا على أساس أنه أصبح وريث « نختنبو » الثانى ، ويروى التقليد البطلمى أنه تزعم نشاطا معاديا للفرس فى الدلتا وان هذه المقاومة استمرت حتى شتاء ٣٣٦/٣٣٥ ق.م ، وكان قد امضى خمس سنوات يحث المصريين على الثورة ، فاذا اضفنا الى هذه السنوات الخمس عامين آخرين وهما العامان اللذان احتفظ فيهما « نختنبو » الثانى بقدر من السلطة بعد هزيمته وفراره الى الجنوب ، فاذا اضفنا هذه السنوات السبع لتاريخ ٣٣٦ ق.م المذكور يعود بنا ذلك الى عام ٣٤٣ ق.م وهو تاريخ هزيمة « نختنبو » الثانى أمام « ارتكزركسيس » ، والمعروف انه فى عام ٣٣٨ ق.م . اغتيل « ارتكزركسيس » واعلن «ارسيس»

ملكا خلفا له ، فارتبكت أوضـــاع الامبراطورية الفارســية خاصة بعد انتصـــــار فيليب المقدونى فى معركة « خيرونا » ليوحد من حوله كافة القوى اليونانية ، ومن المحتمل أن « خبباش » استغل هذه الفرصة وقام بثورته وأعلن نفسه ملكا على مصر(٢٣) .

وكما حدث جدل حول وضـــع « خبباش » التاريخى ، حدث اختلاف أيضا حول أصـــــله وهويته ، وأورد « كينتز » آراء العديد من علماء المصريات فى ذلك الصــــــدد منها أن «بيرش» يرى أن « خبباش » كان شـــــطربا فارســــيا قام بالثورة ضد مليكه واســـــتقل بحكم مصـــر ، بينما يرى « ســتروف » انه كان شـــــطريا آســــيويا صغيرا نصف مستقل ، أما « ريفيو » فيرى انه كان عربى المنبت ، فى حين يشـــــير « ماكس مولر » انه كان قائدا عســــكريا أجنبيا يحتمل أن يكون من أصـــــل ســــامى(٢٤) .

أما « جريمال » فيعتقد أنه كان من أصــــل كوشى(٢٥) . وان كان « جاردنر » لم يحدد هويته فيرى أنه كان واحدا من آخر (ان لم يكن آخر) الحكام غير الفارســــيين وغير اليونانيين اســـــتطاع أن ينتحـل لقب فرعـون(٢٦) وان ذهب البعض انه مصـــــرى معتمدين فى ذلك على الآثار التى حوت نصـــــوصها اســــم « خبباش »(٢٣) ، الا ان هذا الرأى يمكن تفنيده حيث انه من أهم الآثار التى اعتمد عليها هذا الرأى هى لوحة الوالى ، والحقيقة أن هذا المصـــــدر يحوى الشىء الكثير الذى يوضـــح أصــــل « خبباش » غير المصـــرى ، فمنذ البداية فان اســمه غريب ، وكيف يكون مصـــــريا وهو يجهل العـــادات التىكانت تمارس فى دلتا مصـــــر خاصـــة فى معبد « بوتو » ؟ كما انه لم يعرف مداخل مصر الشـــمالية وأخذ يسأل الموظفـــين عن

ذلك ، كما أنه كان يجهل ما فعله الملك الفارسى بمعبد بوتو ، وما فعله آلهة « ب » و « دب » ضد هذا العدو ، كما يتضح من نفس المصدر أن « خباباش » لم يكن معروفا فى مدينة « نيت » (سايس) ، علاوة على كل ما تقدم يمكن القول أن نص لوحة الوالى كان يتعلق أساسا بالأفضال الدينية والانجازات العسكرية ل « بطليموس » الأول فى بداية عهده كوال على مصر كى يضفى الأهمية على منصبه فى حكم « بوتو » أرض الربة « واجه » التى خصصها « خباباش » لآلهة تلك المدينة(٢٨) .

اذن كانت رحلة « بطليموس » لمدينة « بوتو » جزءا من دهائه السياسى ، وسياسته الدينية ولم تكن أبدا لاحياء ذكرى « خباباش » ، وذكر هذا الفرعون كان فقط لرغبة « بطلميوس » فى تجديد أوقاف معبد « بوتو » وتأكيدها ، والحقيقة انها كانت وسيلة البطالمة الوحيدة لتأكيد سيادتهم على هذه البلاد فى المراحل الأولى من حكمهم .

ويقترح « ماسبيرو » ويتفق معه « سفيرون » و «سبالنجر» أن « خباباش » من أصل ليبى مثله فى ذلك مثل القائد «ايناروس» الذى أعلن نفسه ملكا على مصر فيما بعد ، ويحدد « سبالنجر » انه من قبائل « الماشواش » نظرا لأن اسمه ينتهى بالمقطع « شا » على غرار الاسماء الليبية ، كما تتوسط اسمه « باء » مشددة كغيرها من اسماء الماشواش(٢٩) . ويذكر سليم حسن نقلا عن رواية قديمة ، أن المصريين انفسهم لم يقوموا بتلك الثورة وانما هم الليبيون الذين كانوا يقطنون غربى الدلتا ، فقد انتزعوا الوجه القبلى من الفرس ثم زحفوا شمالا الى العاصمة منف ولكنها

قاومتهم حتى وصلت النجدة الفارسية عن طريق وادى الحمامات الذى كان يمثل الجسر البرى الذى يربط بين عاصمة الملك الفارسية وبين مصر(٣٠) . وعلى ذلك يرى الدارس أن يكون « خباباش » أميرا ليبيا يحكم أقليما فى النوبة السفلى أعلن نفسه مسئولا عن مصالح « نختنبو » الثانى ، وبموت هذا الأخير أعلن « خباباش » نفسه فرعونا لمصر بعد حوالى سبع سنوات من مقاومة الفرس ، أى حوالى عام ٣٣٨ ق.م.

منعى ذلك أن « خباباش » لم يكن هو قائد الثورة فى تلك المرحلة ، ولكنه فى نفس الوقت يؤكد أن أميرا من أصل ليبى قاد ثورة مصرية ضد الفرس ، مما يؤيد وجهة نظر الدارس فى وجود الترابط والتلاحم بين الشعب المصرى والشعب الليبى ضد الاحتلال الأجنبى .

من هنا يمكن القول أن قائد هذه الثورة غير معروف حتى الآن ، الا أن الثابت يقينا هو قيام الثورة المصرية فى ذلك الوقت والتى اندلعت فى جميع الاقاليم المصرية ، وحين بلغت الثورة ذروتها لم تستطع الحاميات الفارسية الصمود أمامها ، وعندما علم « دارا » الأول بذلك ، وكان قد أوشك على الانتهاء من تجهيز جيوشه استعدادا لغزو بلاد الاغريق وتوجيه ضربة انتقامية لهزيمة « ماراثون » ، حتى صمم على سحق المصريين واليونانيين معا الا انه مات قبل أن يحقق ما انتواه ، وكان « أكزركسيس » ابنه وخليفته هو الذى تمكن من القضاء على الثورة واستعاد السيطرة الفارسية على مصر مرة أخرى وعين أخاه « أخمينس » واليا على مصر وكان ذلك حوالى ٤٨٤ ق.م ، وقد الغى هذا الوالى ضياع معابد المدن الثائرة ونهب منها ما كان قد غفل عنه « قمبيز » من قبل ، كما أعيد العمل فى محاجر وادى الحمامات حيث كانت بعثات

قطع الأحجار تقوم من منف الى تلك المحاجر ثم تنقل الأحجار الى فارس عن طريق البحر الأحمر لاستخدامها فى تشـــــيد المبانى المهمة هناك(٣١) .

على اية حال ظلت قبضـــة الفرس قوية على مصـر طيلة أيام حكم « أكزركسيس » الذى مات حوالى ٤٦٥ ق.م وخلفه ابنه « ارتكزركسيس » الثانى .

٢ ـ ثورة « ايناروس » واميرتايوس حوالى ٤٦٠ ق.م :

كانت الحروب التى أخذت تتصـــاعد بين الاغريق والفرس ســـببا فى الكســـاد الاقتصادى والتجارى الذى أصـــاب مـوانى مصر وأســـواقها الخارجيـــة فى الوقت نفســـه كان على مصر بسبب تبعيتها للفرس أن تقدم رجالها وعتادها للجيش الفارسى ، وبسبب الهزائم المتوالية على جيوش الفرس فى عهد « أكزركسيس » والتى كان آخرها معركة سلاميس ، اغتيل هذا الملك على يد قائد حرســـه « ارتابانوس » عام ٤٦٥ ق.م. مما شـجع على انـدلاع الفتن والثـورات فى انحـــاء الولايـات الفارسية ومنها مصر ، وكانت الثورة المصرية فرصة ســـانحة للاغريق يزعجون بها الفرس .

كان قائد الثورة في هذه المرحلة هو « ارت ان حـ رارو » الذى يعتقد انه كان ابنا لـ « بســـماتيك » الثالث آخر ملوك الأســـرة السادسة والعشرين ، وكان أميرا على ســـاكنى الاقاليم الغربية شـــمال الدلتا والذين كانوا يتركزون حـــول حصن « مارى » (مريوط) وضـــواحى الاسكندرية فيما بعد ، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية ، وربما تفســـير هذا تســـمية هيردوت له بملك الليبيين(٣٢) .

أخذ هذا الزعيم يجمع حوله القوى الوطنية المبعثرة فى الدلتا ، وعندما اخذت نيران الثورة تمتد الى كل مكان انضم اليه أمير آخر كان يدعى امن اردى سو (أمير تايوس) والذى لا يستبعد انه كان هو الآخر من نسل ملوك سايس وقد حدث أول صدام بالفرس عند « بابريمس » وهو مكان لم يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال ، وقد هزمت القوة التى تحركت تحت امرة الوالى « أخمينس » الذى قتل فى المعركة(٣٣) ، وبذلك استطاع « ايناروس » و « أمير تايوس » أن يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا ، مما دفع جند الحامية الفارسية الى الهرب تجاه منف ، ولم يتعقبهم «ايناروس» فى البداية وتريث حتى يؤمن ظهره خوفا من اى مفاجآت فارسية ، وتدعيما لموقفه اتجه الى عقد المحالفات مع « بير كليز » حاكم أثينا و « أركسيلاوس » الرابع ملك برقة(٣٤) .

وحاصر الثوار مدينة منف ، وأجبر الفرس على ترك جزء من العاصمة للمحاصرين ، لكنهم أقاموا المتاريس فى جزء محصن من المدينة ، وقاوموا هجمات الجيوش المصرية والاغريقية ، ولم يثأر الفرس لأنفسهم الا بعد ثمانية عشر شهرا ، فاضطر الاغريق الى اللجوء الى جزيرة « بروسو بيتيس » فأحرق الفرس سفنهم واستطاع قلة من الاغريق أن يهربوا الى بلادهم مجتازين الأراضى الليبية ، أما « ايناروس » فقد أسر وأخذ الى سوسا حيث أمر الملك الفارسى باعدامه(٣٥) .

كانت هذه المرحلة تمثل تطويرا للثورة وتصعيدا لها خارج النطاق الاقليمى للمرة الأولى(٣٦) . والحقيقة انه لم تكن هذه هى المرة الأولى التى استعان فيها المصريون بالاغريق ضد الاحتلال الأجنبى ، حيث استعان بهم « بسماتيك » الأول ضد

الآشـــوريين ، وتحالف معهم « أحمس » الثانى (أمازيس) ، ولا ننسى أن هزيمة الفرس فى ماراثون أمام الاغريق كانت من أهم عوامل قيام الثورة المصرية الأولى ضـــد الفرس ، ويمكن القول أيضا أن مساعدة الاغريق لمصر ضد الفرس ، لم تكن من أجل استقلال مصـــر فى حد ذاته ، ولكن كان وراء ذلك أسباب سـياسية واقتصـــادية أيضا فنحن نعلم عن الصراع المستمر بين الفرس والاغريق ومحاولة كل منهما القضـــاء على الآخر فكانت الثورات المصـــرية فرصة للاغريق لضـــرب الفرس وانزال الهزائم بهم ، كما أن المصـــالح الاقتصـــادية كانت المحك الأول الذى دفع الاغريق الى مساندة الثورات المصرية ، حيث كانوا يطمعون فى انشاء محطات تجارية لهم على الشـــواطىء المصـــرية ، بالاضـــافة الى الحصول على الغلال المصرية ، فاستعانة المصريين بالاغريق كانت أمرا طبيعيا لمعرفتهم بأن هؤلاء الاغريق هم الد أعداء للفرس .

أما مسألة تحالف « ايناروس » مع « اركسيلاوس » الرابع ملك برقة ، فان من يعتقدون بوجود هذا التحالف يعتمدون على حجتين ، الأولى تتمثل فى مقطع من مقاطع البوثية الرابعـــة للشاعر « بنداروس » حيث يذكر أن الســـاحرة ميديا أبلغت « أيوفيموس » بأن أحد أحفـــاده سيتلقى نبوءة من أبوللو تأمره باصطحاب العديد من الرفاق فى مركب يبحر به نحو معبد آمون فى بلاد النيل ، ويعتقد أصـــحاب هذا الراي بأن فى ذلك دلالة على حملة قورينة قد توجهت الى مصر ، أما الحجة الثانية فهى ، أن ما بقى من الجنود الاغريق بعد هزيمتهم أمام الفرس رجعوا الى بلادهم عن طريق برقة(٣٧) .

الا أن الحجتين لا تكفيان للتدليل على أن « اركسيلاوس »

الرابع قد تحالف مع حركة « أيناروس » ، حيث أن « بنداروس » كان يقصد من المقطع المذكور ، تأسيس مدينة قورينى ولكن يبدو أن ذكر بلاد النيل هو ما أثار هذا الجدل ، الا انه يمكن القول أن المفاهيم الجغرافية أيام بنداروس كانت ماتزال غامضة وغير محددة ، وكان بنداروس يرى فى قورينائية قبل كل شىء بلدا يعبد فيه الاله آمون الذى يقوم معبده فى واحة « سيوة » الواقعة عند التخوم الفاصلة بين مصر وهذا الاقليم .

أما فيما يتعلق بعبور الجنود الاغريق للأراضى الليبية واتخاذهم مدينة « قورينى » نقطة يركبون البحر من عندها وهم فى طريقهم الى بلادهم ، فانه أمر لا يترتب عليه الافتراض باشتراك أركسيلاوس الرابع بقواته فى الحملة المذكورة ضد التواجد الفارسى فى مصر ، فالواقع انه بعد احراق الفرس لسفن الحملة الاغريقية لم يعد هناك مفر أمام الجنود الباقين سوى التوجه برا عبر الصحراء الى أقرب مدينة اغريقية ، وكانت بالطبع « قورينى » ، ولا شك أن رجوع أولئك الجنود برا كان مغامرة محفوفة بالمخاطر والصعاب ، فهم قد اضطروا الى عبور فيافى صحراء مراقيا (البطنان) التى يقطنها الليبيون المعادون لاغريق قورينى . لذا لابد وأنهم قد هاجموا شراذم الجنود الاغريق المتقهقرين وعاثوا فيهم تقتيلا ، ولعل هذا ما تمناه القائد الفارسى « ميجابيز » . وربما أراد ايضا أن يظهر ضعف الاغريق أمام الليبيين فيشجعهم على الثورة كما فعل الاغريق وشجعوا المصريين على الثورة ، ومن المحتمل أيضا أن القائد الفارسى أراد أن يرهب ملك قورينى حتى لا يتبادر الى ذهنه التفكير فى شق عصا الطاعة على الفرس ، وربما كل هذه الأهداف مجتمعة أرادها القائد الفارسى المنتصر .

وعلى ذلك يمكن القول ان اشـــتراك اركسيلاوس الرابع فى الحملة التى وجهها الاغريق ضد الفرس فى مصر لا أسـاس له من الصحة ، بل على العكس من ذلك فانه لابد وأن تكون سياســة الحـذر والحيـــاد التى صـــار عليهـا الملوك الباطيون باســـتمرار قد اوحت لاركســيلاوس بعدم اقحام نفســـه فى هذه المغامرة الحربية التى دارت رحاها على أرض مصـــر ، خاصة وانه كان مشـــغولا آنئذ بتعقيدات ومصـــاعب الموقف الداخلى وعدم الاســـتقرار السياسى فى قورينى والذى كان يهدد عرشه(٣٨) .

اذن لم تلعب قورينى بالنسبة لتلك الحملة الاغريقية ضـــد القوات الفارســـية فى مصـــر ســـوى دور المستضيف المغيث لشـــراذم الجيش الاغـريقى المتقهقر من مصـــر وتســـهيل أمر عودته الى بلاده ، واذا كان موقع قورينى الجغرافى قد هيأ لها أن تقوم بهـذا الدور الا انه لا يعنى انها قد أســهمت بالفعـل فى تلك الحـــرب .

وكان لهذا التمرد المصري ضـــد الفرس نتائج لا يستهان بها بالنســـبة لقورينى وليبيا عموما ، حيث إن النصـــر الذى أحرزته القوات الفارســـية فى « بروسوبيتيس » وان كان قد مكن الفرس من اســـترجاع ســـيطرتهم على معظم الأراضى المصـــرية الا أنه لم يضـــع نهاية للمقاومة المصرية ضدهم ولذا لم يكن فى وســـع حاكم مصـــر الفارسى التفكير فى ارســـال حملات ضـــد ليبيا على شـــاكلة الحملتين اللتين ارســـلهما كل من « أرياندس » و « ارسابيس » من مصـــر ضـــد ليبيا . وهكذا ظلت ليبيا تحيا فى أمان خلف المـــوانع الصحراوية التى ليس من السهل اجتيازها ولم تعد منذ ذلك الوقت تخشى صولات الجيوش الفارسية في مصر .

وهكذا بعد سنوات من الكفاح خسر المصريين هذه الجولة ، ومن ثم عادت مصر ترزح من جديد تحت نير الحكم الفارسى ، ورغم ذلك لم تلفظ الثورة المصرية أنفاسها الأخيرة بل تسلم راية الكفاح أمير « سايس » (أمير تايوس) الأول رفيق ايناروس ، واستطاع أن يحتفظ باستقلاله بعيدا عن الفرس ، ومن جزيرة « البو »(٣٩) الصغيرة التى اتخذها قاعدة له استطاع أن يقتحم بقواته أراضى مستنقعات الدلتا فى الركن الغربى وظل هناك يجرى استعداداته حتى عام ٤٤٩ ق٠م على الأقل(٤٠) . وقد استدعى بدوره الاغريق من جديد لمعاونته وتحركت ستون سفينة من سفنهم فعلا غير أن موت القائد الأثينى « سيمون » فى قبرص كان سببا فى عودة هذه النجدة ثم سرعان ما أعلنت الهدنة بين الفرس واليونان بعد معاهدة « كالياس » حوالى ٤٤٩ — ٤٤٨ ق٠م(٤١) .

وتناست أثينا حليفتها مصر ، وبدأت فرإس من جانبها تجرب سياسة المصالحة مع المصريين فاستدعت قائدها « ميجابيز » وعينت مصريين كولاة وحكام على الأقاليم المختلفة ، ثم عينت « تاميراس » و « بوزيريس » ابنى قائدى الثورة وقلدتهما المنصبين اللذين كانا يشغلهما والدهما على راس الحكومة فى اقليميهما ، وقد سجل « هيردوت » ذلك قائلا : « من عادات الفرس أن يحترموا أبناء الملوك وأن يردوا اليهم ملكهم أيضا الذى خسره أباؤهم بالثورات وهناك شواهد كثيرة تؤكد تلك العادة ولكنى أكتفى بما جرى لتاميراس ابن ايناروس ملك ليبيا الذى ردوا اليه الملك الذى كان لأبيه وبوزيريس ابن أمير تايوس الذى أعيد اليه ملك أبيه مع انه لم يكن هناك ملك قد أساء الى الفرس اكثر من ايناروس وأمير تايوس(٤٢) .

وعلى ذلك توقفت الثورة الى حين وساد البلاد فيما عدا غرب الدلتا سلام من نوع غريب ماع فيه الموقف بين فارس والثوار وفتحت البلاد ابوابها للأجانب وقام هيردوت فى ذلك الوقت (حوالى ٤٥٠ ق.م) بجولة فى مصر وأشاد بمجدها مع أن هذا المجد لم يكن غير ظل باهت لأمجاد قديمة .

٣ ـ الثورة الكبرى والاستقلال ٤١٠ ـ ٤٠٤ ق.م :

منذ قيام الحرب البيلوبونيزية بين اثينا واسبرطة ٣٤١ ق.م بعد أن هادنت كل منهما دولة الفرس ، فقدت مصر أمل التعاون العسكرى من قبل الاغريق اليها ضد الفرس وانتظر قادتها الفرصة المناسبة لتصعيد ثورتهم ضد الاحتلال الأجنبى .

فى هذه الأثناء أغتيل « ارتكزركسيس » وخلفه على عرش فارس « دارا » الثانى فى عام ٤٢٣ ق.م(٤٣) . وفى عهد هذا الملك انتشرت الدسائس والفتن الداخلية ولكنه استطاع أن يقضى عليها مرة بالدهاء والملاينة ومرة اخرى بالبطش والتنكيل ، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الصمود طويلا أمام الثورة المصرية ، لقد كان هذا الرجل على خلاف أسلافه خاصة فى حكم مصر فلم يكن يؤمن بالتسامح الدينى مثلهم ، وانما حاول أن يفرض عقيدته التى تقوم على عبادة النار فى شتى اقاليم مملكته ولكن مصر لم تنس حضارتها ولم يستطع « دارا » أن يطرد من معتقداتها فكرة الحياة بعد الموت واخيرا تحرجت الأمور واصبحت الثورة على الأبواب ، وفى حوالى ٤١٠ق.م اندلعت الثورة فى مصر ويبدو أن شمالها كان اكثر نشاطا ومثابرة من جنوبها حتى كللت الثورة بالنجاح فى تحرير مصر وطرد الفرس من البلاد وقيام الأسرة الثامنة والعشرين(٤٤) .

أما قائد هذه الثورة فهو « أمير تايوس » (آمون ارديسو] الثانى الذى يرجح انه كان ابن « بوزيريس » ابن « أمير تايوس » الأول او ربما كان أخاه طبقا لما تشير اليه بعض القرائن حيث يذكر « ديودور » فرار أحد قادة المرتزقة الاغـــريق « ويدعى « تاموس » ولجوئـه الى مصر ، فقتله الملك المصرى « بسماتيك » وفى ذلك الوقت لم يكن يحكم مصـــر ســوى « آمون ارديسو » الثانى(٤٥) فهل أخطأ « ديودور » فى الاسم أم أن « بسماتيك » و « آمون ارديسو » اسمان لشخص واحد ؟ لكن اذا عدنا الى الوراء قليلا حتى عام ٤٤٥ ق.م ، نجد أن أحد قادة الثورة ويدعى « بســـماتيك » قام بشـــدن كمية ضخمة من الغلال المصرية تقدر بثلاثين أو اربعين ألف مكيال(٤٦) الى اثينا ، وبالطبع كانت تلك الشـــحنة ثمنا لنجدة عســـكرية ارســـلتها اثينا او وعدت بها أثناء ثورة الدلتا(٤٧) . ومن الواضـــح أن ضخامة شحنة الغلال تلك تنبىء عن مدى قوة بســـماتيك هذا واتساع اراضيه مما يرجح أن يكون هو « آمون ارديسو » .

من العرض السابق لمراحل الثورة المصـــرية والتى انتهت بتحقيق الاســـتقلال . حاول الدارس ابراز الدور الليبى فى هذه الثورة استنادا على ملاحظتين الأولى اندلاع الثورة المصرية فى مراحلها المختلفة من شمال غرب الدلتا وهذا يوحى أن لم يكن يؤكد قيام العناصر الليبية بدور ما وان كانت لا تظهره الحوليات التاريخية الا ان لسان حال الأحداث يوحى بذلك بالاضافة الى ان ليبيا(واقصـــد الجزء الشـــرقى منها والغربى لمصر) كانت ملاذ الثوار فى هذه الفترة ، أما الملاحظة الثانية فهى أن قادة هذه الثورة فى جميع مراحلها كانوا ينتمون الى أصول ليبية مثل « أمير تايوس » الأول والثانى .

ومن ناحية أخرى يمكن القول أن اغفال المصـــادر لابراز الدور الليبى فى تلك الفترة ربما يرجع (كما سبق أن ذكرنا) إلى أن الليبيين لم يكونوا طرفا مباشـــرا فى هذا الصراع بالاضافة الى انشغال بعض القبائل الليبية بأمورها الداخلية حيث انه حوالى عام ٤٤٠ ق.م (وهذا التاريخ يعاصر الثورة المصرية) كانت أســـرة باتوس قد انتهى أمرها ودخلت منطقة برقة فى مرحلة من عدم الاستقرار ويبدو أن القبائل الليبية انتهزت الفرصـــة فعمدت الى اثارة المتاعب للمدن اليونانية وفى نفس الوقت تقريبا كانت قورينى نتيجة للصـــراع الحزبى بين الأرســـتقراطيين والديمقراطيين ، قد تعرضت لهجوم تيبرون المغامر الأسبرطى ، وتحالفت بعض عناصر المدينة مع الليبيين الذين اعدوا كمينا لقواته فى منطقة « توخيره » وقتلوا منهم الـــكثيرين ولكن الليبيين لم يتمكنوا مع أهل قورينى من الصـــمود أمام هجوم قوى شـــنه تيبرون على المدينة(٤٨) .

معنى ذلك كما هو واضـــح أنه فى الفترة التى حاول فيها المصـــريون التخلص من الاســـتعمار الفارسى كان الليبيون يقومون بمثل نفس الدور للتخلص من الاســـتعمار الاغـــريقى وهذا فى حد ذاته تعاون بين الشعبين حيث أن كلا منهما كان حماية لظهر الآخر .

ومما يشـــير الى احتمـــال التعـــاون بين المصريين والقبـــائل الليبية فى تلك الفترة أن هذه القبائل كانت مستقلة عن السيادة الفارسية ، فمن المعروف أن الفرس كانوا يعتبرون ليبيا جزءا من الولاية الفارسية السادسة التى كانت تشمل طبقا لـــ «هيردوت» البلاد التى تعيش فيها القبائل الليبية المجاورة لمصـــر ، كما كانت تشـــمل قورينى وبرقة(٤٩) . واعتبار ليبيا اقليما ملحقا بمســـتعمرة الفرس فى مصر ، جعلهم لا يفرضون رقابة صـــارمة

عليها نظرا لبعدها عنهم ، ويبدو انه لم يكن يقيم فى ليبيا اى ممثل مباشـــر لعاهل الفرس وانما كان يشـــرف عليها الوالى الفارسى من مقره فى منف ، وكان هذا الاشـــراف صوريا وقد هيـا هـذا الوضـع المنـاخ لقـادة الثـورة المصريـة من ترتيب امورهم فى هـدوء بعيـدا عن اعين الفرس مما مكنهم من تحقيـق النصـــر فى النهاية ، من هذه المرحلة حتى غزو « الاسكندر » الأكبر فى عام ٣٣٢ ق.م نجد ان الهدف الوحيد لسياسة مصـــر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد امبراطورية ظلت تتشبث بفكرة انها ليست سوى اقليم متمرد ، وقد كانت هذه السياسة ناجحة فيما عدا عشر سنوات قرب النهاية .

وفى ليبيا اســـتمرت برقة نهبا للصـــراعات الداخلية حتى تغير الوضع بمجىء « الاسكندر » الأكبر حيث بادرت قورينى بالاعتراف بالتبعية له عندما سمعت انه قد وصل الى « باراتنيوم » (مرسى مطروح) وهو فى طريقه الى واحة « ســـيوة » ، وبعد وفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق.م أصـــبح « بطلميوس بن لاجوس » واليا على مصر ومالبث أن أنتهز فرصـــة الصـــراع الداخلى فى قورينى حتى أقدم على احتلالها فى عام٣٢٢ق.م(٥٠).

(ب) الأصول الليبية لأسرات العصر المتاخر :

(٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ـــ ٣٠) :

ان دراســـة اصـــول أســـرات العصر المتأخر تعد من القضـــايا التاريخية الشـــائكة ، حيث لا توجد آثار أو نصوص كافية تفصـــح عن أصـــول هذه المسألة ، رغم ما درج عليه كثير من المؤرخين وعلماء الآثار باضـــفاء الأصـــل الليبى على هذه الأســـر ، استنادا الى الأصـــول الليبية للأســـرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين .

ويرى « مورية » أن « تف نخت » مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين كان حفيداً للملك « وسر كون » الثالث ، وانه كان يقيم فى هيراقليوبولس مسقط راسه والتى حاول انتزاعها بعد استيلائه على هليوبولس ومنف واتخاذه سايس عاصمة له(٥١) .

الا أن « مورية » لم يذكر المصدر الذى استند اليه ليقرر هذه الصلة ، ويبدو انه التبس عليه الأمر فيما يتعلق بالموطن الأول ومسقط راس « تف نخت » والتى يرى انها «هيراقليوبولس» متاثرا فى ذلك بالراى الذى يوحد « تف نخت » بقائد هذه المدينة المدعو « سمتاوى تاف نخت » ، حيث ذهب بعض المؤرخين الى أن الملك الكوشى « بى » عهد الى « تاف نخت » بمركز قائد قوات « نن — نسو » معتمدين فى ذلك على اشارة نقوش الكتل الحجرية الموجودة بمعبد « موت » بالكرنك والتى تصور رحلة نيلية وصلت الى طيبة حيث سجلت على جانب احدى سفنها سفينة سايس العظيمة ، وعلى سفينة أخرى سفينة « بى » ، ووجود شخصية على مقدمة هذه السفينة مثلث ويعلوها نقش يقول « .. الأمير الوراثى ، الأمير قائد ميناء نن — نسو العظيم سما تاوى تايف نخت ... »(٥٢) .

الا أن هناك من يرى أن « سمتاوى تف نخت » هو نفس الشخصية التى عاصرت « بسامتيك » الأول ، وقد عينه هذا الأخير فى منصب (قائد ميناء نن — نسو العظيم) وكلفه بقيادة رحلة ابنته « نيتو كريس » الى طيبة لتصبح عابدة الهية ، وأن هذا النقش يطابق ذلك الذى جاء على لوحة « نيتو كريس » المكرسة لتلك المناسبة(٥٣) .

ومن الألقاب التى حملها « تف نخت » مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين ، لقب « الرئيس العظيم للماشواش ، وهو اللقب الذى حمله « شاشانق » الأول ليفصح عن انتمائه لهؤلاء الماشواش بشكل اساسى ، كما حمل « تف نخت » أيضا لقب « الرئيس العظيم لأرض الربو » (الليبو)(٥٤) .

ويرى « كتشن » أن هذا اللقب الاخير كان لقبا ادعائيا من جانب « تف نخت » والذى كان يساير طبيعة الصراع مع قبائل الليبو المستقرة على التخوم الغربية الدلتا ، والذين كانوا يحملون أيضا لقب الرئيس العظيم للماشواش(٥٥) .

معنى ذلك فى الحقيقة انه دار جدل بين الباحثين حول تحديد اسم القبيلة التى تنتمى اليها الأسرة الرابعة والعشرون وسواء كان اسم القبيلة الليبو أو الماشواش ، فالذى يعنينا هنا ، هو انتماء جذور هذه الأسرة للأراضى الليبية .

واذا كنا نعلم ان الأسرة الخامسة والعشرين كوشية الأصل ، فهل هناك علاقة بين الأسرة الرابعة والعشرين والأسرة السادسة والعشرين ؟

الحقيقة ان هناك من يرى وجود علاقة وطيدة بين الأسرتين، وكان « نافيل » أول من نادى بهذا الراى عندما قدم قراءة جديدة لخرطوش « تف نخت » التى سجل فيها اسم العرش « شبسس رع » وخرج من وراء ذلك بأن « تف نخت » هو أصل الأسرتين الصاويتين(٥٦) .

وتبعه بعد ذلك كل من « بترى » و « جوتييه » حيث ركز الأول عند تناوله لدراسة الأسرة الرابعة والعشرين أن يؤخرها لحين الانتهاء من دراسة الأسرة الخامسة والعشرين اولا ، ثم يقوم بدراسة الأسرتين الصاويتين بشكل متصل ،

وقد ركز بترى فى هذه الدراســـــة على التسلسل الزمنى المتصل بين ملوك الأســـــرة الرابعة والعشـــرين حتى وصــــل الى « بسماتيك » الأول وبدأ به الأسرة السادسة والعشرين(٥٧) .

وسار فى هذا الاتجاه أيضا صالح ، الذى اعتبر الأمراء الثلاثة طليعة الأسرة السادسة والعشرين فى قائمة « مانيتون » أمراء للأسرة الرابعة والعشرين(٥٨) .

ويعتقد هؤلاء جميعا أن الأسرة الرابعة والعشـــرين تتكون من « تف نخت » و « باك ان رن اف » و « ستيفنيتس » (تف نخت) الثانى و « نخبسوس » (نخاوبا) و « نخاو » الأول ، ويؤيد ذلك أيضا وجود علاقة قوية بين « نخاو با » و « باك ان رن اف » (بوخوريس) حيث أن الأول ابن للثانى ، ويرجح ذلك ان « نخاو با » أشـــير اليه فى موضـــعين ، الأول فى آخر قائمة الرعامســـــة ثم بعد ذلك وضـــع فى مكانه الصحيح(٥٩) ، وهو نفس الشىء بالنسبة لـــ « باك ان رن اف » حيث وضـــع حـــوالى نهايـة الأســـرة التاســـعة عشـــرة فى فقـرة ل « يوسيبيوس »(٦٠) .

معنى ذلك ان « باك ان رن اف » سبق « نخاو با » حتى فى الوضـــــع الخاطىء مما يبين ارتباط هذين الملكين ووجـــود صـــــلة قوية بينهما حتى ان « دريوتون وفانديه » يقولان ان أمير صا « نخاو با » ابن « باك ان رن اف » بلا ريبه(٦١) .

وعلى ذلك يميل الباحث الى ما ذهب اليه هؤلاء المؤرخون من أن الأسرة السادسة والعشرين ليســـت الا امتدادا طبيعيا وتاريخيا للأسرة الرابعة والعشرين بحكم صـــــلة القرابة ونفس العاصمة التى حكمت منها الأسرتان الصاويتان وهى سايس .

وإذا كنا قد رجحنا الأصول الليبية للأسرة الرابعة والعشرين ، فمعنى ذلك أن الأسرة السادسة والعشرين بدورها تنتمى لجذور ليبية .

سبق ان ذكرنا فى الفصل السابق دور الليبيين فى تحرير مصر من الاستعمار الفارسى ، وخاصنا الى أن معظم قادة الثورة فى مراحلها المختلفة يرجعون لأصول ليبية ، من ذلك ان قائد الثورة فى مرحلتها الثالثة يدعى « ارتن جر ارو » وقد اسماه هيردوت « أيناروس » ، وهذا الرجل كما يرى « جريمال » كان ينحدر من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن بسماتيك الثالث ، ويرجح « المسند » انه كان ينتمى الى الفرع الصاوى القديم وانه كان ملكا على ساكنى الاقاليم الغربية شمال الدلتا الذين كانوا يتركزون حول حصن « مارى » (مريوط) وضواحى الاسكندرية فيما بعد ، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية ، وهذا ربما يفسر تسمية هيردوت لهذا الزعيم بملك الليبيين(٦٢) .

ثم ذكرنا فى الفصل السابق أيضا أن « أمير تايوس » الثانى (آمون اردیسو) الثانى ، هو حفيد « أمير تايوس » الأول بمعنى انه يعود بجذوره للأسرة الصاوية السادسة والعشرين وأيد ذلك قصة « ديودور » التى خرجنا منها بان محرر مصر أثناء ثورته كان يدعى « بسماتيك » قبل أن ينجح فى تحريرها ، ومن ثم قام بتأسيس أسرة فرعونية جديدة هى الأسرة الثامنة والعشرون ثم اتخذ لقبه الفرعونى « آمون اردیسو » الثانى(٦٣) .

بعد ذلك تعاقبت على عرش مصر أسرتان هما الأسرة التاسعة والعشرون والأسرة الثلاثون واذا عدنا للوراء قليلا نجد أن مصر قد فقدت وحدتها السياسية خلال عصر الانتقال

الثالث وأنقسمت الى امارات صغيرة مستقلة يحكمها أمراء ليبيون يعرف الواحد منهم باسم زعيم الـ « ما » اى زعيم الماشواش ، وكان من بين هذه الاقاليم « مندس » مسقط راس مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين ، و « سبنتيوس » (سمنود) التى اسس حاكمها الأسرة الثلاثين ، ظل امراء ال « ما » يحكمون اماراتهم اما مستقلين واما خاضعين لأمير منهم أصبح لقوته ملكا بعد وصوله لعرش مصر ، وهكذا اذا سنحت الفرصة لأى منهم لا يتردد فى محاولة الوصول للحكم ، وهذا ما فعله أمراء ال « ما » فى « مندس » و « سنتبوس » والحقيقة لا يعرف الكثير عن ارتقاء « نفرتيس » الأول خلفا لأمير « تايوس » عندما تولى السلطة فى خريف ٣٩٩ ق.م ، كما نجهل المناصب التى شغلها من قبل وربما كان من القادة العسكريين ، وكون « مندس » مسقط رأسه يعتبر ان أجداده من الليبيين(٦٤) . وربما جرت مراسم تتويجه فى منف أو سايس لأسباب سياسية محضة كما حدث بالنسبة لـ « نخت نب ف » الأول فى زمن لاحق(٦٥) . وقد اعتلى هذا الأخير عرش مصر بتأييد الكهنة خاصة كهنة « سايس » الذين كان لهم نفوذ قوى وعملوا على تدعيم ملكه ، مقابل أن يجزل لهم العطاء ، فأحال ضريبة العشر المفروضة على منتجات وصادرات وواردات نقراطيس الى معبد الالهة « نت » بـ « سايس »(٦٦) .

من كل ما تقدم يمكن القول أن أسرات العصر المتاخر يجرى فى عروقها الدماء الليبية .

هوامش الفصـــل الرابع

(١) Spiegelbery, Op. Cit., P. 142.

(٢) Posener, G., La Premiere Domination Perseen Egypte, Le Caire, 1936, P. 41.

(٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٠١

(٤) ديودور ١ : ٤٦

(٥) Herodotus, VII, §§ 1 — 4.

(٦) Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966, P. 277.

(٧) استخرج هذا التابوت من سرابيوم « منف » وكان الملك خباباش قد أهداه الى العجل المقدس ونقش عليه تاريخه والقابه كما يلى » السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد جلاله ملك الوجه القبلى والوجه البحرى خباباش محبوب أوزير ابيس .

Gunn, B., the inscnibed sarcophagus in the Serapeum ASAE, 26, 1926 P. 36.

(٨) عثر على هذه البردية فى مدينة طيبة وهى محفوظة الآن فى متحف توليدو بالولايات المتحدة ، وهى تمثل عقد زواج تم على أيدى بعض كهنة طيبة فى السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد الفرعون خباباش

Gauthier ,M.H., L.R., IV, P. 195.

Maustafa El Amir, A Family Archive from thebes, past 2, Cairo, 1959, P. 95.

Spalinger, A., «The Reign of King Chabbash : An Interpretation» Z.A.S.. 105, 1978, P. 143.

(٩) Petrie. F.W., Palace of Apries, London, 1909, P. 26.

Michaelidis, «Quelques objects inedits d'epoque Perse» A.S.A.E., 43, 1943, PP. 97 — 99.

(١٠) اكتشفت لوحة الوالى سنة ١٨٧٠ م وكانت مستخدمة ضمن أحجار الأساس فى جامع شيخون بالقاهرة وهى مؤرخة بالعام السابع اليوم الأول من فصل الفيضان من عهد الاسكندر الرابع (وهذا التاريخ يعادل ٩ نوفمبر أو ديسمبر ٣١٠ ق.م) وهى تمثل مرسوما صدر بواسطة بطلميوس لاجوس والى مصر آنذاك قبل أن يصبح الملك بطلميوس سوتير مؤسس دولة البطالمة فى مصر ، وقد أصدر مرسومه هذا لاعادة الحقوق التى كان قد سلبها الملك الفارسى من معبد بوتو وهذا النص يتعلق أساسا بالأفضال الدينية والانجازات العسكرية لبطلميوس فى بداية عهده كوال على مصر كى يضفى الأهمية على منصبه فى حكم بوتو وذكر أن تلك البلدة كانت مخصصة لآلهة بوتو بواسطة « خباباش » .

Parker and Dubberstein, Babylonian Chronology, Providence, 1956, P. 20.

Ritner, R.K., «Khababash and satrapstela, Z.A.S., 107, 1980, PP. 135. f.

Spalinyer, ZA.S., P. 147.

(١١) Griffith, F., Catalogue of the Demotic Papyri, 3, Vol, Manchester, 1909.

((١٢) Bradford Welles, C., «The Role of the Egyptian under the first Ptolemies», American studies in papyroolgy, 7, 1970, PP. 509 — 510.

(١٣) Olmsdtead, Op. Cit., PP. 491 — 493 ; Gauthier, L.R., IV, PP. 195 — 196.

(١٤) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٤٦

(١٥) Spalinger, Z.A.S., P. 143.

(١٦) Olmstead, Op. Cit., PP. 49 1— 493.

(١٧) Spiegelberg, Der Papyrus Libbey, 5 and Nole 3.

Spalinger, Z.A.S., P. 150.

(١٨) Spiegelbery, Op. Cit., P. 142.

(١٩) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤١٣ Spalinger, Z.A.S., 150.

(٢٠) Ibid, PP. 151 — 152.

(٢١) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤١٣ Moustafa, Op. Cit., P. 95.

(٢٢) Olmstead, Hist, of the Pres. Emp., PP. 489 — 491

(٢٣) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٨٨ — ٤٨٩

(٢٤) Kienitz, F.K., Die Politische Geschichte A'gyptens vom 7. bis Zum 4. Jahrthundert vor der zetwiende, Berlin, 1953, P. 188.

(٢٥) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٨٨

(٢٦) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤١٣

(٢٧) محمود زميتر : مصر بين الفرس والاغريق ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٥

(٢٨) Ritner, Op. Cit., P. 135.

(٢٩) Kietz, Op. Cit , P. 188.
Spalinyer, Op. Cit., P. 142.

(٣٠) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١٣ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٠١

(٣١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١٣ ، ص ١١٠

(٣٢) Herodotus, III, 15; VII 7.
Hlmstead, Hist. of the Pers. Emp., P. 303.

فانديه : مصر ، ص ٦٥٧ ، جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ٤٧٨

(٣٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٠٣

(٣٤) Mallet, D., «Les Rapports des Grecs avec LêEgypte de la Conquite de cambyse a celle d'Alexandre», Memoires, 48, 1929, PP. 77 f.

(٣٥) Mallet, Op. Cit., P. 33 ; Olmstead, Op. Cit., P. 308
Hill, G.F., Sources of ûreek History 525 — 431 B.C., Oxfird, 1962, No. 132 — 142.

(٣٦) Mallet, Op. Cit., P .77.

(٣٧) محمود زميتر : المرجع السابق ، ص ١٠٧

Mallet, Op. Cti., PP. 77 f.

(٣٨) Robinson, E.S.G., British Museum Catalogue of Greek Coins of Cyrenaica, 1927, P. 28.

(٣٩) هى الجزيرة التى أقام فيها الحاكم الأعمى (ربما يكون باك ان رن اف) غريم شباكا ، ولم يستطع أى فرد أن يجد هذه الجزيرة قبل أمير تايوس وحجمها عشرة استاد فى جميع الجهات وليس ببعيد أن تكون هذه الجزيرة (البو) فى منطقة بحيرة المنزلة .

هيردوت ٢ : ١٤٠ وأيضا حاشية رقم (٣)

(٤٠) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١٣ ، ص ١٢٣

(٤١) سميت معاهدة كالياس بهذا الاسم نسبة الى السياسى الأثينى الكبير كالياس ، وقد عقدها ملك الفرس مع أهل أثينا بعد تصاعد الأخطار من اضطرابات بلاده الداخلية وتهديد الأسطول الاثينى وخوفا من تصاعد الثورة المصرية بمساعد الاثينيين حتى انه كان من أهم بنود هذه المعاهدة ، اقرار أثينا بالتخلى عن الوقوف الى جانب مصر وتعهدها بعدم امدادها بأى نوع من المساعدة على أى وجه من الوجوه ، وبمقتضى هذه المعاهدة انسحبت القوات الاثينية من قبرص وشرق البحر المتوسط وأدى ذلك بالطبع الى اضعاف الثورة المصرية واجهاضها وان ظلت باقية لم تنطفىء جذوتها .

Bury, J.B., History of Greec to the Death of Alexander the Great 3rd. ed., London, 1951, P. 360.

Olmstead, Op. Cit., P. 309.

Herodouts, V:, 42.

(٤٢) Herodotus, III, 15.

(٤٣) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٥٠٤

(٤٤) Mallet, Op. Cit., PP. 79 f.

(٤٥) Diodorus, XIV, 35.

(٤٦) المكيال يسع ١٣ لترا أى يساوى ١٣ كيلو جراما ، دريتون : مصر ، ص ٦٠٩

(٤٧) محمد عبد القادر : ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٨٠

سيد الناصرى : الاغريق ، تاريخهم وحضارتهم ، ص ٣٦٥ — ٣٦٧

(٤٨) مصطفى عبد العليم : دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ، بنغازى ١٩٦٦ ، ص ٦١ — ٦٢

(٤٩) شامو : الاغريق فى برقة ، ص ٢١٨

(٥٠) ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالة ، ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٥٦

(٥١) Moret, A., Historie Ancienne, Hostoire de L'orient, , Tome II, Paris, 1936, P. 672 Note 20.

(٥٢) Bensson, M., and Gaurly, the Temple of Mut in Asher, 1899, P. 370.

Gautheir, H., L.D.R., III, P. 409 Note 1.

P.M., II, PP. 257 — 258.

برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور ، ص ٣٦٨

(٥٣) Kitchen, K.A., The Thired Intermediate, PP. 236 — 239.

(٥٤) Yoyotte, J., «Les principautes du Delta an temps de L'Anarchie Libyenne», M.I.F.A.O., 66, 1961, P. 153 — 154.

(٥٥) Kitchen, Op. Cit., P. 362

(٥٦) Naville, E., «Additions et correction aux Trois inscription d eLa reine Hatshepsou», R.T., 19, 1897, P. 215, Note 1

(٥٧) Petrie, W.F., A History of Egypt, III, London, 1905, PP. 313 — 324.

Gauthier, H., L.R., III, PP. 407 — 416.

(٥٨) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٠ — ٣٠٠

(٥٩) Helck, W., Untersuchungen zu Manthoun den agyptischen Konigslisten, Berlin, 1956, P. 148.

(٦٠) Moret, A., De Bocchori Rege, Paris, 1903, P. 33.

(٦١) دريوتون — فانديبه : مصر ، ص ٦٢٧

(٦٢) Olmslead, A.T., History of the Persin Empire, P. 303

هيردوت ٣ : ١٥

(٦٣) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ص ٤٧٨ — ٤٧٩

(٦٤) جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ص ص ٤٧٩ — ٤٨٠

(٦٥) Traunecker, C. «Essdai sur L'histoire de La xxixe dynastie» B.I.F.A.O., 79 P. 420.

(٦٦) صبرى طه : سمنود دراسة تاريخية أثرية — فى العصور الفرعونية والعصر البطلمى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق ، ١٩٩٢ ، ص ص ٣٥ — ٣٩

الفصل الخامس

التاثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا

اولا : الحياة الفكرية

(أ) المعتقدات الدينية

١ ـ الآلهه

٢ ـ المقبرة

٣ ـ الشواهد وموائد القرابين

(ب) الفنون

ثانيا : الحياة الاجتماعية

(أ) المعتقدات الدينية

١ ـ الآلهــــة

لقد شغلت مسالة الأصل الليبى لعدد من آلهة مصر القديمة ، بال الباحثين طويلا ، ودار حولها جدل كبير مابين مؤيد ومعارض فى بعض التفصيلات ، وعلة ذلك تكمن فى أن تكوين وادى النيــــل السكانى يعود فى بعضه الى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء وعلى أساس ذلك يتحدث « ونرايت » عن مجموعة من أقدم معبودات مصر وأشهرها ، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية ، بل باعتبارها اربابا جاءت أصلا من الصحراء مع الانسان الصحراوى الذى اضطر تدريجا الى اللجوء لضفاف النيل الذى تحددت معالمه شـيئا فشيئا فى الوقت الذى بدأت الصحراء تجف مع تغير المناخ ، ولمــا كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطة بالمطر الذى يأتى من الســماء فهى اذن آلهة سماوية أصلا غير نهرية ، والى جانب السماء كانت هناك التلال غربى وادى النيل التى جاء منها الاله « حــا » وكذلك المعبود « أش » وقد دامت هذه الالهة السماوية حتى نهاية التاريــخ القديم ، ومن أعتقهــا وأهمها المعبودان « ســـت » و « من » وهما اللذان تعيدنا نماذجهما الأولية الى أقدم عصر يمكننا عنده أن نرى اية تفصيلات عن نمط حياة السكان البدائية ، ومن مظاهر عبـــادة « ست » فى شكل خنزير أو فرس نهــر فى حضـــارتى « مرمــدة » و « المعادى » من عصر ماقبل الأسرات ، من هنا نجد أصـــول رب

العاصفة « ست » معروفة عندما نرى أعتق بصيص من الحياة فى الصحراء التى تحد مستنقع النيل ، أما المعبود السماوى الآخر رب الخصب « من » فان وضعه يشبه وضع « ست » اذ تطورت صورته معبودا كاملا حوالى منتصف الألف الرابع ق٠م وتعود عبادته الى فجر التاريخ المصرى (مرمده والفيوم تقعان فى الجانب الغربى من مصر على تخوم الصحراء) ، والمعروف انه فى عصر الأسرة الثانية والعشرين كان الاله ست معبودا بالغ الأهمية فى واحات الصحراء الغربية ، من هنا نرى « وينرايت » يقول : ان دين السماء فى مصر ليس بالغ القدم فحسب بل نراه مرتبطا ارتباطا خاصا بالغرب بليبيا ، بالصحراء(١) ٠

ويتتبع « وينرايت » بكثير من التفصيل وعدد وافر من المراجع الأثرية جملة الشعائر المتبعة عند قدماء المصريين وطقوس القرابين والاحتفالات الدينية وثياب الفراعين والكهنة ويرجعها كلها الى الصحراء قبل أن تتحول الى أرض جرداء ويضطر أهلها الى النزوح لمصادر الماء ، الى النيل ، معنى ذلك ان بعضا من المصريين جاءوا أساسا مما يعرف اليوم باسم ليبيا أو الصحراء الليبية ، حملوا معهم آلهتهم الصحراوية واستوطنوا وادى النيل ، ربما كان هذا هو تعليل مانلاحظه من العلاقة الخاصة بين مصر وليبيا ، وهو السبب فى اننا نرى بروز هذه الآلهة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ الليبيين المهاجرين الجدد مثلما حدث فى الأسرة الثانية والعشرين وأسرات العصر المتأخر ٠

وهكذا يقول : « وينرايت » ان ديانة انزال المطر ديانة عتيقة جدا وواسعة الأنتشار فى العالم كله ، فالخصب يأتى من السماء التى تخصب الأرض بالمطر ، ومن المعروف ان عددا كبيرا من آلهة مصر

كانت الهة سماوية يمكن تتبع بعضها أو بعض نماذجها الى العصور القديمة قبل ان يهبط المصريون الى وادى النيل(٢) ·

ويرى « باتس » ضرورة وجود علاقة بين ديانة المصـــريين وديانة الليبيين اقرب من العلاقة التى وجدت بين ديـــانة الليبيين والساميين مثلا حيث توجد عناصر متنوعة فى الديانة المصرية ذات أصل ليبى(٣) ·

مما سبق يرى بعض الباحثين أن بعض ألهة مصر القديمة تعود بجذورها الى أصول ليبية(٤) حيث ان العلاقة الأولى بين الليبييـن والاله « أوزيـر » يمكن ان نتحسسها فى تمثيل هذا المعبود لفكـرة الخصب والنماء ، فهو الذى ادخل الزراعة حتى أصبح رمزا لكـل ماينمو ، فعلم قومه الزراعة حين استقروا بمصر وكانوا قبل ذلـك رحلا ، لذا نراه يمثل ووجهه ويداه باللون الأخضر ، فليس عجيبا اذن أن نرى « أوزير » يوصف بانه « صــانع الحبوب » فهو الـه الحبوب الذى أوجد الشعير والشوفان والقمح والذرة(٥) ·

ويضرب «باتس» أمثلة عديدة على أن روح الحبوب كانت تسمى العجوز فى كثير من المجتمعات البدائية ، وهو يؤمن بأن « أوزير » نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره الها ليبيا فى الأصل ، ويشير الى الجذر « و س ر » فى لهجة الشمال الأفريقى والتى تعنى القديم أو العتيق او العجوز وهذه الصفة قبل غيرها تربطه بالغرب وتصله بالليبيين أصلا ونشأة ، اذ من المعروف أن الانسان قد استقر على ضفاف النيل بعد أن كان قد تحول من طور الصيد والرعى الى طور الزراعة فى مناطق الصحراء · والتى كانت بحكم تعرضــــها لتساقط المطر انذاك (العصر المطير) أكثر ملاءمـــة لهذا التحول الحضارى فى حيــاة الانسان الأول(٦) ويرجع « بترى » أصــــل « أوزير » الى الليبيين حيث يقول : « ان عبادة اوزير الوافدة

علي مصر من ليبيا قد غيرت كثيرا من طقوس ومفـاهيم المعبودات الأخرى ، فتحولت هذه حتى فى شكلها الحيوانى الى بشر برؤوس حيوانية والتى كانت الأصل قبل ذلك(٧) ٠

ومن بين القاب هذا الاله العديدة بصفته راعى الأموات لقـب « سيد الأمنتيت » وأمنتيت هو الغرب ويرمز لعالم الأموات ، والواقع أن أوزير أعتبر اله الغرب وسيد عالم ما بعد الحيـــاة فى مصـر القديمة ، ولارتباط هذا الاله بالمغرب علاقة بالليل ووحشة الظلمـة ورغبة الانسان فى النوم وهذه حالة مؤقتة تمثل الموت(٨) ورغـم أن رمز الاله أوزير فى أبيدوس عبارة عن صندوق يفترض انـــه يحتوى على رأس أوزير محفوظا بهذه المدينة وكان هنـــاك ثعبان وريشتان مرتبطة بالصندوق تمثل الاله(٩) والريشتان والأفعى من مميزات الليبيين والأخيرة من معبوداتهم القديمة ، نقول رغم هذا كله ليس من السهل اليوم القول بأن أوزير هذا معبود ليبى الأصـل على التاكيد ٠

أما الاله « حورس » فهو من المعبودات التى عبدت فى مصـــر وليبيا ، وقد تعددت ألقاب هذا الاله واسماؤه والألهة التى مثلها أو مثلت فيه ، ويرتبط اسم حورس فى اللغة المصرية بمعنى الارتفاع والسمو ويرتبط أكثر بالصقر الذى ربما أتخذ رمزا لهذا الارتفاع ، وقد مثل هذا الاله فى الديانة المصرية أيضا انسان برأس صقر(١٠) أما فى ليبيا فنجد المنطقة التى يعبد فيها « حورس » (قورينى) فهى تقع عند نقطة تتمثل فيها بجلاء فكرة هذا الارتفاع حتى لتبدو وكأنها واقعة فوق السحاب فعلا وذلك فى بعض ايام الشتاء التى تكثر فيها السحب الشديدة الانخفاض ، فهذه السحب تخفى موقع قورينى عن أعين من يشاهدها من المناطق المنخضة عنها ، كما أن الصقر من الطيور الجارحة التى تكثر بالمنطقة وتتخذ من فجوات صخورهـــا

الشاهقة أوكارا تلجأ اليها ، وصلة « حورس » ب « التمحو » واضحة حيث نجد بين ألقاب « حورس » العديدة لقبا يربطه مباشرة بهذا الشعب هو « حورتحنو » ولقبا آخر هو « تحنوى » أى صاحب تحنو(١١) كما أن عبادة « حورس » رغم انتشارها فى كل مصر فانها تركزت فى الدلتا الغربية حيث كان يطلق على هذا الاله « الليبى ذو الذراع المرفوعة »(١٢) ٠

وكما عبد « أوزير » و « حورس » من قبل الليبيين فى الاجزاء الشرقية من ليبيا ، فقد عبدت كذلك « ايزيس » أم « حورس » وزوجة « أوزير » ، وحول عبادة « ايزيس » فى ليبيا لاتفيدنا الآثار المصرية كثيرا ، وانما نجد ضالتنا فى الأساطير اليونانية وكتابات هيردوت والآثار اليونانية التى كشف عنها فى « قورينى » وصور بدائية تم العثور عليها فى الصحراء الليبية الى الغرب من أقليم « برقة » حيث نعرف منها جميعا ان عبادة ايزيس كانت منتشرة بين الليبيين منذ عصور ماقبل التاريخ ٠

من الثابت ان شخصية ايزيس قد اقترنت بالبقرة وانها قدست فى هذا الحيوان ، وانه قدس من اجلها ، وقد رسمت على الآثار المصرية فى هيئة بقرة بقرنين يتوسطهما قرص الشمس ، وقد وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف فى « مايا ديب » بجبال طرابلس ، كما مثلت ايزيس أيضا فى صورة امرأة واقفة أو جالسة على عرش برأس بقرة ، كما مثلت وهى ترضع طفلها « حورس » ويقدس فيها وفاء الزوجة وحنان الأمومة(١٣) ٠

ويحدثنا « هيردوت » عن عبادة « ايزيس » فى ليبيا فيقول : ان الليبيين الذين كانوا غذاؤهم اللحوم وشرابهم الألبان ، كانوا لايمسون لحم البقرة لذات السبب الذى من أجله يمتنع عن تناوله المصريون ، ولايستثنى نساء برقة ولانساء قورينى من ذلك ، بل

يصرح انهن لكن يفعلن ذلك تقديسا لايزيس المصرية التى يقمن تنسكا لها أيضا باحياء الحفلات الخاصة بها(١٤) ويعتبر الخنزير الممثل للاله « ست » عدو ايزيس وغريمها ، فيذكر هيردوت أن الليبيين كانوا يمتنعون عن تربية هذا الحيوان ، ويخص نساء برقة انهن كن يمتنعن عن تذوق لحمه(١٥) ويذكر « بلوتارخ » ان المصريين كانوا يضحون لـ « ست » بخنزير كل عام ، كما يقال كذلك ان خنزيرا يضحى به لأوزير فى نفس اليوم الذى يظن انه قتل فيه ، وكان المصريون يكرهون الخنازير ولكن يضحون منها كل عام مرة للقمر « ايزيس » ثم يأكلون لحومها بهذه المناسبة فقط ، لأن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيوانا دنسا لايجوز اكله الا فى هذه المناسبة الدينية وحدها(١٦) وقد عثر على تمثال من المرمر لهذه المعبودة المصرية الليبية بين حفائر قوريني أرجع عهده الى زمن البطالمة ، وقد استدل العلماء الاثريون من المكان الذى عثر عليه فيه ومن التماثيل الأخرى التى وجدت معه فى نفس المكان على ان عبادة ايزيس استمرت تمارس طقوسها من قبل سكان قوريني أو من قبل بعضهم الى زمن متأخر من العصر البيزنطى ، كما عثر فى فزان على نقش غائر فى صخور أحد الأودية على رسم للبقرة التى يعلو رأسها وبين قرنيها قرص الشمس وبنفس الكيفية التى كانت تمثل بها ايزيس على الآثار المصرية ، فاستدل من ذلك على ان عبادة ايزيس كانت منتشرة حتى آخر حدود فزان وربما الى الغرب منها(١٧) ٠

وكانت هناك علاقة بين ايزيس والقمر ، ويحدثنا هيردوت ان الليبيين كانوا لايقدمون القرابين لغير الشمس « حور » والقمر « ايزيس » ، ويصف لنا طريقة تقديمهم لقربان فيقول انهم كانوا يبدأون بقطع جزء من أذن القربان ، ثم يرمون بها الى الخلف من فوق الكتف ، وبعد ذلك يفصمون رقبته فصما(١٨) ٠

والاله « ست » هو الآخر من المعبودات التى عبدت فى مصر وليبيا ، والحقيقة انه لايمكن تحديد صلة الليبيين بهذا المعبود الا من النصوص الفرعونية وحدها حتى الآن ، فرغم أنه أول معبود وطنى شاعت عبادته فى مصر فانه ارتبط فى النصوص دائما بليبيا واقليم الصحراء والبلاد الأجنبية ، وفى أغلب الأحيان كان ست يعتبر الها للصحراء ، وتمتد شهرته لهذه الصفة وهو فى الشرق والغرب والجنوب ليبى ، وكان يعرف فى العهد الثنى باسم سيد ليبيا كما ظل يعرف بلقب حامى الأراضى الحمراء أى الصحراء ، كما عبد فى واحة الخارجة وكان أحمر اللون احمر العينين ، والمصريون يمقتون اللون الأحمر لأنه فى نظرهم يعنى الشر(١٩) ٠

ويذكر « بترى » أن « ست » ينتمى الى الليبيين اذ أعتبر ذا شعر أحمر وجلد أبيض أى التحنو أو ذوى البشرة النقية ، ومن هنا يمكن أن نتصور أن ايزيس وأوزوريس وست ثلاثة ارباب لقبائل مختلفة من الليبيين(٢٠) ويؤكد « بترى » رايه هذا مرة ثانية مضيفا اربابا أخرى الى القائمة حين يقسم الالهة الى أربعة اقسام ، على هيئة حيوان ، على هيئة بشرية ، الهة كونية (سماوية) ، الهة مجردة ، والى المجموعة الثانية ينتمى آمون وموت وخونو ونيت ، وكلهم يصورون على هيئة بشرية الى جانب أوزوريس ، وروابط هذه المجموعة كلها تنتمى الى الغرب (ليبيا) باعتبار أوزوريس ذا صلة بالمعبود الليبى « ددن » كما أنه رب النبت واله الغلال ، وبالنظر الى شخصية « خونو » و « امون » التنبؤية ، فهذه الفكرة جاءت من الغرب ، كما أن آمون هو اله الواحات ، أما « نيت » فلا ريب انها ربة ليبية(٢١) ٠

أما الالهة « نيت » فهى واحدة من اقدم المعبودات المصرية فى مدينة « سايس » غرب الدلتا حيث كانت تعتبر الهة القاطعتين الرابعة

والخامسة وكانت كذلك ربة للصيد ، مثلت فى شخصها الهات أخريات أصبغت عليها أوصافها وخواصها ، وقد أشير اليها فى الكتابات القديمة والحديثة ، ووجد اسمها منقوشا على تماثيل اقدم الفترات التاريخية فى مصر بل ان أقدم رموزها مثل فى نصوص الاهرام بدرع وسهمين اشارة الى انها ربة للصيد(٢٢) وسميت باسمها ملكات مصر فى فجر التاريخ مثل « نت — حتب » و « مرى — نت » واقيم أقدم معبد لها فى عهد الملك « عحا » ، وقد عبدت فى كل ارجاء مصر حتى نقادة فى الجنوب ، ولكن أعظم مركز لعبادتها كان فى « سايس » والتى كانت تسمى « حت — نت » أى مسكن « نت » ، وكانت تلقب بأم الشمس وبالبقرة التى تحمل الشمس بين قرنيها(٢٣) وكما اسلفنا ، فانه وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف فى « مايا ديب » بجبال طرابلس الغرب ، وكما هو واضح فان شعارها كان رمزا حربيا ، وهذا الرمز ربما يفسر السر الذى جعل رجال القبائل الليبية المحاربة يحملون رمزا يمثل البقرة تحمل قرص الشمس بين قرنيها كعلامة حربية تجلب النصر ، ولعل هذاهوالسبب الذى كان من أجله تلبس الفتيات ملابس المحاربات فى حفل الالهة « أثينا » التى وحد الاغريق بينها وبين « نت » ، ولعل هذا هو الذى وصم ذلك الاحتفال أيضا بطابع العنف فى تمثيل حركات القتال بين الفتيات فى احتفالهن بعيد أمهن « نت » الأنثى المحاربة(٢٤) ٠

ويذكر « مرسير » أن « نت » الهة ليبية النشأة(٢٥) وقد ناقش « باتس » بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل التى غزت مصر منذ أقدم العصور(٢٦) ٠

ويرى بعض المؤرخين أن عبادتها ترجع الى العهد الذى كانت الأسرة فى المجتمع امومية لوقت لهن الحق فى وراثة الملك ، كما كان للمرأة فى الشرائع الدنيوية(٢٧) وقد اقترنت « نت » (أى تنسب الابناء فيها للأمهات) ولعل هذا ماأراده سليم حسن بقوله كانت

الالهات فى ذلك بالليبيين طوال فترات التاريخ الفرعونى ، وحمل الليبييون رمز هذه المعبودة كوشم على الذراع والسيقان فى أغلب رسوماتهم على الآثار المصرية القديمة(٢٨) .

وقد اتخذ الجرامنت الالهة « نت » رمزا للحياة ، وكنوا عنها بالكف السحرية ، فصنعوا لها الشواهد على شكل الكف ولونوها باللون الأحمر رمز الحياه واشاروا اليها بالشواهد القرنية الشبيهة بقمتى الجبل ، ومثلت بالقمر الذى كان يهدى المسافرين ليلا بالصحراء ، ورمز لها بالعلامة « عنخ » رمز الحياة ،(٢٩) والحقيقة أن « نت » قد مثلت على اناء الملك « باك ان رن اف » (بوخريس) من الأسرة الرابعة والعشرين ، وهى ممسكة علامة الحياة « عنخ » فى يدها اليسرى المرفوعة لأعلى وتتجه الى ظهر الملك لتمنحه الحياة ولتجدد شبابه وحكمه أمام الآلهة « حور » و « انوبس » و «جحوتى» « فى معبدها بسايس »(٣٠) .

أما الاله « اش » فيقول عنه « مرسير » انه يبدو معبودا ليبيا ، وقد وجد منذ عصر الأسرة الثانية على أختام « خع سخموى » « وبرايت سن » برأس الاله « ست » مما يبين صلة الاثنين بعضهما ببعض ، وهو اله الصحراء الغربية ، ويسمى غالبا « سيد ليبيا » ، وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين صور بثلاثة رؤوس ترمز لربات مصرية ثلاث هى رأس اللبؤه والعقاب والصل مع لقب يدل على ذلك هو « اش كثير الوجوه »(٣١) ويذكر « باتس » أن الها ليبيا باسم « اش » ذكر منذ الأسرة الرابعة فى نقوش الملك « سا حو رع » ويمكن الحكم من الشكل الذى يبدو به هذا المعبود فى تلك النقوش انه كان ذا شهرة فى ليبيا الشرقية فى عصر الدولة القديمة(٣٢) .

ومن الآلهة التى عبدت فى مصر وليبيا الاله « آمون » حيث تدل دراسة بعض النقوش مثل رسوم الكباش الليبية التى تحمل فوق رؤوسها رموزا بيضاوية الشكل ، والتى فى بعض الأحيان يوجد أمامها رجل يتميز بوجود خصلة من شعر جانبية فى رأسه مما يوحى بامكانية وجود شبه بين تلك الكباش والكبش المصرى فى العصر الفرعونى الممثل للاله امون فى العقيدة المصرية القديمة ، هذا بالاضافة الى الرسوم الليبية المشابهة لحد كبير للرسوم الخاصة بالالهين « أوزير » و « بس » مما يدعم وجود أتصال حضارى فى الفكر الدينى بين مصر وليبيا (٣٣) ٠

وقد صار الاله آمون أعظم الألهة فى مصر فى عصر الامبراطورية وتوطد مركزه بعد انتصاره على الهرطقة الاتونية واقيم له معبد كبير فى واحة سيوه ، ومن هذه الواحة انتشرت العقيدة الامونية بالصحراء خاصة بعد أن تمكن « رمسيس » الثالث من التحكم فى الواحات ، حتى وصلت عبادة امون تدريجا الى اقليم طرابلس ، وفى العصر الفينيقى كان للاله امون نفوذ لاشك فيه على عبادة الاله « بعل امون » ، ولا يعتقد «Legia» ان امون سيوه يقدم لنا رباطا بين امون طيبه وبعل امون انما يعتقد أن البربر الليبيين كانوا واقعين تحت التأثير المصرى فى وقت يسبق قيام هذا الدين فى سيوه ولابد ان عبادة بعل امون الفينيقى أصبحت متقدمة على عبادة الكبش المحلية والذى يتماثل وامون المصرى(٣٤)

باستيلاء الفرس على معبد آمون الكبير بالكرنك ، اصبح لمعبد آمون فى سيوة مركز مرموق بين عباد هذا الاله ، وقد اكتسب هذا المعبد مكانة خاصة فى القرن الخامس ق٠م فى مدن الاغريق بما قدمه لهم من النبوءات عن انتصارهم على اعدائهم الفرس ، وسمى الاغريق هذا المعبد بمعبد « زيوس امون » ، وقد الف « بنداروس »

قصيدة فى قدسية « امون » ليبيا وارسلها للامونيين وتبدأ القصيدة بـ « أيا امون ، ياسيد الاولمب » وقد وزعت القصيدة على لوحة مثلثة والتى اهداها « بطلميوس » الى معبد الاله فى سيوه ومن الملاحظ أن الشاعر أرسل القصيدة الى معبد سيوه وليس لمعبد زيوس فى قورينى ، وهذا يوضح أن « بنداروس » قدس امون ووضعه فى نفس مستوى « زيوس » على جبال الولمب ، اما قول « ثيودروس » القورينى « ياالهنا امون » فانه يؤكد أن هذا الاله أصبح المعبود الرئيسى فى المنطقة(٣٥) .

والحقيقة أن اتباع امون كانوا من أقوى القبائل الليبية ولذلك انتشرت عبادته فى قطاع عريض من الصحراء الغربية كان يمتد من النوبة جنوبا الى ساحل شمال افريقيا ، وبذلك سيطروا على طرق القوافل الذى يسير من « درافور » الى مختلف الواحات وهذا يعنى انهم لعبوا دورا مهما فى نقل التجارة من الجنوب الى الشمال عبر الواحات الغربية عندما تأثرت مصر كمركز تجارى أثناء الاحتلال الفارسى(٣٦) .

ولم تنتشر عبادة الاله امون بهيئته المصرية التى كانت تعتبره الها للاخصاب ، بل اكتسب خصائص جديدة ، فصار عالما بالمغيب يستشيره التجار ورجال القوافل عما يعن لهم من الأمور ، وصار هاديا للضالين بالصحراء يرشدهم الى ينابيع المياه والآبار ، وأصبح حاميا لسكان الواحات من بطش الامبراطوريات التى تضخمت وأصبحت تهدد المجاميع الصغيرة من الامارات والممالك بالصحراء الكبرى(٣٧) فكان الاله امون بما له من قوة سحرية يثير الزوابع والرياح ويهلك الجيوش الجرارة كما فعل بجيش « قمبيز » الذى أرسله للاستيلاء على سيوه فهلك فى الطريق ، يقول هيردوت : ان النسمونيين وهم جيران الجرامنتوبنوعمومتهمكانوايعظمون الاله

امون فلا يستبعد ان تكون عبادة هذا الاله قد انتقلت الى الجرامنت من النسمونيين ، ما لم يكن الجرامنت انفسهم من عباده الاول ، وان التحليل اللغوى للاسم « جرامنت » يدل على ان جزءا من هذا الاسم يحوى اسم الاله امان أو امون(٣٨) ٠

من الألهة التى عبدت فى ليبيا أيضا الاله « تحوت » ، فقد عثر « هنرى لوت » فى مدينة جبارين(٣٩) على لوحتين ، لوحة « الالهات الصغيرات » ولوحة « القربان » ، وهما اللوحتان اللتان كونتا لغزا محيرا له حاول تفسيره وقدم فى ذلك بعض الآراء ، نرى قبل التعرض لها أن نصف اللوحتين ٠

أما اللوحة الأولى « الالهات الصغيرات » فهى ليست من الحجم الكبير حيث لاتزيد على ٢٧ × ٣٧ سم ولايزيد موضوعها على أربع فتيات رشيقات فى مقتبل العمر ، رسمت رؤوسهن على هيئة رأس طائر رأينا فيه شبها كبيرا بطائر « ابيس » ، وقد أرسل شعر الرأس فى تسريحات عادية مما كان شائعا عند نساء قدماء المصريين وتنتهى التسريحة بما يشبه الافعى المنتصبة ، أو لعلها خصلة شعر اعدت لتكون كذلك ، وقد رسمن فى حالة حركة وكأنهن يقدمن من ناحية شيئا ما فى تناسق بديع ، واحدة الى الأمام واثنتان خلفهـــا عن اليمين وعن اليسار والرابعة خلفهن فى الوسط وجميعهن يقدمن فى خطواتهن اليمنى ويؤخرن اليسرى ، أما الأيدى فقد رسمت اثنتان الأمامية والتى خلفها من الجانب الأيسر وقد رفعتا الساعد الأيسر بحيث كون الابط زاوية قائمة تقريبا ثم أرسـلتا اليد اليمنـــى فى استقامة ولكن بانفراجة عن الجسد ، أما التى فى الخلف فقد عكست الوضع فرفعت اليد اليمنى وأرسلت اليسرى دون أن تعدل فى الوضع والأبعاد وشذت عنهما التى فى الوسط فقد رفعت كلتا يديها بحيث كون عضداها خطا مستقيما مع الكتفين تقريبا ورفعت ذراعيها الى أعلى

كالأخريات وقد استخدم الرسام اربعة الوان فخص كل واحدة منهن بلون ، الأمامية بلون بنى غامق والتى خلفها عن اليمين باللون الأبيض ، والتى خلفها على اليسار باللون الأصفر ، والأخيرة باللون الأحمر (لم تظهر الألوان نظرا لتصوير اللوحة) ٠

ويعلق « لوت » على هذه اللوحة قائلا : ان جبارين كانت تنوى ان تحتفظ لنا بمفاجأة ضخمة وبالفعل فقد ابرز « كلود » (أحد أفراد فريق البحث) وهو ينظف أحد الجدران ظهرت للعيان صورة أربع نساء صغيرات برؤوس الطير أشبه ماتكون بالرسوم التى نشاهدها فى بعض المعابد المصرية ، كانت اشكالا مصرية صميمة حتى اننا اخذنا نتوقع ان تطالعنا النصوص الهيروغليفية المفسرة للمنظر ولكن عبثا حاولنا ، فبالرغم من عمليات المسح العديدة لم يظهر أى شىء ، ولكن ترى هل يكون من الممكن ان يكون الفراعنة قد أوغلوا بغاراتهم حتى تاسيلى ؟ ٠٠ لو ان اشكالا أخرى من نفس النوع عثر عليها بالصحراء لبدالنا ان الجواب عن هذا السؤال بالايجاب ، اما فى الوقت الحاضر فلا يبدو الأمر هكذا ، فالامهات الصغيرات برؤوس الطير تعود الى العصر التاريخى ربما للأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ، ومن المحتمل اذن اعادتها الى سنة ١٢٠٠ ق٠م ونحن نعلم انه فى ذلك العصر كان الليبيون الذين يسكنون فزان وهى منطقة قريبة من تاسيلى فى صراع مستمر مع مصر يحاولون احتلالها فهل قام المصريون بمطاردة هؤلاء حتى ملجئهم بتاسيلى ؟ ليس هذا بالمستحيل ، حتى ولو ان توغلهم الى مناطق بعيدة كهذه فى أرض العدو بينما خطوطهم الخلفية تبدو مكشوفة يبدو أمرا غريبا ، وعلى كل فان حملة من هذا النوع لم يرد ذكرها فى أى تاريخ مصرى ، كيف نفسر اذن هذا الرسم ؟ ، تفسيران محتملان ، فاما ان يكون راسموهم من الاسرى أو من التجار المصريين الذين وجدوا بتاسيلى ،

واما ان ليبيين اقاموا بمصر اراديا أو كأسرى وهم الذين حملــوا لوطنهم من مصر هذا الاسلوب فى الرسم ، على كل فــان الحروب المتواصلة بين الليبيين والمصريين تكفى وحدها لتبرير تغلغل الفــن المصرى فى الصحراء(٤٠) ٠

الا أن هناك من يرى تفسيرا آخر لهذه اللوحة حيث خلص الى الشبه الواضح بين اللوحة والاله تحوت وذلك للشبه فى رسم الرأس وربط بين الالهات الصغيرات بالتقويم المصرى ، فالفصول الثلاثة هى الأيدى المرسلة والأشهر الأربعة لكل فصل هى الالهات الأربع ، والأيام الثلاثون الشهر هى أصابع الأيدى الظاهرة ، وأيام النسىء هى الأيدى المرفوعة وهكذا يرى صاحب هذا الرأى ان مضـــمون اللوحة يضيف سندا جديدا للتشابه بين هذه اللوحة والمعبود المصرى « تحوت »(٤١) ٠

أما اللوحة الثانية فهى أكبر حجما وأكثر تعقيدا اذ أن مساحتها ٥٨ × ١٠٥ سم وتحتوى على ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاث اناث وقارب وثلاثة أكواب رموز احدها على شكل العكازه المعقوفة الرأس والآخران كأنهما أغصـــان شجر أو مقدمة جريدة نخـــل بعسفها وأخيرا بعض الأشكال المركبة من خط افقى طويل فوقه مايشبه الكوبين والمسلة والصحن أو قرنين وتحته خطان افقيان يمتدان مابين المسلة وآخر الخط واسفلهما خط عمودى وشكل يشبه الهلال المفتوح الى أسفل أول الأشخاص (على يسار الرائى) يقف فى تعاظم ويبدو انه يمسك بقضيب أو رمح (أطول منه ؟) لم يبق سوى الجانب الأعلى منه فى الرسم ، أما يده اليسرى فهى فى وضع يوحى بانه يحمل بهـــا شيئا غير موجود بالرسم أو أنه يعتمد عليها فى التوكؤ على شىء وفى أعلى الرسم نقطة مستديرة صغيرة لامغذى واضحا لها ، وأمامه ومن الجانب الأيسر له شكل قارب بسيط يلاحظ أن مقدمته ومؤخرته

قد انتهتا بانحناءات وزوائد بدت وكأنها القاعدة التى تحمل إعلام ورموز المقاطعات وبالفعل فقد رسمت فى أسفل القاعدة خطوط أربعة شديدة الميل فى المقدمة وخطوط أربعة تحتها خـط خامس ناقص الطرفين عنها مائلة هى الأخرى ولكن بدرجة أقل ، حتى لتبدو لتقاربها ودقتها وكأن كلا من المجموعتين علم أو راية ، بعد القارب صورة لاحدى الاناث غير تامة (تلف نصفها الأسفل وذهبت ألوانه) وأمامها اثنتان فرجل ، والأشخاص الأربعة فى حركة من يدخل مكانا أو يقدم على انسان ، وهذا الانسان هو آخر الأشخاص يبدو كالجاثم على ركبتيه أو كمن يهم بالقيام ٠

ومن حيث الملابس فان الأول يرتدى نقبة أمامية بسيطة من نوع مانشاهده على بعض آثار مصر فيما قبل الأسرات والدولة القديمة ، أما النساء الثلاث فيبدو من الرسم انهن يرتدين ثيابا تشبه (التنورة) وتستر مابين الخصر والكعبين أو فوق الكعب بقليل ، وأما الشخص الذى يتقدمهن (ويبدو انه مرافق لهن) فيرتدى جراب العورة الذى اشتهر به قدماء الليبيين على الآثار المصرية ، وجميع الأشخاص لهم جسد بشرى ورأس طائر تماما كما فى اللوحة السابقة ٠

ويذكر « لوت » تعليقا على اللوحة انها منظر قربان واضح فيها التأثير المصرى لاسيما من عصر الأسرة الثامنة عشرة اكتشف فى العراء على جدران صخرة بالضفة اليسرى من الوادى فى موضع لم يكن ملجأ ، وماكان من الممكن تعيين الألوان غير الواضحة الا بعد مسح الجدار بماء واسفنجة ، وفى هذا الطراز يلاحظ تأثير الفن المصرى ولكن بأسـلوب أكثر تحررا من ذلك المتبع بالمعابد المصريـة وكل الأشكال رجالا ونساء لهم رؤوس طير وقد سرح شعرهم بالطريقة المصريـة ويلاحظ أيضا بعض الأكواب الشبيهـة بتلك التى لعصر ما قبل الأسرات(٤٢) ٠

وهناك من يرى أن هذه اللوحة ربما تكـون نصا هيروغليفيا قديما ، وربما يكون هنا نشأة الكتابة المصـــــرية القديمة(٤٣) والحقيقة أن اللوحتين تشيران بوضوح الى وجود صلة قوية بين شعب جبارين الصحراوى وبين مصر فى الفترة التى رسمت فيها اللوحتان على الأقل ، ولكن متى حدث ذلك وكيف ؟ وهنا يجب أن نستعيد التاريخ الذى اقترحه « لوت » وهو عصر الرعامسة « على أساس حداثة هذا التاريخ حيث أن الحيـــاة لم تكن مزدهرة فى مناطق تاسيلى واكاكوس آنذاك بفعل عامل الجفاف الذى اشتدت وطأته فهجرت الصحراء من غالبية من كان يعمرها من الناس ، كما أن النصوص التى وصلتنا من عهـد الرعامســة ليس فيهـا ما يوحى ولو استنتاجا بأن المصريين قد طاردوا الليبيين الى أبعد من حدود مصر بكثير ، كما انه لم يثبت تاريخـــا حتى الآن أن الليبيين الذين حاربوا مصر كانوا من منطقة فزان ، وعلى ذلك يمكن ارجاع تاريخ اللوحتين الى قبل عام ٣٢٠٠ ق٠م ، فاذا صح هذا أو قبل كان هذان الأثران دليلا ماديا على صلة أقدم من عهد أولى الأسرات بين سكان الصحراء أصحاب حضارتى تاسيلى واكاكوس وبين سكان وادى النيل فى عصور ما قبل التاريخ ٠

ويسترعى الانتباه فى هذه اللوحة وجود صورة قارب ، وعلينا هنا أن نقارن هذا القارب بصورة القوارب التى وجدت ممثلة على أثرين مصريين الأول يد سكين من العاج وجد فى جبل العرق ، والأثر الثانى فى مقبرة هيراكنوبولس ، وموقع الأثرين بالقرب من نهاية طريق للقوافل يصل النيل بالبحر الأحمر ، وصورة القوارب تختلف تمام الاختلاف عن القوارب المصرية المرسومة على الأوانى الفخارية ، حيث يمتاز القارب الأجنبى بمقدمة طويلة ومؤخرة عالية وهما صفتان لا تتوافران فى القارب المصرى المصنوع من عيدان

البردى ، ولا يمكن القول أن هذا القارب متطور عن قوارب البردى المصرية والأرجح أن يقال انه منقول عن قوارب بلاد النهرين حيث توجد قوارب شـبيهة بهذه على بعض أوانى سـومر من الألف الثالثة ق٠م(٤٤) ٠

علينا اذن أن نقارن هذا القارب الأجنبى الذى وجد على الآثار المصرية بالقارب الموجود فى لوحة القربان الليبية ، والسـؤال المطروح أيهما الأصل والأسـاس الذى أثر فى الآخر الموجود على الآثار المصرية أم الموجود فى لوحة جبارين أم الموجود فى العراق ؟

أما وجهة النظر التى ترى أن لوحة القربان ربما كانت نصا هيروغليفيا قديما ، فرغم ما فى هذا الاعتقـاد من غرابة فـانه يستحق التفكير والتأمل ، فالكتابة المصرية كانت تفسر على كونها أشكالا سـحرية وتعاويذ لا يعلمها الا أصحابها ، وشىء قريب من هذا يمكن أن يقال عن موضوعات النقوش الصخرية ، فهذا الكـم الهائل من هذه النقوش والرسوم الصخرية فى الصحراء ، وهذا الجهد الخارق للعادة فى تنفيذها يخرج بهـا عن التفسيرات التى قيلت بشأنها ، فقد قيل عنها انها لأغراض سحرية كانت تضـمن لأصحابها بعد طقوس معينة رحلات صيد مأمونة أو صيدا وفيرا ، كما فسر بعضها على انها حفلات شعائرية لأصحابها ، والحقيقة أن هذا التراث الهائل من النقوش والرسومات الصخرية ربما كان بمثابة الارهاصات الأولى نحو ميلاد كتابة صحراوية أم ، وان هذه العملية توقفت فى احدى مراحلها ربما لأنه لم يتوافر لها من العوامل والظروف ما يساعدها على التطور لتصبح من بعد كتابة مقروءة ، ولتوضيح ذلك نذكر أن الكتابات القديمة المكتوبة التى ظهـرت فى أرض العراق أو فى وادى النيل كانت فى مراحلها الأولى عبـارة عن صور لحيوانات أو طيور أو أشياء مأخوذة من بيئتها المحلية ، وان

هذه الصور هى التى كونت بعد ذلك المقاطع والحروف ثم الكلمات والأفعال التى أصبحت علامات متفقا عليها ومألوفة لدى الجميع ومن ثم باتت مكتوبة ومقروءة ، ومما ساعد على استمرار مراحل التطور أن كلا من الكتابتين وجدتا فى بيئتهما من العوامل المساعدة التى يسرت لها هذا التطور وأدت اليه ، ففى العراق القديم وجدت بوفرة مادة الطين فكانت ألواح الطين (الرقيم) الذى كان من السهل الضغط عليها بأى أداة صلبة ، وأخترع الخط المسمارى ، وتطورت أشكاله ، أما فى مصر ، فاستطاع المصريون أن يستخلصوا من نبات البردى صناعة الورق ، وكان يلزم للكتابة عليه مداد فكونوه من السناج ، أما القلم فكان عود من بوص مما ينمو بكثرة على شواطىء النهر أو البحيرات · فلو افترضنا أن مجتمعات النقوش والرسوم وجدت من عناصر البيئة ما يسر لها أن تكون أدوات ووسائل للتعبير بدلا من الصخور ، ولو لم تتغير الظروف البيئية التى أجبرتها على تغيير بيئتها الأصلية والهجرة ، يفترض أننا كنا قد امتلكنا الآن كتابة أم تحكى لنا ضمن موضوعاتها فصلا عظيما من حياة انسان الشمال الافريقى ، والحقيقة ان الأبحاث التى نتوقع أن تجرى فى المستقبل هى التى ستعطى الأدلة الحاسمة التى سيستفيد منها العلماء الذين سيتناولون هذه الموضوعات بالبحث والدراسة(٤٥) ·

من العرض السابق يمكن أن يخلص الدارس الى القول انه اذا نظرنا فى مضمون معتقدات الشعوب قديما وجردناها مما يغلفها من طقوس ومظاهر عبادات، فاننا نلحظ أن الظواهر الكونية كالشمس والقمر والماء والهواء والأرض وقوة الاخصاب وعيون ومجارى المياه العذبة كانت تقدس ، ويقام لها العبادات المباشرة أو عن طريق رموز تتخير لها تحل فيها ، وذلك لأنها قوى تحيط بالانسان ، وهى التى تكفل وجوده وتضمن له الحياة ، والى جانب

ذلك قدست بعض الظواهر الأخرى أو الحيوانات البرية كالتماسيح والأسود وأفراس النهر ، فكانت تعبد أيضا كقوى يخشى بأسها ؛ ولقد خرجت مظاهر التقديس لدى الشعوب القديمة من منبع واحد يتجسد فى معنى واحد هو رغبة الانسان فى التقرب من القوى المحيطة به والمهيمنة على حياته مدفوعا بالخشية والرغبة ، وهذا بالفعل ما نلحظه لظاهرة الدين لدى المجتمعات فى ليبيا والشمال الافريقى حيث عرفت كل هذه العبادات ، وتأتى الفروق بعد ذلك فى ترتيب الاله حسب مكانة كل ظاهرة فى بيئتها أو تفضيل ظاهرة على أخرى فى الأولوية والمكانة ، وبالنظر الى الظروف المكانية والبيئية وعوامل أخرى ، كفرص احتكاك مجتمع ما بالمجتمعات الأخرى غلفت العبادات بطقوس خاصة أحاطت بها وشعائر معينة ارتبطت بها ، وهنا يجب ألا نعزل ليبيا عن الواقع البيئى ، كما يجب أن نأخذ فى الاعتبار ذلك الحادث البيئى الكبير والمتمثل فى حلول عصر الجفاف واضطرار الجماعات البشرية التى كانت تعيش فى الصحراء الى الهجرة الى مصادر المياه الدائمة . وهى بالطبع قد حملت معها معتقداتها وبتوالى الحقب وطول بعدها عن أصولها حدث أن انحرفت هذه العبادات أو دخلت عليها اضافات مستحدثة ، ولكن عند الدراسة والتحليل يمكن أن نتبين الأصول الأولى ، وعلى ضوء هذا السياق من المقبول به أن نجد أشكالا ورموزا معينة لعبادات متشابهة فى أكثر من مكان من الشمال الافريقى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نطالع فى أكثر من مكان فى شمال افريقيا حيوانا غالبا ثدييا يحمل فوق رأسه بين قرنيه قرصا مستديرا يؤخذ فى العادة على انه رمز لقرص الشمس ، كما اننا نجد حيوانات مثل البقرة والكبش والصقر مقدسة لدى أكثر من مجتمع ، ولنا أن نتحفظ بشأن تلك الآراء التى يجتذبها وبشكل فورى أحكام نهائية عندما تطالع مثل هذه الأمور وتفسرها على انها جاءت

نتيجة لاتساع النفوذ السياسى لمجتمع على غيره من المجتمعات ، وانه لذلك فرض معتقداته حيثما وصل نفوذه(٤٦) ٠

وعلى ذلك لا يكون من المستغرب أن نجد لدى المجتمعات الليبية صورة لاله فى هيئة كبش يحمل القرص المقدس وأن يكون الكبش أيضا رمزا لأكثر من اله فى مصر ، فهو رمز للاله آمون ، وكان رمزا أيضا للاله خنوم ، وكان الها للاقليم العشرين من صعيد مصر ، ولقد كان للبربر اله كبش للماء ، وان كلمة آمون أو أمان تعنى الماء ، وكما ذكرنا فى العرض السابق وردت افادات عن اله ليبى باسم « حور » وكان يميز عن الاله المصرى بحور أحمر العينين ٠

٢ ـ المقبرة :

علينا أيضا أن ننظر الى شكل آخر ضمن المعتقدات الدينية ويرتبط بها ، وهو نظام المقبرة وطقوس الدفن ، وحينما يتم الاهتمام بالمقبرة وبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالمنقولات والأثاث الجنائزى ، فهى كلها أمور ارتبطت فى الحضارات القديمة بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت ، والحقيقة ان قليلا فقط من مجتمعات العالم القديم هى التى آمنت بهذه العقيدة منها الشعوب الليبية ، لذا اهتم الليبيون بمقابرهم وأثاثهم الجنازى ، وقد أمكن تمييز أربعة أشكال للمقبرة تشير بوضوح الى تطور بناء المقبرة من الحفرة حتى المقبرة الهرمية ٠

أما النوع الأول وهو المقبرة الدائرية فهى عبارة عن حفرة دائرية صغيرة ضحلة العمق ، يوضع فيها المتوفى على هيئة الجنين ثم يهال عليه التراب ، وتحدد المقبرة دائرة من الأحجار ، وهذا النوع هو الذى استعمله الجرامنت منذ أقدم العصور ، وكانت هذه

المقابر تحتوى على القليل من الآثار التى لم تتعد بعض قطع الفخار البدائى ، وبعض أدوات الزينة من قشر بيض النعام أو العظم وبعض عقود الزينة المصنوعة من الحجر(٤٧) وأمثلة هذه المقابر وجدت فى « نحج » و « قصر الواتوات » ، وكثير من هذا النوع يظهر فى الأودية كأنه من المقابر المدرجة مثل الموجودة فى جبل زنككرا ، ولكن أكثر هذه الأنواع كمالا تلك التى اكتشفت فى سنية بنى هويدى والتى تبرز مهارة الصانع الجرامنتى ، وهذا النوع كان سائدا فى شمال افريقيا(٤٨) .

من أمثلة هذا النوع ما وجد فى وادى الحياة « الاجال » ، وقد نشر (هنرى لوت) لوحة من منطقة « غات » وهى عبارة عن دائرة غير منتظمة الشكل بجوارها شخصان ، أما فى داخلها فيرقد شخص على ظهره كما يبدو ، ويمتلىء باقى الفراغ حول الشخص بعدد من الأوانى والأطباق التى رصت بعناية وقد وصف « لوت » الشكل بأنه مسكن قمىء تجلس امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للمسكن وقد استلقى رجل على ظهره حوله أشياء متنوعة(٤٩) الا أن هناك من يرى أن هذا الشكل بعيد عن كونه مسكنا(٥٠) فهو ان كان كذلك فأين بقية أماكن الأسرة الخاصة لهذا الشخص ؟ ، ولكن من المعقول أن يكون الرسم لمقبرة فردية ، تم دفن المتوفى وتزويده بالزاد الذى يعينه على رحلة العالم الآخر ، وأما الشخصان الخارجيان فهما من أسرته ربما كانا يؤديان بعض الشعائر على روحه ، وربما كان لبعد « لوت » عن نظام المقبرة المصرية وطقوس الدفن لدى المصريين القدماء خاصة فى عصور ما قبل الأسرات ، ان فاته الربط بين هذا الرسم وبين ما كانت عليه عادات المصريين وهى عادات وجدت أيضا لدى مجتمعات النوبة ، كما تشهد عليها وتؤكدها مقابر وادى الحياة « الاجال » فى فزان بجنوب ليبيا .

ربما يقول قائل ان هذا الرسم يخالف عادات ما قبل التاريخ اذ كان يتم دفن الموتى فى تلك العصور فى وضع القرفصاء أو الهيئة المثناة ، ولكن يمكننا تفسير ذلك على انه يمكن افتراض أن الفنان أراد ذلك ، ولكن فى حالات كثيرة كان حرص الفنان أن يؤكد على فكرة ما يجعله يخالف قواعد الرسم ، والواقع انه لا يجب أن نتوقع منه المحافظة أو حتى درايته بقواعد المنظور ، ولقد دأب الفنـــان المصرى فى جميع العصور مثلا على مخالفة هــذه القاعدة رغــم معرفته بها ، حينما كان يظهــر الكتفين لدى الشــخص وهو يريد تصويره من وضع جانبى ·

ومع ذلك فقد وجدت حالات أخرى ضمن مقابر جبل زنككرا فى وادى الحياة « الاجال » وضع فيها المتوفى راقدا على ظهــره وأطرافه الى أعلى فوق الهيكل العظمى ، وهو ما يجعلنا نعتقد أن هذا الوضع كان مألوفا لدى مجتمعات الجنوب(٥١) ·

ويمكن أن نضيف الى مضمون الرسم انه كانت لدى مجتمعات البربر رغبة قوية فى أن يحاط الرجل بالعناية بعد الموت وان ذلك كان العامل العقائدى الظاهر لديهم ، وقد كان الجسد يدفن على جانبه ثم يتم ضمه أو شد أطرافه ، كما جرت العادة على نثر تراب أحمر « المغرة » على جسد المتوفى ، وهى عادة وجدت كذلك فى مصر ، والتراب الأحمر يرمز الى عودة الحياة مرة أخرى للجثة ثم يتم تزويده بالطعام وتوضع التمائم لحمايته فى الحياة الأخرى ويضاف الى ذلك انه كان من الممكن أن يلحق بالمتوفى خادمه المخلص ولا ندرى ان كان ذلك يتم قسرا ، وهذه العــادة أيضا وجدت فى مصر ، أى دفن الخدم مع أصحابهم ، لكن المصريين أقلعوا عنها بعد عصورهم الأولى واستعاضوا عنها بتماثيل حجرية تمثلهم وهى تقوم على خدمتهم فى العالم الآخر ، ويدخل ضمن عادات الدفن

لدى البربر ، عادة دفن أفراد الأسرة حول مقبرة المتوفى ولكن بعد موتهم طبيعيا ، وبالتدريج تنشأ جبانات كاملة حول قبور معينة ، وكان من الطبيعى بمجرد قيام أى مملكة أن ينشأ فيها على الفور عبادة لملوكها الراحلين .

والواقع اننا نجد مايشابه ذلك لدى ملوك المصريين القدماء ، فقد كانت جبانة العاصمة تتوسطها المقبرة الملكية ثم تحيط بها فى جانب من جوانبها مقابر أفراد أسرته وفى الجانب الآخر مقابر كبار رجال القصر ثم تتوالى الدرجات والمراكز بحيث تأخذ الجبانـة فى نهاية المطاف شكل وتخطيط العاصمة التى كان يتوسطها القصـر الملكى وتحيط به من جوانبه باقى منازل رعيته حسب درجاتهم أو قربهم منه ، أما عن الوهية الملك ، فقد كان الملك المصرى الها ارتضى ان ينزل الى الأرض ليسوس رعاياه وبعدما تنتهى حياته كان يصعد الى السماء لينضم الى ابائه الألهة(٥٢) .

أما النوع الثانى من المقابر فهى المقابر المربعة أو المستطيلة وهذا النوع يعتبر تطورا لمقابر البربر وهو عبارة عن حفرة دائرية أو مربعة يبلغ عمقها حوالى أربعـة أو خمسـة أمتار وقـد دعمت جدرانها بكتل من الحجر غير منتظمة الشكل والمتماسكة فيما بينها بملاط أو مونه وأرضية الحفرة من الرمال ، ويسجى فيها الميت عادة على هيئة الجنين ويوضع حوله الأثاث الجنازى الذى كان يتكون فى الغالب من الفخار الفاخر والأوانى الزجاجية والقناديل والحلـى الذهبية والمعدنية والعقود الجميلة من الفيروز الأخضـر والعقيق الأحمر ، أما الشـكل الخـارجى للمقبرة فكان يتكون من مصطبتين مربعتين تعلو احداهما الأخرى ، وكانت المصـطبة تبنى من كتـل الأحجار غير المنتظمة أيضا ، وتملعج من الخارج تملعيجا جيدا ثم تطلى بالجير أو الطباشير وكانت عند الأركان فى بعض الأحيان بعض

المصاطب الصغيرة التى توضع عليها موائد القربان وقد عرفت مدافن هذا النوع باسم المقبرة التى على شكل مصطبة ، ويوجد الكثير من مقابر هذا النوع فى وادى الحياه (الاجال) أهمها مقابر الجبانة الملكية بجرمـــة ومقابر تاجلت ومقابر جبانة التناحمـــة (قرب قريـــة الرجيبة) ، والملاحظ ان المقابر التى من هذا النوع كانت مدافن كبار القوم(٥٣) .

أما المقابر الهرمية فقد دار جدل كبير حول مصدر هذا الشكل من المقابر والتى وجدت فى قرية الحطية جنوب جرمـــه من وادى الحياة خاصة انه لاوجود لهذا النوع فى شمال غرب افريقيا ممـــا جعل البعض يرى ان مصدر هذا التأثير من الشرق والجنوب الشرقى (مصر والسودان) واذا كانت الحضارة المروبة بصفة عامة والمقابر الهرمية بصفة خاصة ناتجة من التأثير المصرى(٥٤) فهل انتقـــل التأثير من مصر الى ليبيا مباشرة أو انه كان بطريق غير مباشر عن طريق السودان ؟ ويؤكد بعض الباحثين على ان الســـوادن كان الطريق الذى سلكه التأثير المصـــرى فى بنـــاء المقابر الهرمية فى ليبيا(٥٥) .

ولكن لماذا نصر على أن هذا النوع لابد وأن يكون ناتجا عن تأثير خارجى ؟ لماذا لايكون تطورا محليا لبناء المقبرة ؟ أو حتى لماذا لايكون هذا المكان (وادى الحياه) هو مصدر التأثير خـــاصة اذا علمنا أن الذين استخدموا هذه المقابر اقاموا فى هذه المنطقة منذ عصور ماقبل التاريخ ، وأيضا العصور التاريخية ، حيـــث أوردت المصادر التاريخية اشارات الى عنصر بشرى أبيض البشـــرة ، وكان الأعتقاد السائد أن هذا العنصر لم يظهر الا حديثا جدا ، وانه كان غزوا منتظما جاء لطرد الرومان لبربر الســـهوب من أراضى المغرب ، ولكن بفضل أعمال الحفر الحديثة فى كل من فزان والصحراء

الجزائرية ، فانه بات يعتقد الآن انه خلال عصر ماقبل التاريخ كان يسكن وسط وشمال الصحراء عناصر بيضاء طوال القامة لهم ملامح البحر المتوسط تتصف جماجمهم بالضخامة ، الوجه طويل نوعا ما وضيق والأطراف نحيلة وهى الصفات التركيبية « المورفولوجية » ذاتها للطوارق المحدثين الذين يعتبرون امتدادا لشعب الجرامنت(٥٦) ٠

واثناء المسح الاثرى لوادى الحياه وجدت عدة مقابر حجرية اسطوانية التكوين من بين تلك المقابر واحدة أكبر حجما تم تستيفها بقطع من الحجارة الغفل مما قربها من الشكل الهرمى وتوحى حالتها العامة انها سليمة لم تمس(٥٧) ٠

اذن فمن المحتمل جدا أن تكون المقبرة الهرمية فى ليبيا هى نهاية المطاف للمقبرة فى عصورها المختلفة(٥٨) ٠

٣ ـ الشواهد وموائد القرابين

الشواهد وموائد القرابين من الأشياء المرتبطة بالمقابر ، حيث حرص الليبيون على وضع شواهد ذات أشكال معينة على القبور ، وكانت هذه الشواهد توضع اما الى الناحية الشرقية المقابلة لمشرق الشمس أو للناحية الغربية المقابلة لغروبها ، وهذا يدل على ارتباط هذه الشواهد بعبادة الشمس أيا كان شكل هذه الشواهد سواء على شكل مسله أو على شكل قرنين أو شكل الكف ، أما النوع الأول فهو عبارة عن مسلة صغيرة غير تامة التهذيب كانت توضع عادة خارج القبر مواجهة لمشرق الشمس كى تتصل باله الشمس الذى يقوم هاديا للمتوفى فى العالم الآخر ، وكانت تطلى باللون الأحمر ربما لتعكس أشعة الشمس حيث انه من المعروف ان هريمات المسلات فى مصر ايام الدولة الحديثة كانت تموه بالذهب او بمعدن آخر

سواه(٥٩) والى جوار مقابر وادى الحياه وجدت بلاطتان كبيرتان كشاهد وكل منهما تصنع زاوية من طرف المقبرة فتجعله شكلا هرميا غير تام ، ويبدو ان هذا ليس مصادفة ، ويأتى أحد الامثلة على هذا النوع من قرطاجنة حيث وجد عليه نص فينيقى ، وهناك من يعتقد بأن هذا الشكل يمثل توحيد قرص الشمس وهلال القمر وقد نتج ذلك من ظهور « تانيت » على رأس المعبودات القرطاجنية(٦٠) فهل الامثلة التى وجدت فى وادى الحياة بجنوب ليبيا تعنى نفس المعنى ؟ الحقيقية ان هناك من يعتقد (نتيجة التشابه الكبير بين الشواهد الليبية والشواهد الفينيقية) ان الليبيين قلدوا الشواهد القرطاجنية عندما قاموا بعمل شواهدهم(٦١) الا ان الحقيقة تشير الى ان المصريين كانوا أول من شكل شواهد على شكل مسلة ثم أثروا فى غيرهم من الشعوب من حيث انتاج هذه الآثار أو اقتناؤها ، فقد آل الأمر بالكنعانيين والفينقيين الى اقامة مسلات لهم صغيرة(٦٢) .

أما الشواهد القرنية ، فان استخدام القرن كشاهد أو رمز يظهر منذ وقت مبكر يرجع للعصر الحجرى الحديث وحتى العصور الرومانية ، كما ان هذا النوع قد امتد من مواضع العصر الحجرى فى الصحراء الى مراكز البحر المتوسط ، ويرى « فروبينيوس » ان القرون التى تم اكتشافها فى ليبيا انما تهدف الى أغراض رمزية وانها تشير الى الضوء ، وفى اعتقاده ان ثمة صلة تربط بين فكرة استعمال القرون فى عصور ماقبل التاريخ واستعمالها الرمزى فيما بعد فى ثقافات أخرى(٦٣) وتبدو الصلة بوضوح بين القرون من جهة والشمس والقمر والثور من جهة أخرى من خلال ابراز القرون على هيئة هلال ، وضع القرن على هيئة دائرة (وان كان من الصعب تحديد ما اذا كانت هذه الدائرة ترمز الى الشمس أم الى القمر) ، اضافة خطوط على هيئة شعاع قد يمثل شعاع الشمس ، اضافة زخارف من المعتقدات انها ترمز الى الشمس مثل الصليب باشكاله

المختلفة ، ومن تلك الزخارف رسم بيضوى وجد فى ليبيا حول صور اخرى لحيوانات مثل الزرافة والنعامة وربما كان هذا الرسم البيضوى يمثل الشمس(٦٤) ٠

ويبدو من تلك النماذج أن الناس كانوا يحاولون أن يربطوا بين الأرض وقوى الفضاء التى تعذر عليهم فهم ماهيتها ، كذلك يبدو أن الآلهة والاجرام السماوية والحيوانات من ذوى القرون كانت تكون ثالوثا رمزيا فيما قبل التاريخ ، وأصبح القرن أحد رموز القوة الروحية ، ويتكهن البعض بأن القرن أصبح يمثل النور على الأرض ، نظرا للشبه الذى بينه وبين الهلال ، ولخاصته الدفاعية الهجومية كان المعتقد انه منبع القوة والحياة ، وعندما أصبحت الماشية من أهم عناصر الغذاء أصبح القرن يرمز أيضا الى الخصوبة والتوالد يقول « جيديون » ان المصريين ظلوا مرتبطين بعالم ما قبل التاريخ وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات ، لدرجة انها تحولت عندهم الى رموز للآلهة مثل العجل « أبيس » ومع أن صبغة الالوهية ، تحولت بمضى الزمن من الحيوان الى البشر الا أن المصريين ظلوا متمسكين بتراث الماضى(٦٥) ٠

كذلك يذكر « فروبينيوس » عددا من صلات مماثلة مثل قرن الثور فى « مايه ديب » والرمز المصرى المرسوم على خاتم من الفخار يرجع الى عصر ماقبل الأسرات ، كذلك يذكر الشبه بين زخارف على هيئة قر ناكتشفها فى ليبيا وبين رموز مصرية موجودة على المعابد المصرية ، والواقع أن الهلال الذى على هيئة قرن ، والقمر أو قرص الشمس من أهم الزخارف التى تزين رموز الألهة المصرية ، فنجد الهلال الممتد بقرنين يحتويان قرص الشمس من أهم الرسومات التى يرمز بها للالهتين « حاتحور » و « ايزيس »(٦٦) ٠

وقد اكتشف فى المقبرة الملكية فى جنوب ليبيا (فزان) (القبر الرابع) اناء أخضر صغير الحجم من مدينة « منف » أو (الفيوم) ،

وغير ذلك من الآثار التى تدل على التأثر بالتقاليد المصرية مثـــل المباخر والتمائم(٦٧) ٠

أما الهلال ذو القرنين الذى دخل فى مصر كرمز للخصوبة فى الالهتين « حاتحور » و « ايزيس » فقد أصبح له مثيل فى الميثولوجيا التى جاءت فيما بعد مثل « ايزيس « الفينيقية سيدة « جبيل » والتى كثيرا ما كانت ترسم وعلى رأسها هلال وقرص مستدير ، والحقيقة ان استخدام القرن كتميمة يرجع الى العصور القديمة ويستدل على ذلك مما اكتشف لدى المصريين القدماء(٦٨) ٠

أما موائد القرابين والتى تنحت على قوالب حجرية مختلفـة الأحجام ، فهى عادة ماتوضع فى الجانب الشرقى أو الغربى للمقبرة أمام الشاهد ، والغرض من هذه الموائد هو حمل النذور والقرابين التى يقدمها الأقارب أمام المتوفى أو التى يقدمها المتوفى للمعبود ، والحقيقة أن معظم الموائد الليبية القديمة قائمة الزوايا (مربعـة أو مستطيلة) وهى تنقسم الى قسمين الأول يتـــكون من اخدود قائم الزوايا والثانى يشغله اخاديد صغيرة ، وأكثر الأمثلة وضوحا على ذلك مائدة قرابين فى زنككرا وقد حفرت اخــــاديدها بدقة بالغة ، فالأخدود الكبير يشغل نصف الحجر ، وثلاثة اخاديد صغيرة تشغل النصف الثانى ، وتظهر الموائد الموجودة بمتحف سبها الأشـــكال المختلفة واعداد الاخاديد الكثيرة والمتنوعة الحجم ، والاخدود الكبير عادة مايكون أعمق من الاخاديد الصغيرة التى تميل دائمـــا الى الضحالة ، وعلى ذلك يمكن تصنيف موائد القرابين التى وجدت فى شمال افريقيا الى :

الأول : هذا النوع عادة قائم الزوايا ويصنع من احجار مختلفة معظم زخارفه من الزهريات الليبية وارغفة الخبز ، كما رسمت قطع

اللحم فى قمة المائدة وتاتى الأمثلة على ذلك من الجزائر ووادى أم العجاريم ٠

الثانى : صغير الحجم ويتكون من عدة أخاديد خشنة الصنع ويلتصق بها شاهد وتاتى الأمثلة على ذلك من ليبيا فيحتوى متحف (طرابلس) على نماذج من وادى العمود وسرت وغيرها وفى بعض الأمثلة لا يتضح الأخدود الكبير والقطعة رقم ٢٤٥٦ فى متحف طرابلس بها فجوات ربما تكون مكان اخدود ٠

الثالث : وهذا النوع قليل الوجود حيث وجدت واحدة فقط فى خرزا بالصحراء الليبية وهو عبارة عن قالب حجرى مستطيل بـه اثنان أو ثلاثة أو اربعة اخاديد دائرية أو قائمة الزوايا ، كما وجـد حجر آخر به سبع دوائر غائرة ، واحدة فى الوسط وهو أكبـرها جميعا(٦٩) ٠

وليس فى الاماكن حتى الآن تحديد أصل هذه الموائد ، وان كان النوع الثانى قد وجدت أمثلة له فى شمال غرب افريقيا، الاان الاحتمال الأكبر ان يكون هذا تأثيرا مصريا ، ففى مصر توجد أقدم موائـد القرابين وتعود الى زمن الدولة القديمة ، واستمر خلال الدولـة الحديثة وخلال تلك الفترة تطورت موائد القرابين ، حيث بدأت بنوع بسيط به اخدود قائم الزوايا بصفة اساسية وترجع أهميته لاحتواء القرابين السائلة فى الدولة القديمة ، وعلى ذلك وجدت فى المائدة الواحدة الأخاديد المفردة أو الثنائية ، وسطح هذه الموائد أما أن يرسم أو ينقش عليه مناظر تمثل القرابين المقدمة(٧٠) وعلى مثال واحد يوجد أربعة أخاديد قائمة الزوايا وثمانى حفر دائرية وشغل الوسط بمناظر مختلفة ، كما زين الاطـار الخـارجى بالديوانات وانواع مختلفة من الزهريات ، والحقيقة ان الموائد التى ترجع الى الدولة القديمة تشبه الى حد كبير الأمثلة التى وجدت فى ليبيا ، وفى

تطور آخر للموائد المصرية المتنمية للدولة القديمة ، تقدم لنا موضوعات مختلفة بما فى ذلك الصور الادمية ، والشىء الأكثر أهمية هو علامة « حتب » والتى تمثل حصيرا من الغاب فوقها الطعام(٧١) وفى عصر الدولة الحديثة فقدت موائد القرابين أهميتها وأصبحت قليلة الوجود ، وتغير شكلها وأصبحت مثل طبق قائم الزوايا مع أمثلة أخرى مربعة ، كما أصبحت المائدة تصنع على شكل حتب(٧٢) ٠

اذن هل يمكن اعتبار ماوجد فى ليبيا تأثيرا مصريا أم تأثيرا مرويا ؟ خاصة ان الحضارة المروية تعتبر اقرب زمنيا للحضارة الليبية ، حيث تبدأ الحضارة المروية من القرن السادس ق٠م وقد عرف سكان مروى موائد القرابين ، وقد وجد عدد كبير منها فى الجبانات المروية ، الا ان نقوش موائد القرابين المروية كانت دائما متغيرة ، فالأمثلة القديمة منها كانت تصنع من الجرانيت وكانت القرابين تمثل على الجزء الأسفل ، وفى القرن الرابع ق٠م كان الطعام يصور على سطح الموائد ، أما فى القرن الأول ق٠م فرسم مكان الطعام اشكال غريبة نصفها أدمى والنصف الآخر ابن اوى (رمز الاله انوبيس فى الديانة المصرية(٧٣) من ذلك يتضح ان هناك اختلافا كبيرا بين الموائد المروية وماوجد فى ليبيا ، حيث أن الأولى سميكة ونادرا مايوجد عليها نقش كما لايوجد عليها أخاديد ، فاذا اضفنا الى ذلك أن كل ماوجد فى ليبيا ذكر فى مصر وان الحضارة المصرية هى أساس الحضارة المروية ، يمكن القول ان هذا تأثير مصرى صرف ٠

(ب) الفنون

تحفل الصحراء بسجل حافل من النقوش والرسوم التى صور فيها القدماء مشاهد عن حياتهم اليومية فجاءت لوحاتهم واقعية

مجسمة لتاريخ حياتهم ، وليس هناك من شيء أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى ، فمنذ العصور الموغلة فى القدم بل قبل أن تظهر الصحراء ، عندما كانت الوديان التى نراها قاحلة اليوم تزخر بمظاهر الحياة ، وعندما كانت الجبال الجرداء تكسوها الأعشاب والغابات ، وعندما كانت الجهات الخالية الموحشة الآن مرتعا للفيل والخرتيت وفرس البحر ، سطر الصيادون نشاطهم اليومى وعمليات الصيد والقنص ، وصوروا أنفسهم وهم يرتدون جلود الحيوانات التى تتدلى ذيولها من خلفهم ، نقشوا صور الشباك البدائية التى كانوا ينصبونها ومناظر الصيادين وهم يحملون الصيد ، ووصلوا لدرجة الابداع فى تصوير الصيادين وهم يرتدون أقنعة من رؤوس الغزلان ليقتربوا من الفريسة ، وكانت الأسلحة التى يحملونها بدائية ولاتتعدى العصى وبعض الأقواس والسهام ، وكان فن الرعاة أروع من فن الصيادين ، اذ تمكن فيه الفنان من التعبير عن شكل الحيوان باستعمال الألوان ، وحاول فيه الرسام اظهار حركة الحيوان والانسان ، ويظهر من الصور الملونة المرسومة فى جبال الاكاكوس ، أن هؤلاء الرعاة كانوا طوال القامة سمر البشرة يرعون الماشية وانهم كانوا على درجة أعلى فى الحضارة من الصيادين ، كما انهم بلغوا مرتبة رفيعة فى فن الرسم ، ويمكن ان نعتبر الرسوم الموجودة على جدران الحقاف بوادى تشوينات (الاكاكوس) شرقى غات ، بأنها أرقى مرحلة وصل اليها فن الرسم لدى الرعاه(٧٤) ٠

اما بالنسبة للنحت ، فلم يعثر الا على عدد قليل من اجزاء تماثيل بجنوب ليبيا ، وجميع الأجزاء التى وجدت أقل من الحجم الطبيعى للشخصيات التى تمثلها ، ولايمكن الجزم ماذا كانت هذه الأجزاء نحتت فى « جرمة » أم انها استوردت من أماكن أخرى ، ولكن من الجائز أن تكون طبيعة الجرامنت (سكان الجنوب) التجارية لم تشجعهم على اقتناء التماثيل الجميلة ، اذ أن اهتمام

التاجر ينصب غالبا على اقتناء الأشياء ذات القيمة المادية العالية وليس القطع الفنية التى لايجنى من ورائها الا الربح الأدبى ، ومن أمثلة القطع المنحوتة ، قطعتان من الحجر الرملى النوبى تمثل احداهما صدر شخص يلبس ازارا ، والقطعة الأخرى تمثل جزءا من الكتف واليد لنفس التمثال وقد عثر عليها أثناء حفائر مصلحة الآثار بجرمه ، ثم عثر على جزء يمثل راس تمثال من البرونز لشخصية مهمة ذات طلعة مهيبة ، فملامح الوجه دقيقة ، واللحية (ربما كانت مستعارة) مرسلة على الصدر وذات تجاعيد والتاج أشبه ما يكون « سيرابيس » أو « بوسيدون » اله البحر ويبدو أن هذا التمثال يمثل شخصية أكبر من زعيم أو ملك ، ومن المحتمل انه كان للاله « جراما » ابن أبوللو الجد الأسطورى(٧٥) كما تم الكشف فى مدينة قورينى عام ١٩٦٦ م عن ثمانية أجزاء من تمثال لأبى الهول(٧٦) .

أما الموسيقى ، فقد اشتهرت ليبيا قديما بالفنون الموسيقية التى اثبتها المؤرخون والرحالة وكبار الادباء اليونان ، حيث نجد عددا وافرا من مغامرات ملحمتى « هوميروس » تجرى فى ليبيا أو على الشواطىء الليبية ، فكانت المغنيات يتعرضن لأوديسيوس يحاولن أن يغوينه بحلاوة صوتهن غير بعيد من الساحل الليبى (ربما عند صخرة جزيرة قروة قرب زواره حاليا) كما أن بحارة أوديسيوس أنفسهم هم الذين طعموا من شجرة اللوتس الليبية المشهورة فراحوا يغنون منتشين ، هذا اللوتس الليبى كان ذا شهرة ذائعة ، ليس فقط باعتباره نباتا عجيبا له خصائص مخدره ، ولكن لكونه تصنع منه أدوات موسيقية أشهرها الناى ، الذى يسمى فى ليبيا النحيل ويسمى فى مصر الأرغول(٧٧) .

وقد اشتهرت النايات المصنوعة من ساق اللوتس الليبى باعتبارها أفخر نايات فى العالم القديم ، ويذكر الجغرافى « بلينى الأكبر » فى كتابه التاريخ الطبيعى ، من جملة مزايا اللوتس انه يتخذ

من أغصانه النايات المطربة ، ويؤيده فى ذلك المؤرخ « اثيناوس » فى مؤلفه مائدة الفلاسفة الذى يقول « ان أهل الاسكندرية يتخذون نايات مصنوعة من اللوتس وهو شجر ينمو فى ليبيا ، أمـا الآلات الموسيقية القديمة ، فالمصدر فى ذلك هو النقوش والصور المصرية التى تتحدث عن الليبيين وموسيقاهم ومن هذه الرسوم المصرية نعثر على أربع آلات : المضرب وهو اداه ناقرة على شكل عصا تنتهـى بنصف دائرة بارزة ، الطبلة ذات الجانبين وكانت تصنع من الفخار أو الخشب بزخارف وتزويقات ويوضع على جانبيها جلد مربوط حولهما ، وتشد الى العنق بسير أو رباط ويضرب على جانبى الطبلة باليدين ، ومن الجائز ان كل جنب فى الطبله يحدث صوتا مختلفـا ليحدث التناغم اللازم ، أما الالة الثالثة فهى تشبه البوق بنهاية واسعة ولها عدة ثقوب ينفخ فيها وتحرك الأصابع على الثقوب لتاتى بالنغم المطلوب ، والالة الرابعة تشبه القانون ، وهى اداه وترية وتعرف بالقيثارة وهى تستعمل فى مصر كثيرا ، وهذه الآلات كانت تستعمل بصورة اجمالية ، أى تعزف فى آن واحد بانغامها المختلفـة(٧٨) ويدل على ذلك ان الرسوم المصرية تصورها مجتمعة ، ومن المؤكد ان الليبيين كانوا يستخدمونها فى المناسبات المختلفة أو فى ساعات اللهو والاستمتاع ، هذا العزف الجماعى يشير الى مرحلة متقدمـة من فن الموسيقى ، اذ ان التناغم يحتاج الى قدر كبير من الدقة والمران والأذن الموسيقية المدربة بعكس العزف المنفرد الذى يعتمد على فـرد واحد يرسل انغامه كيف شاء دون الأرتباط بالعازفين الآخرين ٠

وكان الرقص يصاحب الغنـــاء والموســيقى ، وكان الليبيون القدماء معروفين بالرقص الجماعى والذى يعتبر اكثر تعقيـدا من الرقص الفردى ، ويتطلب ادراكا عميقا للايقاع ومنحى الحركة بين القدم والجسد ، ويتحدث هيردودت عن رقصة ليبية مشـهورة على طول بحيرة « تريتونس » (شط الجريد حاليا) تنقسم فيها الفتيات

الى قسمين يرقصن ويتقاذفن بالحجارة ، ثم تتحول الحفلة الى رقص بالخيول تدور حول البحيرة ، ترتدى فيها الفتيات لباسا حربيا ، صلاة وقربى للالهة « نت » ربة الحرب والقتال وتقدم لنا الآثار المصرية صورة حية لبعض أبناء قبيلة التمحو الليبية وهم يرقصون (رقصة الحرب) يقف فيها فريق منهم بعصى ، بينما يقفز فريق آخر ويرقص ليعود ويضرب العصى بعصى أخرى يمسكها ، وهذه الرقصة تذكرنا برقصة التحطيب المصرية(٧٩) ٠

لقد كان الرقص عند قدماء الليبيين وسيلة تعبيرية معروفة ليس فى الحرب والقتال ، بل فى المناسبات الدينية أيضا ، فالى جانب رقصة البحيرة والتى كانت احتفالا سنويا منظما ، يذكر المؤرخون رقصة امون ، حيث تدخل الفتيات المعبد وهن يغنين ويرقصن باحترام لصاحب المعبد وربه ، خلاصة القول ان الرقص كفن تعبيرى كان معروفا فى ليبيا القديمة وله أصوله وطقوسه وحركاته وايقاعه ونظمه وأساليبه باعتباره فنا وعبادة(٨٠) ٠

(جـ) الحياة الاجتماعية :

من دراستنا السابقة يمكن القول أن ليبيا كانت تنقسم الى ثلاثة أقاليم رئيسية وهى قورينائية فى الشرق والتى احتلها الاغريق ، و « طرابلس » ومدنها فى الغرب والتى كانت تخضع للسيطرة الفينيقية ، واقليم فزان فى الجنوب وعاصمته « جرمة » وسكانه من الجرامنت ، وعلى ذلك سنتناول الحياة الاجتماعية فىكل اقليم على حده نظرا لاختلاف طبيعة الاستعمار فى القسمين الشرقى والغربى ٠

ففى الشرق كان المجتمع الاغريقى فى « قوريني » يتكون من طبقات ثلاث ، طبقة المواطنين الأوائل ، طبقة المزارعين ، طبقة الليبيين الذين لم يندمجوا مع الاغريق ، الا اذا جاز لنا أن نستثنى

أبناء الليبيات من آباء اغريق من مواطنى قورينى ، اما « استرابو » فقد ذكر أربعة عناصر سكانية وهم اليهود والمواطنـــون الاغريـق والمستوطنون الأجانب والمزارعون ، وهذا العنصر الأخير هو عنصر مستقل لانهم ليسوا من الاغريق ولا من الأجانب ولهذا يمكن ترجيح انهم من الليبيين(٨١) .

واذا كان هذا صحيحا فانهم من الليبيين الذين ســاهموا فى انشاء قورينى وتعاونوا مع الاغريق فى زراعة أراضيهم ، وتزوج هؤلاء من بناتهم ، واذا كنا نعلم أن المستعمرين الأوائل تمكنـوا من انشاء قورينى بمساعدة قبيلة الاسبوستاى الليبية ، فيمكن القول ان طبقة المزارعين ربما كانوا من رجال هذه القبيلة ، وليس هناك سبب للاعتقاد بأن هؤلاء المزارعين كانوا عبيدا للأرض أو رقيقا لهــا ، فالمزارعون الذين ذكرهم « استرابو » مزارعون أحرار فى الأرض الخاصة بقورينى والمدن الأخرى ولهم وضعهم الشرعى المعترف به ، ويحتمل أن يكون هؤلاء المزارعون يمتلكون قطعا من الأرض ، وان البعض منهم أيضا يستأجر قطعا من الأراضى الخاصة بالملك الذى يعتبر أكبر مالك فى قورينى(٨٢) .

ورغم الأختلاط الذى حدث بين الاغريق والليبيين ، فقد وجدت التفرقة ليس فقط فى الأوضاع التشريعية ولكن أيضا فى الناحيــة العنصرية ، لأن العنصر الاغريقى كان صاحب حضــارة وثقافــة واسعتين ، واحتفظ العنصر الليبى بتنظيمه القبلى ولم ينخـرط فى الحضارة الاغريقية ومن بعدها الرومانية ، ووقف موقف العداء من هاتين الحضارتين الدخيلتين ، وتمثل هذا العداء فى الحروب التى تشنها القبائل الليبية من آن لآخر على المدن الاغريقية ، والتى حاول اغسطس فى العهد الرومانى القضاء عليها بتهيئة كل ما ســاعد

الليبيين على الاستقرار فى أراض يقومون على زراعتها وذلك بتنفيذ كثير من مشاريع الرى وتحسين سبل الزراعة لاجتذاب الليبيين لحياه مستقرة هادئة وقد سار خلفاء اغسطس على هذه السياسة(٨٣) أما فى الغرب ، فقد ذكر ان اهالى المستعمرات الفينيقية فى طرابلس كانوا يتمتعون بشبه حرية تامة ، الا ان الليبيين كانوا يعاملون بخلاف أهل تونس الذين كانت لهم مميزات المواطن القرطاجنى ، فكانت قرطاجنه تنظر لليبيين على انهم غير مواطنين بونيقيين وتميزهم بذلك عن سكان تونس البونيقيين ، كما يذكر ان « لبده » كان لها تشريعاتها وقضاتها ويعتقد أن « اويا » و « صبراته » كانتا تتمتعان بنفس المزايا ، فكان رئيس القضاة فى لبدة يسمى « شوفيط » ولاشك أن هذه التسمية كانت بمثابة احياء للدستور الفينيقى الأصلى والمأخوذ من النظام السياسى وشكل الحكومة بقرطاجنه ، وكان يتم انتخاب رئيس القضاة مرة كل عام بمعرفة الجمعية الشعبية غير أن هذا الانتخاب كان مقصورا على العائلات الارستقراطية والثرية ، مما جعل الحكم فى ايدى فئة قليلة محدودة العدد مادامت اطمأنت اليها حكومة قرطاجنه وقد تركت هذه الأقليات تدير امورها الداخلية(٨٤)

وبجانب القضاة ، كان هناك قضاة عاديون أطلق عليهم اسم « المحصلين » وترجع وظائف هؤلاء الى العصور الفينيقية وكانت مهمتهم الرئيسية تحصيل الغرامات وتزويد السوق بما يلزمه من مؤونة ومعدات ، أى انهم كانوا يرجهون اقتصاديات البلاد حسبما يروق لهم(٨٥) .

وقد استمر تأثير النظام الفينيقى فى مدن طرابلس حتى أوائل العصر الرومانى ، فقد كان « البروقنصل » وموظفوه القلائل يعتمدون على السلطات المحلية فى مدن الولايات وذلك فيما يتعلق بادارة الأعمال الحكومية ، ولهذا السبب لم يطرأ أى تعديل على

نظام البلديات ، بل سارت الأمور على ماهى عليه دون تدخل محسوس من الرومان ولهذا السبب تمكنت « لبده » من الابقاء على دستورها الفينيقى ، ويعتقد ان مدينة « أويا » و « صبراته » سـلكتا نفس السياسة ، وقد أوضحت لنا الاكتشافات الأخيرة فى طرابلس ، ان مدنية الفينيقيين قد توغلت حتى بين السكان الليبيين فى الداخل فقد عثر على بعض النقوش مكتوبة باللغة البونيقيـة فى وادى العمود الذى يقع جنوب شرقى مزده بحوالى ٦٥ كم ، ويعتقد انهـا تعود للقرن الأول ق٠م ، وجد اثنان منها على ضريح « نيمران بن ماشو ككشان » والذى يعتقد انه كان رئيسا محليا ، كما وجد نقش آخـر كان على مقبرة أسرة « عيرور بن حاطيط » ويعتقد انه كان شخصية معتبرة(٨٦) ٠

ومن الواضح ان الاكتشافات التى تم العثور عليها والتى ترجع للعهد الفينيقى قليلة جدا ، وهى لاتكفى لاعطاء صورة مكتملة عن الحياة اليومية العادية خصوصا ان الفينيقيين ، كما يذكر علمـاء الآثار ، كانوا لايضعون مع جثث موتاهم الا اشياء قليلة القيمة ، مثل الأوانى الفخارية والزجاجية وبعض الجرار كالتى عثر عليهـا فى طرابلس وقد وجد بها رموز فينيقية ويعتقد انها كانت تستعمل لخزن النبيذ وزيت الزيتون(٨٧) ٠

أما فى الجنوب ، فقد كانت جرمه دولة ملكية وقد اشار الى ذلك الكثير من الكتاب الكلاسيك ، ولم تتأثر جرمـه فى حياتهـا السياسية بالأنظمة الاغريقية أو الفينيقية ، ويدل دفن الملوك فى مقابر خاصة على درجة الفخامة ، ان رعاياهم كانوا يحترمونهم ، وكان هناك الى جوار الملوك ، الامراء أو حكام الأقاليم ، ويظهر من فخامة مقابرهم وعظمة قصورهم ، ان سلطاتهم كانت واسعة وانهم كانوا ينوبون عن الملك فى حكم اقاليمهم ، وربما تمتعوا خلال فترة ضعف

الملكية بنوع من الاستقلال الذاتى(٨٨) أما الشعب فقد كان يتكون من ثلاث طبقات وهم الأثرياء أو التجار وهؤلاء كانت لهم اليد الطولى فى حكم البلاد • فقد كان منهم مجلس استشارى أو تنفيذى يعاون الملك وكانت لهم القصور ، كما كان لهم حراسهم الذين يحرسون قوافلهم وقد عاشت هذه الطبقة عيشة الترف وتمتعت بكل مباهج الحياة ، ثم طبقة الاحرار وهم الصناع وصغار التجار وكانت عيشتهم كما يقول استرابو متوسطة فلا هى بالبذخ المفرط ولا هى بالفقر المدقع(٨٩) •

وبصفة عامة يمكن القول ان سكان ليبيا كانوا ينقسمون الى حضر وبدو •

أما الحضر فيسكنون المدن والواحات حيث توجد الأسواق التجارية والنخيل والعيون والمزروعات وحيث تتوافر سبل الحياة الهينة ، وكان يحيط بهذه المدن فى العادة سور للدفاع ، أو يوجد بها قلعة لنفس الغرض وكان الحاكم أو الأمير يسكن فى هذه القلعة أو القصر ، ومازالت آثار هذه القلاع أو بقايا منها متناثرة فى واحات ليبيا حتى اليوم ، أما السكان العاديون من عامة الشعب فقد كانوا يسكنون فى بيوت صغيرة من اللبن أو فى أكواخ من القش أو فى خيام من جلود الحيوانات أما البدو ، فقد كانوا يتكونون بصفة عامة من الرعاة الذين يتنقلون بماشيتهم من مكان الى آخر وراء الكلا •

والى جوار هاتين الطبقتين أو الجماعتين كانت توجد جماعة ثالثة وهم الأرقاء وكانوا يتكونون من أسرى الحرب أو الذين استرقهم الليبيون عن طريق الخطف سواء من السود أو البيض(٩٠)

أما فيما يتعلق بالمجتمع والأسرة فى القبائل الليبية ، فيمكن القول ان الليبيين كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء ، وانه كان

لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد والبنات وتدل كثرة قبور النساء وتفوقها من حيث العدد على قبور الرجال بالجبانة الملكية ، بجرمة » ان كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النساء والحريم ، وهى عادة كانت مألوفة فى كثير من ممالك العالم القديم ، ولكن ليس معنى ذلك ان قيمة المرأة كانت تافهة فى نظر الرجل الليبى أو ان الأنثى كانت فى درجة دون الذكر ، فمن واقع المقابر الفخمة التى اجتمعت لهن بالجبانة الملكية ، ومن واقع الحلى والأدوات التى وجدت فى تلك المقابر ، نستنتج انها كانت مساوية من حيث المركز لقرينها الرجل ، كما ان عبادة الالهة « نيت » وهى أنثى واعتبارها زعيمة الآلهة يدل على ان مركز المرأة كان محترما فى نظر الرجل بليبيا ٠ ومع احترام المرأة وتقديرها فقد ظل المجتمع الليبى يسوده الرجل،فهوالذىيحارب وهو الذى يقود القوافل عبر الصحارى ، وكان عليـــه أن يقوم بأشق الأعمال ، بينما كانت النساء يقمن بالأعمال المنزلية الخفيفة أو الخدمة بالحقول وغيرها من الأعمال التى لا تتطلب مشقة كبرى(٩١) ٠

أما عن عادات الزواج ، فقد عثر على نقش يسمى بالقـــانون المقدس ، وهذا النقش يرجع تاريخه الى نهاية القرن الرابع ق٠م ، وأول مايلاحظ على عادات الزواج انها كانت مرتبطة بالحياة الدينية والربة ارتميس على وجه الخصوص ، كما انها اشتملت على تقديم القرابين الكثيرة لهذه الربة والزيارات المتعددة لمعبدهـــا ، وكانت الطقوس تقضى عادة بدخول العروس الى معبد ارتميس حيث يتم زواجها وتنتقل بعد ذلك لتعيش مع زوجهـــا ، واذا خالفت هذه الشعائر يتحتم عليها أن تقوم بتنظيف معبد ارتميس وتقديم قربان لها

تكفيرا عن خطئها ، كما يشير النقش الى انه يجب ان تنزل العروس الى عين الماء المقدسة (أى نبع ابوللون) للتطهر(٩٢) ٠

أما بالنسبة للحياة اليومية فكان الليبيون فى أوقات فراغهم يروحون عن انفسهم بالذهاب الى الحمامات للاسترخاء والرياضة والاستجمام ، أو الى المسارح التى تقام فيها الحفلات فى مختلف المناسبات ، وكان السكان يتمتعون أيضا بمشاهدة سباق الخيل(٩٣) ٠

هوامش الفصـــل الخامس

(١) Wainwright, G.A., The Sky Religion in Egypt, Cambridge, 1938, PP. 9 — 14.

(٢) Wainwright, Op. Cit., P. 85.

(٣) Bates, O., The Eastern Libyans, P. 207.

(٤) Griffith, J.G., The Origins of Osiris And His Cult,, Brill, Leiden, 1980, PP. 88 — 89.

(٥) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ٤ ، الحضـــارة المصرية ، ص ١٧٨ .

(٦) وقارن Bates, Op. Cit., P. 89.

(٧) Petrie, W.M.F., Naquda and Ballas, London, 1896, P. 59.
Petrie, W.M.F., Religios Life in Ancient Egypt, Boston, 1914.

(٨) Boris De Rachewiltz, Imti ei Lusghi dell'Antico Egyitto, PP. 17 — 18.
Bsn. Bonacell, L'africa Nella Concezione Geografica Deyli Antichi, P. 39.

نقلا عن بازامه : قوريني وبرقة ـ نشاة الدينتين فى التاريخ ، بنغـــازى ، ١٩٧٣م ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ٤ ، ص ١٨٠ .

(١٠) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ٤ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ٠

تشرنى : الديانة القديمة ، ترجمة أحمد قدرى ، ١٩٨٧ ، ص ٢٣٩

(١١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ٧ ، ص ٢٣ ٠

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ١١٧ ٠

(١٣) El Mosallamy, Libya Antique, 2, P. 53.

محمد سليمان ايوب : ليبيا فى التاريخ ، بنغـــازى ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٢ ٠

(١٤) هيردوت : ٤ : ١٨٦ ٠

(١٥) نفســـه ٠

(١٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ١١٩ ٠

(١٧) بازامـــه : المرجع الســابق ، ص ٢٢٣ ٠

(١٨) هــيردوت ٤ : ١٨٨ ٠

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ٤ ، ص ١١٧ ـ ١١٩ ٠

(٢٠) Mercer, S.A.B., The Religion of Ancient Egypt, London, 1949, PP. 49 — 51.

Petrie, W.F., Religion and Conscience in Ancient Egypt, London, 1898, P. 57.

(٢١) Ibid, PP. 77 — 78.

(٢٢) El-Browarsdki, «Two Old Knigdom Writting Boards from Giza» A.S.A.E., 71, 1987, P .36.

Hosnung. E., Conceptions of God in Ancient Egypt, Trans. By John Baines, London, 1982, P. 108.

دوماس : الهة مصر ، ترجمة زكى سوس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٩٧ ٠

(٢٣) فاندييــه : مصر ، ص ١٥٥ ـ ١٥٨ ٠

Habaachi, L., Sais and Its Monuments, A.S.A.E., 42, 1943, P. 370 Note 3.

(٢٤) أيوب : جرمه ـ من تاريخ الحضـارة الليبية ، ص ١٨٦ ـ ١٨٨ .
علي فهمي خشيم : الهة مصر العربية ، طــرابلس ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٤ .
Graves, R., The Greek Miths, Penguim Books, 1958, P. 39.

(٢٥) Mercer, Op. Cit., P. 196.

(٢٦) Bates, Op. Cit., PP. 203 — 207.

(٢٧) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١ ، ص ١٩٠ .

(٢٨) El-Mosallamy, Libya Antique, 2, P. 53.

(٢٩) أيــوب : ليبيــا فى التاريخ ، ص ١٦٩ .
أيــوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ٦٢ .

(٣٠) Stevenson Smith, The Art and Architecture of Anceint Egypt, Maryland U.S.A., 1965, Fig. 76.

(٣١) Mercer, Op. Cit., PP. 188 — 189.
تشــرنى : الديانة المصرية القديمة ، ص ٢٣٤

(٣٢) Bates, Op. Cit., P. 184.

(٣٣) رشيد الناضورى : المغرب الكبير ـ العصور القديمة ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ١٣٩ .
رشيد الناضورى : التطور التاريخى فى الفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٣٤) جيهان ديزانج : « البربر فى افريقيا الصغرى » ، تاريخ افريقيا العام ، ص ٤٤١ .
Leglay, M., Saturne africain, Histoire, Bibliotheque de L'Ecole Française d'archeologie de Rome, Pars, 19166, PP. 428 — 341.

(٣٥) Ghazal, A.H., «New Light on The distinction Between Ammon of Libya and Zeus of Cyrene», Liby Antique, 2, 1984, P. 174.

(٣٦) Bates, Op. Cit., PP .101 — 102.

(٣٧) Fakhry, A., History of Bahryah, P. 27.

Bates, Op. Cit., PP. 190 ff.

(٣٨) أيوب : جرمه ، ص ١٨١ ، ليبيا فى التاريخ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ·

(٣٩) جبارين هى احدى مناطق تاسيلى الفنية بلوحات من عصور ماقبل التاريخ فى الصحراء وهى تعنى فى لغة الطوارق ، العمالقة ، وجبارين هذه عبارة عن مرتفعات من الصـــخور الرملية تنهض بشكل عادى من هضبة تاسيلى أثرت فيها عوامل التعرية فتاكلت قواعدها مكونة مخابىء وكهوفا اعمق مما فى اى منطقة اخرى ، وقد امتلأت جدران هذه التجاويف بالعديد من الرسوم والنقوش حتى اسماها « لوت » جبارين ذات الخمسة آلاف لوحة ·

لوت : لوحات تسيلى ـ ترجمة زكى جسن ، طرابلس ، ١٩٦٨ ، ص ٦٧ ـ ٧٠ ·

(٤٠) لوت : لوحات تسيلى ، ص ٧٢ ·

(٤١) بازامه : تاريخ ليبيا ، جـ١ فى عصور ماقبل التاريخ ، ٠٠٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق٠م ، بنغازى ، ١٩٧٣ ، ص ١٩٥ وما بعدها ·

(٤٢) لوت : المرجع السابق ، ص ٢١٢ ·

(٤٣) بازامه : تاريخ ليبيا ، ص ٢٠٠ ومابعدها ·

(٤٤) ابراهيم رزقانه : الجغرافية التاريخية ، القاهـرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٨٣ ، شكل ١٦٣ ·

(٤٥) حسن الشريف : المرجع السابق ، ص ١٠ ·

(٤٦) حسن الشريف : العلاقات الحضارية والتاثيرات المتبـــادلة بين اقطار الشمال الافريقى ، بحث غير منشور ص ٦ ·

(٤٧) ايـوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ٥٨ ·

(٤٨) El-Rashdy, E., «Garamantian Burial Customs : Their Relation to Those of Other Peoples of North Africa», Libya Antiqua, 2, 1984, P. 77.

(٤٩) هنرى لوت : لوحات تسيلى ، ترجمة زكـى حســن ، طرابلس ، ١٩٦٨ ·

(٥٠) حسن الشريف : العلاقات الحضارية والتاثيرات المتبادلة بين اقطار الشمال الافريقى ، بحث لم ينشر بعد ، ص ٧ ·

(٥١) نفس المرجع السابق ، ص ٨ ٠

(٥٢) حسن الشريف : المرجع السابق ، ص ٨ ٠

(٥٣) ايـوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ٥٩ ، ليبيا فى التـــاريخ ، ص ١٦٨ ٠
El-Rashdy, Op. Cti., PP. 83 — 84.

(٥٤) Dunham, D., The Royal Cemeteries of Kush, vol. IV Royal Tombs of Meroe and Barkal Boston, 1957, P. 91

(٥٥) Shinnie, P., Meroe, London, 1967, P. 52.

(٥٦) حسن الشريف : المرجع السابق ، ص ٣ ٠

(٥٧) حسن الشريف : « مشروع المسح الاثرى لوادى الحياة » ، مجلة اوزو ، العدد الاول ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤ ٠

(٥٨) علينا هنا ان نقارن هذا التطور فى بناء المقبرة واسلوب الدفن فى ليبيا مع مثيلتها فى مصر القديمة ، وعلى ذلك انظر :

جريمـــال : تاريخ مصر القديمة ، ص ١٣١ ـ ١٥٠ ٠

اسكندر بدوى : تاريخ العمارة المصرية القديمة ، القاهرة ،١٩٨٨

تشرنى : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة احمد قدرى ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٨ ٠

Laur, J. Ph., «Observations Sur Les Pyramids» B.D.E., 30, Le Caire, 1960.

(٥٩) لبيب حبشى : مسلات مصر ، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٨ ٠

(٦٠) Bisi, A.M., «Punic Stelae», Aschaeologya Viva, Paris, 1968, P. 121.

(٦١) El-Rashdy, Op. Cit., P. 90.

(٦٢) لبيب حبشى : المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠

(٦٣) Ferobenius, L., Kulturgeschichte Afrikas, Zuerich,, 1954.

نقلا عن وندرات سكوت وفابرى : « قرون الحيوان فى عصور ماقبل التاريخ فى ليبيا واثرها فى حضارات اخرى « ليبيا القديمة ، جـ٣ ، ٤ ، ترجمة عديلة مياس ، ١٩٦٧/٦٦ ، ص ٥٠١ ٠

(٦٤) وندرات سكوت : نفس المرجع ، ص ١٠٦ ٠

(٦٥) Giedion, S., Symbolic expression in Prehistory and in the First high civilisation in Sign Image and Symbol, London, 1966.

(٦٦) وندرات سكوت : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، تشرنى : الديانـــة المصرية القديمة ، ص ١٤ ـ ٢٤ ، ٢٩ ـ ٣٤ ٠

(٦٧) جينيت دى فيتا : « نقش معبد ايزيس فى صبراته » ليبيا القديمة ، ج٣ ، ٤ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ٠

ايوب : « المقبرة الملكية فى جرمة » ليبيا القديمة ، ج ٣ ، ٤ ، ص ٩٣ ـ ٩٨ ٠

(٦٨) وندرات سكوت وفابرى : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ٠
El-Rashdy, Op. Ct., PP. 93 — 94.

(٦٩) Brogan, O., Magnificent Tombs Which the Home Guards of Roman Tripolitania Built, London, 1955, Ph. D., 184.

(٧٠) El-Rashdy, Op. Cit., PP. 94 — 95.

(٧١) Vandier, J., Manual d'archeologie Egyptianne, VI, Paris, 1955, Ph. D. 522.
Ibid, Ph. D., 528.

(٧٢) El-Rashdy, Op. Cit., Ph. D., 98.

(٧٣) Ibid, P. 98.

(٧٤) عن فن الصحراء الكبرى انظر
مورى : تادرارت اكاكوس ـ الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة عمر البارونى وفؤاد الكعبازى ، ليبيا ـ مركز الجهاد ، ١٩٨٨ ٠

كوبر : « من الصيد الى الرعى ، ماهو العصر الحجرى الحديث فى الصحراء الكبرى « الصحراء الكبرى ، ترجمة مكاييل محرز ، ليبيا ، مركز الجهاد ، ١٩٧٩ ، ص ص ٦٩ ـ ٧٩ ٠

لوت : « الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى » ، الصحراء الكبرى ، ترجمة مكاييل محرز ، ص ٨٠ ـ ١٠٧ ٠

شتريتر : « الرسوم الصخرية كمصدر تاريخـي » ، الصـحراء الكبرى ، ترجمة عماد الدين غانم ، ص ١٤٥ ـ ١٥٦ .

جوتيه : ماضى شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسينى ، طرابلس ١٩٧٠ ، ص ٢٠ ـ ٢٧ .

(٧٥) محمد سليمان ايوب : جرمه ص ١٦٧ ، ١٧١ ، ايوب : ليبيا فى التاريخ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .

(٧٦) جود تشايلد ، بدلى ، هوايت : اكتشاف تماثيل قديمة اركائية فى قورينى ، ليبيا القديمة ترجمة عديلة مياس ، جـ٣ ، ٤ ـ ١٩٦٧/٦٦ ، ص ٧٨ـ ٨٢ .

(٧٧) على فهمى خشيم : « نظرة عابرة على الفنون فى ليبيا القديمة » الفصول الاربعة جـ ٢٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨١ .

(٧٨) Bates, The Eastern Libyain, P. 155.

خشيم المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٧٩) Bates, Op. Cit., P. 156.

(٨٠) خشيم : الفصول الاربعة ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٨١) مصطفى كمال عبد العليم : دراسات فى تاريخ ليبيا القديم ، ص ١٥٦ .

(٨٢) Rostvtzeff, M., Sociat and Economci History of the Roman Empire, 2nd ed., Oxford, 1958, P. 310.

(٨٣) Romanelli, P., La Cirenaica Roman, Verbanian, 1943, P .36.

مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٨٤) محمد مصطفى بازاده : ليبيا هذا الاسم فى جذوره التاريخية ، ص ٥٢ .

(٨٥) Haynes, The Antiquities Tripolitania, P. 28.

(٨٦) Levil Della Vida, «Le isrizioni neopunchie di wadi Amud»; Libia Antiqua, I, 1964, P. 57

(٨٧) محمود الصديق ابو حامد : ليبيا فى التاريخ ، ص ١٣٠ .

(٨٨) ايوب : مختصر تاريخ فزان ، ص ٧٥ ٠

(٨٩) نفسه ، ص ٧٦ ٠

(٩٠) ايوب : جرمه ، ص ١٥٧ ٠ Pliny, V. 5.

(٩١) ايوب : ليبيا فى التاريخ ، ص ١٧٥ ٠
Bates, Op. Cit., P. 114.

(٩٢) الميار : برقة فى العصر الرومانى ، منشـــورات مكتبة قورينا ، ١٩٧٣ ٠

(٩٣) Goodchild, R., Cyrene and Apollonia, P. 73.

المراجع العربيــة والأجنبية

اولا ـ المراجع العـربية والمعربة

١ ـ **ابراهيم زرقانة : جغرافيـة الوطن العـربى ـ المملكة** الليبية ، القاهرة ، ١٩٦٤

٢ ـ **ابراهيم زرقانة** : الجغرافية التاريخية ، القـاهرة ، ١٩٦٦

٣ ـ **ابراهيم نصحى** : انشاء قورينى وشقيقاتها ، بنغازى ، ١٩٧٠

٤ ـ **ابو المحاسن عصفور** : المدن الفينيقيـة ، بيروت ، ١٩٨١

٥ ـ **احمد حسن غزال** : « ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سهل ميسـارا جنوب جزيرة كريت فى الألف الثالث ق.م . » ، مجلة كلية الآداب ، العدد السابع ، بنغازى ، ١٩٧٥

٦ ـ **احمد دراز** : مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادى عشر والثامن قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق ، ١٩٩١

٧ ـ **احمد فخرى : واحة سـيوه ، ترجمـة جاب الله على** جاب الله ، القاهرة ١٩٩٣ .

٨ ــ **احمد محمد منديشة** : التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث ، بنغازى ، ١٩٩٣

٩ ــ **اسكندر بدوى** : تاريخ العمارة المصرية القديمة ، القاهرة ، ١٩٨٨

١٠ ــ **الان جاردنر** : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ، القاهرة ، ١٩٧٣

١١ ــ **الدريد** : الحضارة المصرية ــ من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة ، مختار السويفى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٩٢

١٢ ــ **الهادى ابو لقمة** : **السلفيوم الثروة المفقودة ، بنغازى ، ١٩٨٥**

١٣ ــ **بلوتارخوس** : ايزيس واوزوريس ، ترجمة حسن صبحى البكرى ، القاهرة ١٩٥٨

١٤ ــ **جان يويوت** : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ، ١٩٦٦

١٥ ــ **جوتيه** : ماضى شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسينى، طرابلس ، ١٩٧٠

١٦ ــ **جودتشايلد ، بدلى ، هوايت : اكتشاف تماثيل قديمة اركائية فى قورينى ، ليبيا القديمة ج ٣ ، ٤ ، ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦**

١٧ ــ **جون ويلسون** : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٥٥

١٨ ــ **جورج رو** : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٦

١٩ ــ **جيمس هنرى برستد** : تاريخ مصر منذ أقدم العصور الى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ، ١٩٢٩

٢٠ ــ **جيهان ديزانج** : البربر الأصليون فى أفريقيا الصغرى، تاريخ أفريقيا العام ، ج ٢ ، اليونسكو ، ١٩٨٥

٢١ ــ **جينيت دى فيتا** : « نقش معبد ايزيس فى صبراته » ليبيا القديمة ، ج ٣ ، ٤ ، ترجمة عديلة مياس ، ١٩٦٧/٦٦

٢٢ ــ **حسن الشريف** : العلاقات الحضـــــارية والتاثيرات المتبادلة بين أقطار الشمال الافريقى ، بحث غير منشور

٢٣ ــ **حسن الشريف** : « مشروع المســـح الأثرى لوادى الحياة » ، مجلة أوزو ، العدد الأول ، سبها ، ١٩٨٨

٢٤ ــ **دريتون ــ فانديه** : مصر ، ترجمة عباس بيومى ، القاهرة ، ١٩٥٠

٢٥ ــ **رشيد الناضورى** : المغرب الكبير ــ العصور القديمة، الاسكندرية ، ١٩٦٦

٢٦ ــ **رشيد الناضورى** : التطور التاريخى فى الفكر الدينى، بيروت ، ١٩٦٩

٢٧ ــ **رجب الأثرم** : تاريخ برقة السياسى والاقتصادى ، بنغازى ، ١٩٨٨

٢٨ ــ **زينب عبد العال** : مصر وليبيا منذ اقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة ماجستير غير منشـــورة ، معهد الدراسات الأفريقية ، ١٩٧٥

٢٩ ــ **سليم حسن** : مصر القديمة ، ج ١٢ ، القاهرة

٣٠ ـ **سيد الناصرى** : « الألعاب الأوليمبية القــديمة » ، المجلة التاريخية ، ج ٢١ ، ١٩٧٤

٣١ ـ **سيد الناصرى** : الاغريق ـ تاريخهم وحضارتهم ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٥

٣٢ ـ **شتريتر** : « الرسوم الصخرية كمصدر تاريخى » ، الصحراء الكبرى ، ترجمة عماد الدين غانم ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٧٩

٣٣ ـ **صبرى طه** : سمنود ـ دراسة تاريخية أثرية فى العصور الفرعونية والعصر البطلمى ، رسالة ماجســـتير غير منشورة ، كلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق ، ١٩٩٢

٣٤ ـ **عبد الكريم الميار** : قورينى فى العصر الرومانى ، طرابلس ، ١٩٧٨

٣٥ ـ **عبد العزيز صالح** : حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ، ١٩٨٠

٣٦ ـ **عبد العزيز صالح** : الشرق الأدنى القــديم ، ج ١ مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة : ١٩٨٢

٣٧ ـ **عبد العزيز صالح** : جغرافية ليبيا ، القاهرة ، ١٩٧٠

٣٨ ـ **عبد اللطيف أحمد على** : التاريخ اليونانى ـ العصر الهلادى ، ج ١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٧١

٣٩ ـ **على فهمى خشيم** : نظرة عابرة على الفنون فى ليبيا القديمة ، الفصول الأربعة ، ج ٢٢ ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٨٣

٤٠ ـ **على فهمى خشيم** : آلهة مصر العربية ، المجلد الأول والثانى ، ومصراته ، ١٩٩٠

٤١ ــ **فرانسوا شامو** : الافريق فى برقة ــ الاســطورة والتاريخ ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى ، بنغازى ، ١٩٩٠

٤٢ ــ **فوزى جاد الله** : مســائل فى مصادر التاريخ الليبى قبل هيردوت ، ليبيا فى التاريخ ، بنغازى ، ١٩٦٨

٤٣ ــ **فابريتشــيو دورى** : تادرارات اكاكوس ــ الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة عمر انبارونى وفؤاد الكعبازى ، ليبيا ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٨٨

٤٤ ــ **كـــــوبر** : « من الصيد الى الرعى ماهو العصر الحجرى الحديث فى الصحراء الكبرى » ، الصحراء الكبرى ، ترجمة مكاييل محرز ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٧٩

٤٥ ــ **لبيب حبشى** : مسلات مصر ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة ، ١٩٤٤

٤٦ ــ **محمد الطاهر الجرارى** : « شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة » ، مجلة البحوث التاريخية ، جـ ٢ ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٨١

٤٧ ــ **محمد سليمان ايوب** : « المقبرة الملكية فى جرمة » ، ليبيا القديمة ، ج ٣ ، ٤ ، ترجمة عديلة مياس ١٩٦٧/٦٦

٤٨ ــ **محمد عبد القــادر** ، ايران منذ فجر التــاريخ حتى الفتح الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٤

٤٩ ــ **محمد مصطفى بازامة** : تاريخ ليبيا ، فى عصور ماقبل التاريخ ، ... ــ ٣٢٠٠ ق.م ، بنغازى ، ١٩٧٣

٥٠ ــ **محمود زميتر** : مصر بين الفرس والاغريق ، رســالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٨٩

٥١ ـ **مراجع عقيلة الفناى** : السلفيوم ، مصراتة ، ١٩٩٤

٥٢ ـ **مصطفى عبد العليم** : دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، بنغــازى ، ١٩٦٦

٥٣ ـ **نجيب ميخائيل** : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ ٤، الحضارة المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٦٦

٥٤ ـ **نيقولا جريمال** : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتى : القاهرة ، ١٩٩٠

٥٥ ـ **هنرى لوت** : الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى، الصحراء الكبرى ، ترجمة مكاييل محرز ، مركز الجهاد الليبى ، ١٩٧٩

٥٦ ـ **هنرى لوت** : لوحات تسيلى ، ترجمة زكى حسن ، طرابلس ، ١٩٦٨

٥٧ ـ **هيردوت** : الكتاب الرابع

٥٨ ـ **هيردوت يتحدث عن مصر** ، ترجمة محمد صـــــقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٨٧

٥٩ ـ **وندرات سكوت وفابرى** : « قرون الحيوان فى عصور ما قبل التاريخ فى ليبيا وأثرها فى حضارات أخرى ، ليبيا القديمة، ج ٣ ، ٤ ، ترجمة عديلة مياس ، ٦٦/١٩٦٧

٦٠ ـ **وهيب كامل** : ديودور الصقلى فى مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧

٦١ ـ **ياروسلان تسرنى** : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة احمد قدرى ، القاهرة ، ١٩٨٧

ثانيا ــ المراجع الاجنبية

Aharoni, Y., *The Land of The Bible, A Historical Geography*. Translated from the Hebrew by Rainey, A.F., London, 1970.

Albright, W.F., The Sea People in Palestine. C.A.H3., 2 A. 1980

Arkell, A.J., *A History of The Sudan From Earliest Times To 1821,* 2nd. ed., London, 1961.

Barnett, R.D., The Sea Peoples. *C.A.H3.* 2 A., 1980.

Bates, O., *The Eastern Libyans,* London, 1914.

Bisi, A.M., « Punic Stelae », *Archaeslogiaviva,* Paris, 1968.

Boardman, J., The Greeks Over Seas, London, Penguin Books, 1964.

Boardman and Hays, *Excavation at Tocra,* London, 1966.

Bovill, E.W., *The Golden Trade of the Moors*, London, 1968.

Bradford Welles, C., «The Role of the Egyptian Under the Frist Ptolemies » ,*American Studies in Papyrology,* 7, 1970. PP. 509 — 512.

Gragan, O., *Magnificent Tombs which The Home Guard of Roman Tripolitania Built,* London, 1955

Burn, A.R., *The Lyric Age of Greece,* London, 1966.

Burn, A.R., *Persia and Greek The Defence of the West 540 — 478 B.C·* London, 1962

Bury, J.B., *History of Greece to the Death of Alex-* ander the Great, 3rd. ed., London, 1951.

Cameron, G.G., « Darius, Egypt and the Land Bbyond the Sea » *J.N.E.S.,* 2, 1943, Part 4, PP. 307 — 313.

Certer, T.H., *7 n Expedition the Bulletin of University Museum of the University of Pensylvania,* Spring, 1963, vol. 3.

Eerny, J., «Egypt fro mthe Death of Ramesses III to the End of the Twenty First Dyansty», *C.A.H3.,* 2 B, 1980.

Chiantore ,G., *Rivista di Filologia Demiurgi in Creta,* Torino, Annoix 1930.

Child, V.G., *New Light on the Most Ancient East,* London, 1958.

Coster, C.H., The Economic Position of Cyrenaica in Classical Ages, in *Studies in Roman Economic and Socvial History* in homor of Allan Chester Johnson, 1951.

Coujat, J., Montet, P., « Les Inscription Hieroglyphiques et Hieratiques du Ovadi Hammemat », *M.I. F.A.O.,* 34, 1912, PP. 164 .. 173.

Cowley, A.E., *Aramic Popyri of the Fifth Century B.C.* Oxford ,1923.

Maressy, G., «*Fragments Heracleopolitains*», *A.S.A.E.*, 21, 1921, PP. 138 .. 139.

Dunham, D., *The Royal ceme teries of Kush, vol. IV, Royal Tombs of Meroe and Barkal,* Bostom, 1957.

Ed-Brovarski, « Two Old Kingdom Writting Boards From Giza », *A.S.A.E.,* 71, 1987.

Edgerton, W.F., and Wilson, J., *Historical Reords of Ramesses III,* Chicago, 1936.

Glgood, P.G. *The Later Dynasties of Egypt,* Oxford, 1951.

El-Mosallamy, A., « Libyco-Barber Relations With Ancient Egypt, The Tehenu in Egyptian Reords », *Libya Antique,* 2, 1986.

El-Rashdy, F., « Garamantian Burial Customs; Their Relation to Those of Other Peoples of North *Libya Antique,* 2, 1984.

Fakhry, A., *Bahria Oasis,* I, 1942.

Faulkner, R.O., « Egypt From the Inceptoin of the Nineteenth Dyansty to the Death of Ramesses III» *C.A.H3.,* 2 A, 1980.

Frankfort, H., *Studies in Earpottery of the Near East,* London Gardiner ,A.H., *Ancient Egyptian Onomastica,* 2 vols., Oxford, 1947.

Ghazal, A.H., «New Light on the distinction Between

Ammon of Libya and Zeus of Cyrene». *Libya Antique,* 2, 1984.

Ghirshman, R., *Iran from the Earliest Times to the Persian Conquest,* London, 1965·

Giedion, S., *Symbolic expression in prehistory and in the Frst high Civilisations in sign Image and Symbol,* London, 1966.

Goedicke, H., «Psammetik I and die Libyer», *M.D.A. I·K.,* 18, 1962, PP. 26 — 49.

Gomaa, F., *Libyschen Furslentumer des Deltas Vom* Tod Osokons II bis zur Werderveieingiung ? *gypten durch Psametik, I,* Wiesbaden 1974.

Goodchild, G,. *Benghazi the Story of the City,* 1962.

Graves, R., *The Greek Miths,* Penguin Books, 1958.

Grimal, N·, « Ll Sléle triamphale de Pi (ankh) y au Musée du Cairo J.E. 48862 et 47086 — 47088 », *M.I.F.A.O·,* 105, 1981.

Griffith, F., *Catalogue of the Demotic Papyri,* 3 vol., Maonester, 1909·

Briffith, J· G., *The Origins of Osiris and His Cult,* Brill, leiden, 1980.

Grote, G., *A History of Greece,* vol 4, London, 1906.

Gunn, B., «the Inscribed Sarcophagus in the Serapeum», *A.S.A.E·,* 26, 1926

Gyles, M.E., *Pharaonic Policies and Administation 663 — 323 B.C.,* Carolina, 1959·

Habachi, L., «The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and The Western of the Delta» *B.I.F.A.O.*, 80, 1980.

Habachi, «Sais and Its Moument,» *A.S.A.E.*, 42, 1943.

Hall, H.A., *The Ancient History of the Near East*, 11th ed., London, 1963.

Hall, H.A., « Egypt Under the Aliens», *C.A.H3.*, 2, 1975.

Hasebroek, J., *Trade and Politics in Ancient Greece*, London, 1965.

Hill, G.F., *Sources of Greek History 525 — 431 B.C.*, Oxford, 1962.

Holscher, W., *Libyer und ? gypter*, Hambwrg, 1937.

Hornning, E., *Conceptions of God in Ancient Egypt*, Translated by John Baines, London, 1982.

Jones, A., *Cities of The Eastern Roman Empire*, Oxford, 1937.

Kees, H., *Ancient Egypt, a Cultural Topography*, London, 1961.

Kent, Old Persian Texts, Darius Behistan Inscription Column V; *J.N.E.S.*, 2, 1943.

Kitchen, K.A., «On The Princedomes of Late Libyan Egypt», *C.D.E.*, 52, 1977, PP. 40 — 48.

Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.)* 2nd ed., Warminster, 1986.

Lang, A., *The Last Oracle from Delphi,* London, 1887.

Litchtheim, (Miriam), *Ancient Egyptian Literature,* vol. 3, *The Late Period,* California, 1980.

Luckenbill, D.D., *Ancient Records of Assyria and Babylonia,* 2 vols., 1926 — 1927.

Macadam, M.F., *The Temples of Kawa,* II, Oxford, 1949.

Mallet, D., «les Rapports des Grecs avec l'Egypte de la Conquite de Cambyse á Celle d'Alexandre», *Memoires,* 48, 1929.

Mazzarino, S., *Era Oriented Occidente Ricercbe di Storia greca arcbaica,* Florence, 1947.

Moustafa el Amir, *A family Archive from Thebes,* Part 2, Cairo, 1959.

Mercer, S.A.B., *The Religion of Ancient Egypt,* London, 1949.

Michaelidis, « Quelques Objects Inedits d'époque persde » *A.S.A.E.,* 43, 1943.

Mitchell, B.M., «Cyrene and Persia» *J.H.S.,* 86, 1966.

Montet, P., *Geographie de L'Egypte Ancienne,* I, Paris, 1957.

More, A., *DeBocchari Rege,* Paris, 1903.

Moret, A., *Historie Ancienne, Histoire de l'Orient,* Tome II, Paris, 1936.

Murray, M.A., *The Splen Dawr That was Egypt,* New ed., London 1964.

Naville, E., «Did Menephtah Invade Syria», *J E.A.*, 2, 1915.

Nelson, H., « The Naval Battle Pictured at Medinet Habu », *J.N.E.S.*, 2, 1943.

Noshy, I., «Arcesilaus III», *Libya in History,* 1968.

Olmstead, A.T., « Darius and Behistan Inscription », *A.J.S.I.,* 60, 1938.

Olmstead, A.T., *History of The PersianEmpire,* 5th. ed., Chicago, 1966.

Pacho, *Voyage dans la Marmarique la Cyrenaique,* Paris, 1979.

Parke, H., *Greek Mercenary Soldiers,* Oxford, 1933.

Park, J., and Wormell, *A History of the Delphic Oracle,* I, Black Well, 1939.

Parker, R.A., «Persian and Chronology», *A.J.S.L,* 58, 1941.

Parker and Dubberslein, *Babylonian Chronology,* Providence, 1959.

Peet, E., *The Great Tomb-Robberies of The 'wentieth Dynasty,* 2 vol., Oxford, 1930.

Petrie, W.F., *Naukratis,* I, London, 1886.

Petrie, W.F., *Ahistory of Egypt,* III, London, 1905.

Petrie, W.F., *Palace of Apries,* London, 1909.

Petrie, W.F., *The Making Egypt,* London, 1939.

Petrie, W.F., *Naguda and Ballas,* London, 1896.

Petrie ,W.F., *Religious Life in Ancient Egypt,* Boston, 1914.

Petrie, W.F., *Religion and Conscience in Ancient Egypt,,* London, 1898.

Posener, G., *La Permiere Domination Perseen Egypt,* Le Caire 1936.

Ritner, R.K., Khababash and Starap Stela, *Z,A.S.,* 107, 1990.

Robinson, E.S.G., ***British Museum Catalogue of Greek Conis of Cyrenaica,*** 1027.

Rostvtzeff, M., ***Social and Economic History of The Roman Empire,*** 2nd. ed., Oxford, 1958.

Rowe, A., «A History of Ancient Cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptolemaic Statues ofund in Tolmeita » *A.S.A.E.,* 12, Cahier No. 12, 1948.

Sadawya, A., «The Greek Settlement in Cyrenaica With Notes on Pottary Discovered There», *Libya in History,* 1968.

Sauneron, S., Yoyotte, J., «La Campagne Nubienne de Psammetique II» *B.I.F.A.O.,* 51, 1951.

Shinnie, P., *Meroe,* London, 1969.

Spalinger, A., «The Rleign of King Chabbash, An Interpretation», *Z.A.S.,* 105, 1978.

Steindarff, G., *Aniba,* I, Hamburg, 1935.

Stevenson Smith, *The Art and Architecture of Ancient Egypt*, Maryland, U.S.A., 1965.

Tod, M.N., *A Selection of Greek Historical Inscription*, vol. 2, Oxford, 1962.

Trigger, B.C., et all, *Ancient Egypt, A Social History*, Cambridge, 1984.

Vandier, J., *Manval d'archeologie Egyptienne*, VI, Paris, 1955.

Wainwright, G.A., «Some Sea Peoplesand Others in The Hittite Archives», *J.E.A.*, 25, 1939.

Wainwright, G.A., «The Meshwesh» ,*J.E.A.*, 48, 1962.

Waniwright, G.A., The Sky Religion in Egypt, Cambridge, 1938.

Wilson, J., «The Libyans and The End of The Egyptian Empire», *A.J.S.L.*, 21, 1935.

Wiseman, D. J., Chronicles of Chaldaen Kings, London, 1956.

Younis, S.A., Hellenic Minorities in Ancient Egypt During The Late Period (Ca 664 — 332 B.C.), Faculty of Archaeology, Cairo University, 1995.

Yoyotte, J., «Les Principautes du Delta au Temps de L'anarchie Libyenne», M.I.F.A.O., 66, 1961.

Yoyotte, J., «Notes et documents Paur Servir á l'Histoire de Tanis, Kémi, 21, 1971.

Zibelius, K., Afrikanische Arts-und Völkernamen in Hieroglyphisechen und Hieratischen Texten, Wiesbaden.

الفهـــرس

	الصفحة
تقـــديم	٥
الإهـــداء	٧
قائمـة الاختصـارات	٩
مقدمـــة	١١

الفصـل الأول

مصـر وليبيـا خـلال

عصر الانتقال الثالث

أولا ــ مصـــر	٢١
ثانيـا ــ ليبيـــا	٢٦
ثالثـا ــ مصر وليبيا وشعوب البحر	٤٩
هوامش الفصل الأول	٥٧

الفصـل الثـانى

مصـر وليبيـا فى عصـر

الأسرة السادسـة والعشرين

تمهيـــد	٦٩
أولا ــ مصـــر	٧٠
ثانيـا ــ ليبيـــا	٨٤
ثالثـا ــ مصـر وليبيـــا	٩٢
هوامش الفصل الثانى	١٠٥

الصفحة

الفصـــل الثـــالث

مصـــر وليبيا فى عصـــر

الاحتلال الفارسى (٥٢٥ ــ ٤٠٤ ق٠م)

أولا ــ مصـــــر ١١٥

ثانيــا ــ ليبيـــا ١٢٩

ثالثــا ــ مصـــر وليبيـــا ١٤٦

هوامش الفصل الثالث ١٥٧

الفصـــل الرابـــع

الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسى

(أ) الثورات المصرية تحت الحكم الفارسى حتى الاستقلال ١٦٦

(ب) الأصول الليبيـــة لأسرات العصر المتـــأخر ١٨٦

هوامش الفصل الرابع ١٩٢

الفصـــل الخـــامس

التأثيرات الحضـــارية المتبـــادلة

بين مصـــر وليبيـــا

أولا ــ الحيـــاة الفكرية ٢٠١

(أ) المعتقدات الدينيـــة ٢٠١

(ب) الفنـــــون ٢٣٠

ثانيــا ــ الحياة الاجتماعية ٢٣٤

هوامش الفصـــل الخامس ٢٤١

المراجع العربيـــة والأجنبية ٢٤٩

صــدر من هــذه السلسلة

١ – مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ – عــلى ماهــر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ – ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ – التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ – غارات اوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧

٦ – هؤلاء الرجــال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ – صــلاح الدين الأيوبى ،
د. عبد المنعم ماجــد ، ١٩٨٧

٨ – رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د. على بركات ، ١٩٨٧

٩ – صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمــد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ – توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمــود فــوزى ، ١٩٨٧

١١ – مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شــكرى القــاضى ، ١٩٨٧

١٢ – هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د. نبيــل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ **أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ **مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ **المستشرقون والتاريخ الاسـلامى ،**
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ **فصـول من تاريخ حركة الاصـلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعيـة الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ **القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ **الجوارى فى مجتمع القـاهرة المملوكية ،**
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ **مصر القديمـة وقصة توحيد القطرين ،**
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ **دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسـلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،**
د. محمـد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ **التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،**
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ **نظـرات فى تاريخ مصـر ،**
جمـال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ **التصـوف فى مصر ابان العصر العثمـانى ج ٢ ، امـام التصوف فى مصر : الشعرانى ،**
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،**
د٠ نجـوى كامـل ، ١٩٨٩

٢٥ ـ **المجتمـع الاسـلامى والغرب ،**
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثـة ،**
د٠ سعيد اسـماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ **فتح العـرب لمصـر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج٠ بتلر ، ترحمة : محمد فريد أو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ **فتـح العـرب لمصـر ، ج ٢ ،**
تأليف : ألفريد ج٠ بتلر ، ترحمة : محمد فريد أو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ **مصر فى عصر الاخشـيديين ،**
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية ،**
شـكرى القـاضى ، ١٩٨٩٠

٣٢ ـ **هؤلاء الرجـال من مصر ، ج ٢ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ـ **مصر وقضـايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضـاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،**
د٠ خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ـ **تاريخ العـلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصـور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،**
د٠ يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د٠ سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) .**
د٠ جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ .**
د٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د٠ رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبد العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى .**
د٠ محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د٠ حسن حبشى ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د٠ لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د٠ زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د٠ سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر :**
د٠ الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د٠ محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د٠ محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ج ٢ ،**
تاليف : وليم الصورى : ترجمة وتعليق : د٠ حسين حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،**
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ - **مصر الاسـلامية وأهل الذمـة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ - **أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،**
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ - **الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصـير الى التاميم (١٩٥٧ - ١٩٦١) ،**
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ - **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ - **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ - **هؤلاء الرجـال من مصر ، ج ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ - **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية،**
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ، أعدهـا للنشر .
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ - **مصر وحقوق الانسـان ، بين الحقيقة والافتراء دراسـة وثائقيـة ،**
د. محمد نعمـان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ - **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧)**
سـهام نصـار ، ١٩٩٣

٦٦ - **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،**
د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣

٦٧ - **مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ - **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة : وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ - **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،**
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ - **أهل الذمة فى الاسلام ،**
تأليف : أ.س. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ - **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ - **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ - **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى**
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ - **اهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ - **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحـروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تأليف : وليم الصـورى ، ترجمـة وتعليق : د٠ حسـن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عتمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دى يونـج ، ترجمـة : عبد الحميـد فهمى الجمـال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قنـاة السـويس والتنـافس الاسـتعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د٠ السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمـة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د٠ رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة ،**
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،**
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجـارة المصريـة فى عصر الحريـة الاقتصـادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د٠ أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د٠ نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د٠ نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،**
د٠ سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وافريقيا ٠٠ الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة) ، أعدها للنشر ، د٠ عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،**
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د· عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ـ **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د· ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ـ **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د· محمد سيد محمد

٩٩ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ ،**
د· سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ· د· عبد العزيز صالح ، أ· د· جمال مختار ، أ· د· محمد ابراهيم بكر ، أ· د· ابراهيم نصحى ، أ· د· فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ· د· عبد العظيم رمضان ·

١٠١ ـ **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ ،**
د· تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ **رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره ،**
د· علي بركات

١٠٤ ـ **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د· فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،
د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،
تاليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك ، ، ج ٢ ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اسماعيل باشا صدقى ،
د. محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،
د. اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ـ اديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د٠ البيومي اسماعيل الشربيني

١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية ((دراسة وثائقية))
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصري الحديث (١٧٧٥ ـ ١٩٥٢) ،
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوي

١٢٢ ـ مصر للمصريين ج ٦،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوي ،
د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن ،
د٠ محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين ج ٧ ،
سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معـــارك صحفيـــة ،
جمـــال بدوى

١٢٩ ـ الدين العــام (وأثره فى تطور الاقتصــــاد المصــــرى)
(١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) ،
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)
سـمير فريـد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)،
تأليف : جايل ماير ، ترجمة : د. عبد الرءوف أحمد عمرو

١٣٢ ـ دار المندوب الســامى فى مصر ج ١ ،
د. ماجدة محمــد محمود

١٣٣ ـ دار المندوب الســامى فى مصر ج ٢ ،
د. ماجدة محمـد محمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنســية على مصر فى ضــوء مخطوط عثمــانى للدارندلى ،
بقلم : عزت حسن أفندى الدارندلى ، ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكيـة (فى ضــوء وثائـق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ اوراق يوســف صـديق
تقديم : أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ **تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى**
د٠ محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ **الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر ،**
السيد يوسف

١٣٩ ـ **موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ،**
بقلم : محمد قابيل

١٤٠ ـ **سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥ هـ/١٨١١ ـ ١٨٤٨ م ،**
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ **وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ،**
لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٤ ،**
أحمد شفيق باشا

١٤٣ ـ **دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق٠م٠ ،**
د٠ منيرة الهمشرى

١٤٤ ـ **كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩)**
عبد العليم خلاف

١٤٥ ـ **النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م)**
د٠ منيرة الهمشرى

١٤٦ ـ **المراة فى مصر المملوكية ،**
د٠ أحمد عبد الرازق

١٤٧ ـ حسـن البنـا ٠
متى ٠٠ كيف ٠٠ لمـاذا ؟
د٠ رفعت السـعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتاسيس كنيسة الاسكندرية ،
تأليف : د٠ سمير فوزى ، ترجمة : نسيم مجلى

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ،
حسام محمد عبد المعطى

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د٠ سمير يحيى الجمال

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة ،
السـيد يوسـف

١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م ،
د٠محاسن محمد الوقـاد

١٥٣ ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ،
د٠ علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ ـ هجمات الروم البحرية على شواطىء مصر الاسـلامية فى العصور الوسطى ،
د٠ علية عبد السميع الجنزورى

١٥٥ ـ عصر محمـد على ونهضـة مصر فى القرن التاسـع عشر (١٨٠٥ ـ ١٨٨٣) ،
د٠ عبد الحميـد البطـريق

١٥٦ ـ تـاريخ الطب والصـيدلة المصريـة ج ٣ (فى العصر الاسـلامى)
د٠ سمير يحيى الجمال

١٥٧ ــ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاســــلامى والحديث ﺟ ٤

د . سمير يحيى الجمال

١٥٨ ــ نائب السلطنة المملوكية فى مصر (من ٦٤٨ ــ ٩٢٣ ﻫ/ ١٢٥٧ ــ ١٥١٧ م)

د . محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ ــ حزب الوفد (١٩٣٦ ــ ١٩٥٢) ﺟ ١

د . محمد فريد حشيش

١٦٠ ــ حزب الوفد (١٩٣٦ ــ ١٩٥٢) ﺟ٢

د . محمد فريد حشيش

١٦١ ــ السيف والنار فى السودان

تأليف سلاطين باشا

١٦٢ ــ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ــ ١٩٥٣)

د . تمام همام تمام

١٦٣ ــ مصر والحملة الفرنسية

المستشار / محمد سعيد العشماوى

١٦٤ ــ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ

(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة « ٢٠ ــ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ »)

اعداد : أ . د . عبد العظيم رمضان

١٦٥ ــ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر

سامى سليمان محمد السهم

١٦٦ ــ مذكرات معتقل سياسى صفحة من تاريخ مصر

السيد يوسف

١٦٧ ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى الى نهاية الدولة الاخشيدية
د · صفى على محمد

١٦٨ ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات ،
يسرى عبد الغنى

١٦٩ ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الاسـلامى الى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧ هـ/٦٤٢ ـ ١١٧١ م) ،
د· صفى على محمد عبد الله

١٧٠ ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) ،
مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١ ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر ،
محمـد رفعـت

١٧٢ ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ١) ،
د· فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ٢) ،
د· فاطمة مصطفى عامر

رقم الايداع ١٦٤٦٤/١٩٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 6546 — 8

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فـــرع الصحافة